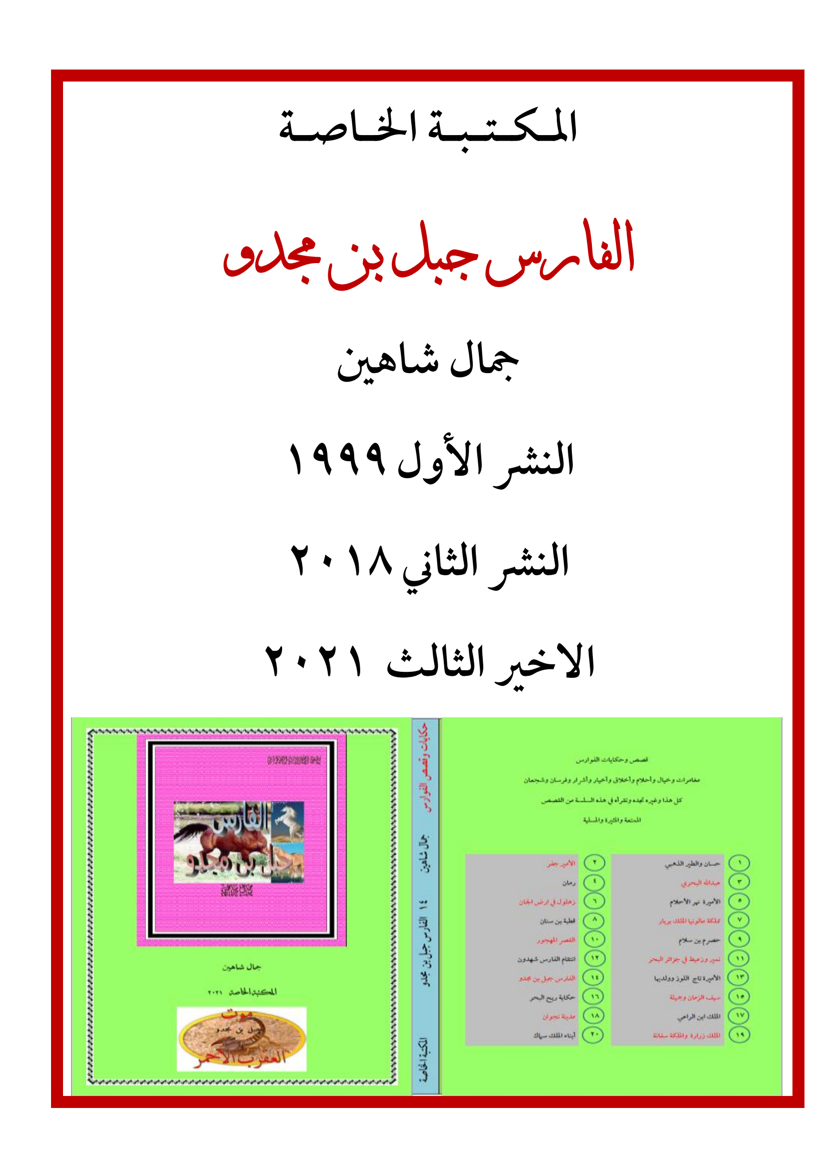
الفارس
جبل بن مجدو

جمال شاهين

المكتبة الخاصة ٢٠٢١

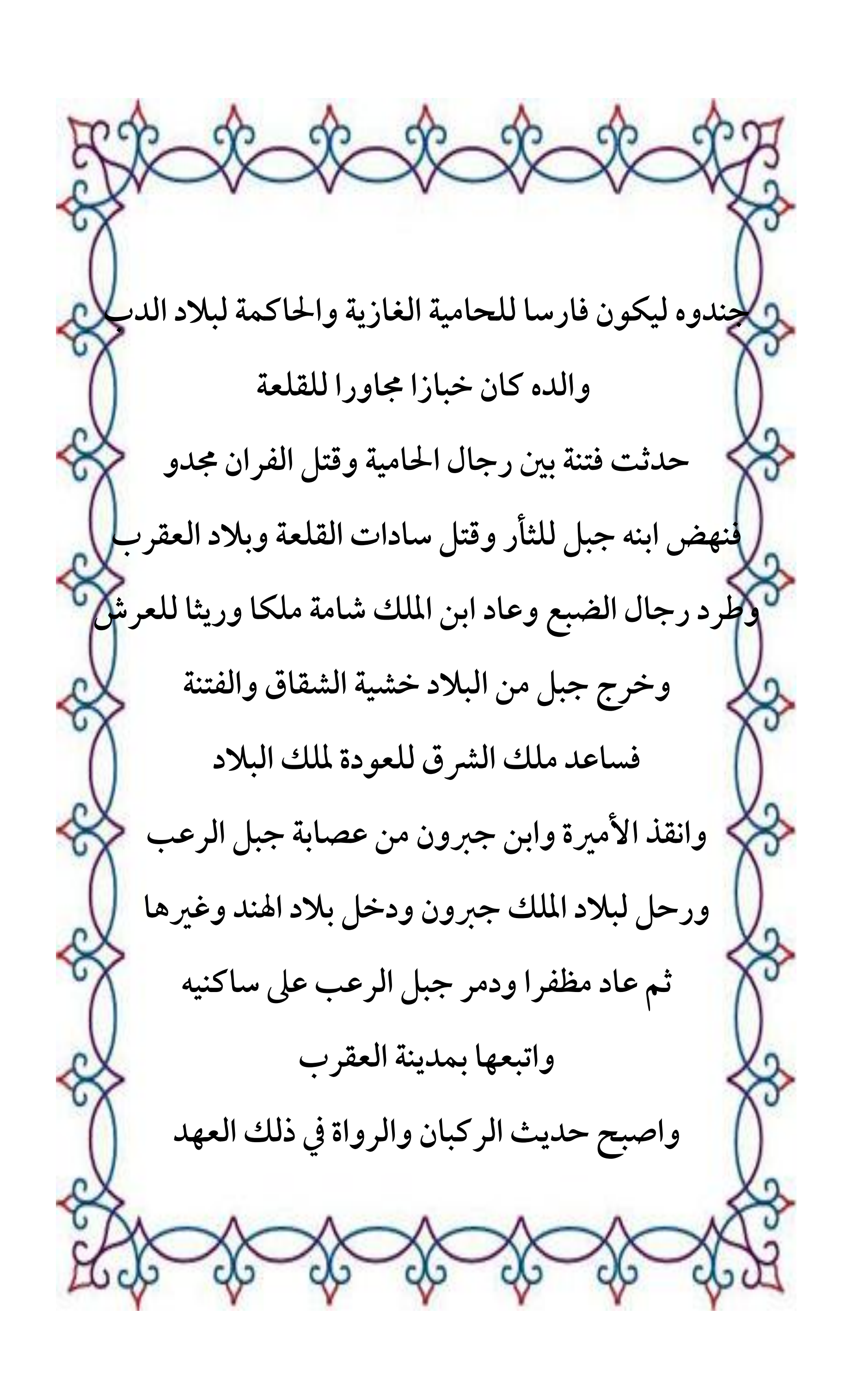


بسم الله الرحمن الرحيم





١٤
قصص وحكايات
الفوارس



جندوه ليكون فارسا للحامية الغازية والحاكمة لبلاد الدب

والده كان خبازا مجاورا للقلعة

حدثت فتنة بين رجال الحامية وقتل الفران مجدو

فنهض ابنه جبل للثأر وقتل سادات القلعة وبلاد العقرب

وطرد رجال الضبع وعاد ابن الملك شامة ملكا وريثا للعرش

وخرج جبل من البلاد خشية الشقاق والفتنة

فساعد ملك الشرق للعودة لملك البلاد

وانقذ الأميرة وابن جبرون من عصابة جبل الرعب

ورحل لبلاد الملك جبرون ودخل بلاد الهند وغيرها

ثم عاد مظفرا ودمر جبل الرعب على ساكنيه

واتبعها بمدينة العقرب

واصبح حديث الركبان والرواة في ذلك العهد


موت
جبل بن مجدو
العقرب الاحمر

حصار المدينة

دخل الشاب حجرة أمه مندفعا بقوة ، فخلع البيضة الفولاذية التي تغطي رأسه وطرحها أرضا ، وأخذ يد أمه مقبلا لها ، وكان يرتعش من الخوف ، وممتقع اللون ، وكانت ثيابه ممزقة ، وتنتشر بقع الدماء الجافة عليها ، ثم ألقى سيفه المخضب بالدماء على طاولة في الحجرة ، ورمى نفسه على سرير متين في الحجرة ، واقتربت منه جارية من جواري الملكة الأم بمنديل كبير ، فأخذت تمسح العرق والتراب والدماء عن وجهه الجميل ، ولما أنهت الجارية مهمتها ، قالت الأم التي لزمت الصمت حتى أنهت الخادمة مهمتها : إنك مرهق اليوم يا ولدي ، وكأنك اشتبكت مع الأعداء ؟!

فتنهد الشاب بعمق ، وسالت دموع على خديه ، وتناول كأس ماء من يد جارية فشربه دفعة واحدة ، وأخذ غيره ، وما زال يشرب حتى ارتوى فقالت الأم : احضري الطعام يا جارية لسيدك .. هل التقيتم اليوم بجنود الملك الظالم ؟!

فأغمض عينيه وهز عنقه وقال : أماه !.. إن الأمر لصعب !.. وإنهم أشداء .. عليهم لعائن الله وغضبه .

وأقبلت الجارية بالطعام ، وتركته أمام الأمير الذي تناول منه قطعة لحم وبدأ يلوكها ، وأمه تنتظر أن يكلمها عن معركة اليوم ..ولكن الأمير كان مذهولا ومتعبا ، فلم يتفوه بشيء ، وبينما هو يزدرد الطعام دخل أخوه الأمير " ماجد " الحجرة ، وهو يقول بصوت حاد وصاخب : أأنت هنا أيها الفارس ؟!.. وأبي يبحث عنك .

فقال الأمير " شبرو " : لقد رأينا الموت أيها الأمير !! .. ماذا يريد أبي ؟!.. لقد نجونا من موت محقق .. إنهم أشداء ..وبأسهم شديد .. وكم نجا من فرساني ؟!

فأجاب الأمير "ماجد " ساخطا : أقل من مائة .. لقد دمرت كتيبتك تدميرا كاملا .. وأبوك غاضب عليك غضبا شديدا .

فصرخ " شبرو " وهو يقف بعنف : ماذا أفعل لأبي ؟ إنها معركة مرعبة يشيب لها الولدان ..

اعلم أنني بدأت أخشى على المدينة الهلاك والدمار ..على أبيك أن يضع هذا الحساب في نفسه وقلبه ..فلابد من الاستعداد للهرب وترك المدينة ..لن نصبر أمامهم أكثر من أيام معدودات .
ابتسم الأمير " ماجد " وقال : أرى الخوف ملأ قلبك من هول هذا اللقاء ..ألهذا الحد هم أقوياء ؟!

فقال " شبرو " : لن أقول لك جرب .

فرد " ماجد " قائلا حانقا : سوف أجرب أيها المتهور .. ألم نقل لك لا تخرج لقتالهم ؟ .. فبسبب خروجك ومعركتك الفاشلة دب الرعب في نفوس الفرسان والجنود .. وفي الأهالي .. كان عليك أن تموت مدافعا عن مدينة الآباء والأجداد .. لماذا رجعت ؟!

فقالت الأم : ماجد .. اهدأ يا ولدي .. أرى أن الأمر خطير ؟!

فقال " ماجد " : نعم يا أماه ! ..ظن شبرو أنه بفرسانه الألف سيهزم هؤلاء الغزاة المحترفين الحاقدين .. فخرج بألف بطل ، واصطدم بالعدو العنيد على أبواب المدينة ، فخسر في معركته تسعمائة فارس ، وعاد بمائة مذهولين ، مما قذف الرعب في رجالنا وناس البلاد ..لقد نصحته قلت له قبل خروجه " يا ابن أمي وأبي دعك من التهور ..نحن محاصرون وهم كثر .. نصبر على الحصار ، ونرميهم بالنبال والسهام والنيران "، وقال له الوزير أحمد " دع الغرور يا أمير شبرو " فصاح فينا شبرو " إلى متى نبقى تحت رحمة الحصار ؟ والأعداء لهم أكثر من ستة أشهر يحاصروننا ، ولم نفعل شيئا ، وضاقت المدينة بأهلها وسكان القرى ، وأخذت بعض العائلات تترك المدينة إلى مدن مجاورة " وقال " وهؤلاء لن ييأسوا ولن ينهزموا من غير قتال " ، وأصر يا أماه على ملاقاة جيش الملك الضبع بألف فارس .. وأخذ ماجد يصرخ في وجه أخيه المهزوم والناجي من معركة الباب بحدة وسخط : لماذا لم تمت كما مات فرسانك ؟! .. أين شجاعتك ؟ لماذا هربت وتركت رجالك يموتون ؟!

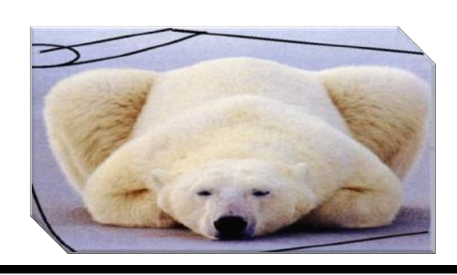
صاح " شبرو " : الموت .. الموت ..ماذا أفعل ؟! لقد تساقط فرساني حولي .. فكان لابد من التراجع .. ألست بشرا ؟! ألا تخاف الموت أيها البطل ؟ اخرج إليهم .. أرنا بطولتك وقوة

قلبك .

ولزمت الأم الصمت أمام ما سمعت من هول الضحايا الذين دكت أعناقهم على أبواب المدينة المحاصرة منذ شهور من قبل جنود الملك الضبع ملك بلاد العقرب ، وبينما هما يتصارخان دخل الحجرة الملك " شامة بن غلان " صاحب وملك مدينة الدب القطبي ، دخل الملك والحزن والأسى مرتسمان على قسمات وجهه الكبير ، ولما أبصر ولديه شبرو ابنه البكر والأصغر منه ماجد قال لشبرو بحدة : أأنت هنا أيها الفارس ؟! أجئت تحتمي بأمك ؟ ماذا فعلت بفرسانك ؟ قتلتهم قتل النعاج .

فقال شبرو بغضب خفيف :أبي أنا أدافع عنكم ، عن كرامتكم ، عن شرفكم ، عن بناتكم وأطفالكم .. أيها السادة ..لم أتِ هنا لاحتمي بأمي ..أنا جئت هنا لأني رأيت الموت ، وكلي حزن على ما جرى لفرساني الأشاوس في هذه المصيبة .. إنهم أقوياء أشداء .. اهربوا اهربوا قبل فوات الأوان .. فهاهم أقوى الرجال قد قتلوهم .. وهم يا والدي لن يتركوا المدينة قبل دخولها واستسلامها لهم .

فقال شامة بن غلان : آه !! ..لقد قتلت الناس بتهورك ..والحق كأنهم بعد هذه الضربة القاصمة لخير فرساننا يستعدون لاقتحام المدينة ، فاستعد أيها الفارس للقاء .. واحذر الهرب الموت خير لك ولنا من الهرب ..كان عليك أن تموت مع رجالك .. اذهب يا ماجد إلى رجالك ، واستعدوا لصد أي هجوم منهم ، فحركاتهم تدل على أنهم سيعملون شيئا يريدون أن يستفيدوا من نصرهم وقذفهم الخوف والوهن في قلوبنا ..وأنت يا شبرو بن شامة التحق بكتيبة ابن عمك راسب .



كانت مدينة الدب القطبي من المدن الكبيرة تخضع لحكم الملك شامة هي وما حولها من القرى الصغيرة ، وكانت تعيش في هدوء وأمان ونعيم ورغد من العيش ، ولها جيش قوي مدرب تدريبا جيدا للدفاع عن المدينة ، وعن أمنها الداخلي ، والمحافظة على أسوار المدينة العالية ، وكانت تصد الغزاة والطامعين إلى أن حاصرها الغزاة الجدد ، فهجر أهل القرى قراهم ومزارعهم ولجئوا إلى المدينة الحصينة المحصنة تحصينا ضخما بأسوار قوية من ثلاث جهات ، وأما الجهة الشرقية فهي عبارة عن جزء من سلسلة جبال عالية تحيط بالمدينة من تلك الجهة ؛ فبذلك تشكل السور الرابع للمدينة ، ومنفذها الوحيد نحو مدن الشرق ، وعلى هذه الجبال حامية من الجند للمراقبة والحراسة .

وقد حاول شبرو دفع الغزاة برجاله الأقوياء ، فأصيب بنكسة كبيرة ، فخسر جنوده وعساكره ونجا من الموت بأعجوبة ، وكان من نتيجة معركته تلك أن دب القلق والوهن في قلوب الناس ، وبدأوا يهربون إلى الجبال ، وزاد رحليهم للمدن التي وراء ذلك الجبل العملاق ، وحتى أن جيش المدينة أصابه القلق والشك ، ففرسان شبرو كانوا من أشد فرسان الملك شامة وكانت كتيبة الأمير شبرو كتيبة الموت والمهات الدفاعية القاسية .

وشدد المحاصرون الحصار المضروب حول المدينة ، فمع كل شروق يوم جديد يدع الناس منازلهم ويصعدون إلى الجبال الوعرة خوفا من حجارة المنجنيقات المتساقطة على المدينة ، وبعضهم يتابع المسير إلى البلاد المجاورة .

وأمام هذا الضغط الشديد اندفع الملك شامة والأمراء بترحيل أبنائهم الصغار إلى أصدقائهم من ملوك المدن الأخرى خوفا من وقوعهم أسرى ، وأن يستعبدهم ويسترقهم جيش الملك الضبع ، وأمام شدة هذا الحصار ، وضعف الإمدادات من الأقوات ، وهرب كثير من التجار ، وخوفا من هرب الجند بعد مغادرة عائلاتهم ، كان على الملك ووزيره وقواده اتخاذ قرار حاسم إما الاستسلام وإما ملاقاة العدو ، فالحال ضاق بالعباد ، فإما أن يدحروهم أو يموتوا موتة الأبطال والشرفاء .

التقى الملك شامة مع زوجته الملكة " جملة بنت يوسف "وأطلعها على أمر البلاد والعباد ، وأخبرها برغبته في نقل أولاده الصغار سليل وحريف والأميرة حظوظ في المرحلة الأولى إلى مملكة الملك الجفال حاكم بلاد الريح البعيدة عن بلادهم مسيرة شهر ، فجهزهم الملك سرا بقافلة صغيرة من الخصيان والجواري ، وبحراسة خمسة من العبيد الأشداء ، ورسالة توصية بهم إلى ذلك الملك .

وقد قلد السادة ملكهم ، فأرسل الوزير " أحمد " ابنه الصغير " ليث" إلى مدينة مجاورة لدى ابن عم له هناك ، وكذلك فعل قائد الجيش القوي " ربيع " بأن أرسل ابنه الصغير " قيس " واخوته الصغار ذكورا وإناثا إلى مدينة الظاهر لقرابة بعيدة بينهم ، وأمر الملك الناس أن يصعدوا نساءهم وضعفاءهم إلى أعالي الجبال حتى ينجلي الموقف بعد المعركة الحاسمة المقبلة ، فصعدت أعداد كثيرة من الناس إلى الكهوف ينتظرون مصير البلاد ، وحذرا من الوقوع في ذل الأسر .

ولما حان وقت الخروج لصد العدو بعد ذلك الحصار الطويل ، خرج الملك شامة بنفسه وحوله وزيره وقائد جيشه والأمراء وبين أيديهم أولادهم الفرسان ، واصطف الجيشان أمام أسوار المدينة ، ودارت رحى المعركة بين جيوش الدب المحاصرة منذ شهور وجيش الملك الضبع ملك بلاد العقرب ، وبعد أيام من العراك الشرس ، أدرك الملك شامة قوة خصمه وكثرة عدد جيشه ، فتشاور مع الوزير والقادة على طلب الصلح مع هؤلاء الغزاة مرة أخرى ، فأرسل رسولا عاقلا يعرض الصلح على الملك الغازي ، فرضي الملك الضبع بالصلح على أن يسلموا له المدينة تسليما كاملا مع الخضوع التام لملكه وحكمه ، وأعلمهم أن المال لا يكفي لفك الحصار وإنهاء القتال .

فتجدد القتال بين الطرفين ، وخاضت جيوش الملك شامة معركة حامية الوطيس ، قتل فيها الملك وولداه الأمير شبرو والأمير ماجد ووزيره وقائده وكثير من أبناء اخوة الملك والأمراء والجيش ، وجرت مذبحة للأسرى ، واستسلم أهل المدينة ، ودخل الغزاة مدينة الدب ،

وعاثوا فيها فسادا وقتلا وتدميرا ، وأباحها الملك الضبع لجنوده ثلاثة أيام كاملات ، فجرى فيها القتل والنهب والسلب ، وما نجا من الموت إلا كل طويل العمر .

فكانت حدثا تناقله الركبان بين المدن والعمران ، ولما علم الهاربون في أعالي الجبال والحامية الصغيرة ما حل بمدينتهم من دمار وهلاك تفرقوا أيدي سبأ ، وهربوا خوفا من بطش الأعداء الغزاة ، وهكذا ماتت مدينة الملك شامة ، وتشرد الناس أمام هؤلاء الغزاة والملك المخيف الضبع .



ثم مكث الغزاة فيها حينا ، وغادرها الضبع فرحا بنصره ، وترك عليها حامية من جنده قوامها ألف فارس ، على رأسهم فارس يسمى " الغضبان " ، وأمر هذا الحاكم برفع العذاب عن الأهالي والسماح بعودة الهاربين ، فعاد الضعفاء والفقراء والأرامل والأيتام ، وأصبحت بلاد الدب تابعة لمملكة الضبع الذي تحرك غازيا لبلد آخر يضمه لمملكته الكبيرة .

ومما هو جدير بالذكر هنا وفي هذا المقام أيها القارئ العزيز ، أن قافلة الأمير سليل وحريف ابنا الملك شامة المقتول تعرضت لعصابة من قطاع الطرق عندما ابتعدت عن جبل مدينة الدب ، وهي في طريقها كما تعلمون إلى بلاد الملك الجفال ، وجرى الحادث في ظلام الليل الدامس ، فهرب العبيد الحراس ، وتمكن أحد الخصيان بالهرب بالأمير سليل ، واختفى به في كهف في ذلك الوادي ، ونجا به من رجال العصابة الشريرة ، ثم تابع المسير به إلى بلاد الريح .

ووقع الأمير حريف وأخته الأميرة حظوظ في أسر العصابة ، وباعوهم رقيقا في بلد أمامهم ، وهي مدينة الشرق وسيأتي لها ذكر ، وكان حريف عندما سبي ذا سنوات ثلاث وتكبره حظوظ بسنة واحدة ، وأما الأمير الذي نجا فعمره ست سنوات .

ولما حلت الهزيمة الساحقة بجيش الملك شامة تابع الهاربون من أسرته ـ الملكة الأم جملة بنت

يوسف وابنتي الملك قسمة وجميلة وأخوات الملكة وأخوات الملك ونساء الأسرة الحاكمة ـ المسير نحو بلاد الملك الجفال صديق الملك شامة ، ولما وصلوها كانت كارثة ضياع الأمراء أمامهم فازداد نحيب الأم الثكلى ، ولقد قام الملك الجفال ونساؤه بتخفيف المصاب عنهم بحسن الكلام والأمل ، وأن الأيام دول ، والظلم مرتعه وخيم ، والصبر مفتاح الفرج ، ومنحهم قصرا واسعا يسكنون فيه ، وكذلك أعطى ومنح كل من لجأ إلى بلاده من أهل مدينة الدب ، وواسهم بالمال والطعام والإحسان والمساكن ، فلما جاءتهم أخبار خروج الضبع من بلادهم بدأوا يعودون رويدا رويدا إلى ديارهم ومنازلهم . وأرسلت الأم الخصي الذي نجا بسليل يبحث عن ولديها المفقودين في المكان الذي فقدوهما فيه وحوله من المدن ، فغاب حينا من الوقت ثم عاد من غير شيء ، فأقسمت الأم الثكلى أمام العائلة أن تنتقم لزوجها وأبنائها القتلى ، وأن تسترد ملك زوجها ، وطلبت من الملك الجفال أن يهتم بولدها سليل ، ويعلمه مع أولاده ليوم الثأر والانتقام من قاتل أبيه الملك الضبع .

فلندع الآن الأمير سليل يتدرب في بلاد الريح ويستعد للعودة لدياره ، هو وأبناء أعمامه وأخواله للثأر من الغزاة واسترداد كرامة الآباء والأجداد ، ثم نتابع ما حدث للأمير حريف ، وهو بطل من أبطال القصة ، فقد باعته العصابة لتاجر من التجار الكبار في بلدة الشرق ؛ ولكنه مات بعد سنوات قليلة فورثه أقرباء التاجر ، فباعوه لامرأة مكث لديها سنوات ، ثم وهبته غلاما لابنها داود من زوجها الأول وسيأتي لهم ذكر بـأذن الله عزّ وجل. وأما الأميرة حظوظ فقد ابتاعتها امرأة ، ثم باعتها بعد خمس سنوات لأميرة من أميرات البلاد فعاشت جارية في قصر الأميرة تخدم الأميرة ، وقد حاولت خلال هذه المدة أن تصل لأخيها حريف الذي افترق عنها في تلك المدينة ؛ ولكن جهدها المتواضع لم يسفر عن شيء يذكر ، ثم تزوجت مولاتها الأميرة من أمير في مدينة اللؤلؤ ، وأخذت حظوظا معها إلى القصر الجديد ، فضعف الأمل بلقاء حريف ، فلنتركها هي الأخرى الآن في قصر الأميرة " رشاء "جارية تخدم سيدتها بإخلاص ؛ ولكن ذكرى الماضي ما فارقت خيالها ، وما زالت ترتسم على محياها الجميل .

ابن الخباز

نتقدم بك أيها القارئ الكريم إلى المدينة المأسورة بعد ما يقارب عشر سنوات على الأحداث التي بدأنا بها هذه الحكاية ، وهي سقوط مدينة الدب بأيدي الغزاة الذين يتزعمهم الملك الضبع الكبير ،صاحب السطوة والقوة الملك الغازي الذي لا يحب إلا الغزو وتدمير البلاد والعباد وإهلاك الزرع والحرث والنسل ، وتذكرون أن هذا الجبار أحد جبابرة الأرض قد ترك حامية من ألف محارب ، يسكنون قلعة الحكم وقصر الملك شامة ، وعلى رأسهم الغضبان ، ويحكمون الناس ، ويجمعون للضبع كل عام خراجا مقداره خمسة آلاف قطعة ذهبية ، فكانت المدينة تعيش في ضنك وتعسف تحزن عليه الحجارة ؛ ولكن هؤلاء العتاة والقساة القلوب الجباة فقلوبهم أشد قسوة من الحجارة ، فهذه القسوة وسوء الأخلاق كانت تثير الناس وتستفزهم ، فيثورون على الجنود بين الحين والآخر ، فيقوم الجند بسفك دم بعض الناس من غير شفقة ، ولا عطف، ولا رحمة ، واستمر الحال على هذه الصورة حتى كانت حادثة الخباز مجدو الساحر .

لقد كان مجدو الساحر يعمل في فرن له مجاورا قلعة الحكم ، وهو خباز معروف في المدينة منذ أيام الملك شامة المقتول ، وبعد هزيمة الملك اختفى هذا الخباز في الجبال كما فعل أكثر الناس حتى هدأت الأحوال ، وأخذ الهاربون بالرجوع لبيوتهم وأعمالهم ، فعاد الخباز للمدينة وباشر عمله من جديد في فرنه ، وبسبب قرب الفرن من قصر الحامية كانت له علاقات حسنة مع رجال الحامية ، فيأخذون من عنده الخبز ، فيدفعون الثمن أحيانا وأحيانا كثيرة لا يدفعون ثمن خبزهم ، ومع ذلك كان يمدهم بالخبز الساخن ، ويدفع لهم ما يستحق عليه من الإتاوة لملكهم الضبع ولهم ، ولقد كان لهذا الخباز ولد وحيد اسمه جبل ، فكان جبل عندما رجع أبوه إلى المدينة المهزومة صبيا ذا عشر سنوات ، وكان صبيا نشيطا وذا بنية قوية مع فطنة وذكاء ملموس ، فكان مجدو الخباز يرسله بالخبز إلى رجال الحامية صباحا ومساء ، فتعمقت علاقة الغلام بالفرسان داخل القلعة ، واعجبوا بخفة حركته وذكائه ونشاطه وسرعة تنفيذه للأعمال

التي يكلفونه بها .

واهتم بجبل أحد قادة الحامية ، فأخذ يعلمه السيف وركوب الخيل ، فوجد منه ذلك القائد حماسا وحبا للفروسية ، وكان يطمع هذا القائد بأن يجعله هو وعدد آخرون من الصبية من رجال الحامية عندما يكبرون ويصبحون رجالا ؛ لتعويض أي نقص في رجال الحامية نتيجة موت أو اغتيال بعضهم ، وقد حدث خلال السنوات الماضيات انقسام رجال الحامية إلى حزبين ، فكان من أثر هذه الانقسام المزيد من العذاب والسخط على سكان المدينة ، فكل جماعة تحاول أن تجمع أكبر قدر من الأموال ؛ لتثبت للضبع أنها الأحق باستلام قيادة الحامية ، فكل صراع يحدث داخل القلعة يترك أثره على الناس والشعب الضعيف إلى أن غضب الغضبان حاكم الحامية وحزبه على الحزب الآخر الذين من ضمنهم القائد الذي ضم جبلا وبعضا من شباب المدينة لجنده الخاص الذين جندهم جبل للعمل في خدمة هذا القائد .

وفي الفتنة الأخيرة تجاوز جبل العشرين من العمر ، وحبس الغضبان قادة الحزب الآخر ، واعتقل ناسا من سكان المدينة ، منهم الخباز مجدو لعلاقته القوية مع الحزب الآخر ، وفي ساعة غضب وسكر أمر القائد الغضبان بالفتك بخصومه ، والخباز معهم ، ومن أوقعهم نصيبهم في قبضته تلك الأيام العصيبة ، وقتل أيضا خصمه القائد ، فاشتد غضب الناس لهذه المذبحة الرهيبة الظالمة ، وشكوا أمرهم للملك الضبع الذي أيد الغضبان ،وأرسل إليه مددا يدعمون ملكه وجبروته فازداد طغيانا وإثما .

وفي أثناء حملة التصفية والصراع الأخير بين رجال الحامية ومن يلوذ بهم من أهل المدينة كان الشاب جبلا خارج المدينة ، ووصل إليه الخبر بقتل أبيه فصعق لهول الأمر ، وكان برفقته شابان من سنه وجيله ، أولهما شاب قد تدرب مع جبل في داخل الحامية ينادى " هزبر "، ولقد كان والده فلاحا ذا أطيان قتل يوم دخول الملك الضبع بلاد الدب ، وأما الآخر فهو " ثعلبون " وهذا ابن جندي استسلم يوم المعركة التي مر ذكرها فقتلوه بعد الأسر ، فهؤلاء الثلاثة أصدقاء طفولة ، ثم أصبحوا أصدقاء في ظل رجال الحامية ، فتعلموا المبارزة

والفروسية في قلعة الغضبان الحاكم .

فلما جرت حادثة مقتل الخباز مجدو الساحر ،كان جبل ورفيقاه في الصيد بين السهول والصحارى ،فلما نقل إليه الخبر المفجع أثناء عودته للمدينة لم يدخلها ، وأقسم أمام صديقيه هزبر وثعلبون بالانتقام من الغضبان بل من كل رجال الحامية وطردهم من المدينة ، فعاهده صديقاه على الوقوف معه في هذا الأمر والتعاون معه لحقدهم الدفين على هؤلاء الجنود الغاصبين .

واتخذوا وكرا في الجبال المحيطة بالمدينة من جهة الشرق " الجبل العملاق "، ونشطوا في تجنيد الشباب الحاقد الناقم لمقتل أب أو أم أو أخ أو ابن أو عزيز عليه ، وقام الفرسان الثلاثة بتدريب هؤلاء الشباب خفية عن عيون وجواسيس الحامية ، وقد وضح الهدف أمام أعينهم ، وهو تحرير المدينة من الغزاة والثأر من الظالمين ، وما كاد ينصرم العام حتى كان بين يدي الفرسان الثلاثة ما يزيد عن مائة ثائر متمرنون على القتال ، فاتفقوا بينهم البدء بالانتقام ، واتفقوا على خطف أحد رجال الحامية الأقوياء لبث الرعب في قلب الغضبان وأعوانه ، فوقع الاختيار على خطف الزعيم جحدر أحد نواب الغضبان الأربعة في أيام غيابه أو ذهابه للقاء الملك الضبع ، وكان الرئيس جحدر يسكن في منزل خارج قصر الحامية ، فهذا أحد الدوافع القوية للبدء به في حملة طرد الغزاة ، وفي ليلة ماطرة أعد الكمين ، فتسلل جبل وبعض الفرسان ليلا إلى المدينة منحدرين من أعلى الجبل ، وكان من عادة جحدر هذا الانصراف من القلعة بعد منتصف الليل ، ومعه عدد قليل من حرسه ، وقبل أن يصل إلى منزله كالمعتاد أحاط به الكمين وأردوا حرسه بين قتيل وجريح ، وتم خطف الرئيس جحدر بسرعة ، ونقل على متن دابة إلى منزل في المدينة أعد لهذه الضربة القوية ، وألقي فيه مكبلا بالحبال ، وقد كان جحدر من أشد الناس قساوة على العباد ، ولا رحمة تجدها في قلبه ، وهو رجل الغضبان القوي ولما علم الغضبان من الجرحى بخطف نائبه جحدر غضب غضبا لا مثيل له ، وأمر رئيس الشرطة بالبحث عنه وعن الخاطفين فورا ، فوجده الرئيس بعد أيام مقتولا ، فانزعج الغضبان

واشتد حقده وغضبه لمقتل رجله جحدر ؛ ولكنه لم يكد يضع خطة الانتقام حتى جاءه خبر صاعق آخر يفيد بأن رئيس شرطته هو الآخر رحل إلى العالم الثاني ، فأصدر الغضبان أمرا بقتل عدد من السجناء تنفيسا لغضبه وتدمير الحي الذي وجدت به جثة كل من جحدر ورئيس شرطته لقذف الرعب في نفوس الأهالي .

ورد الناقم الثائر جبل ورفاقه باقتناص المزيد من جنود الحامية ، فاستشاط الغضبان جنونا وسفكا للدم الحرام ، وقد تفاعل الناس مع هذه الأحداث المنظمة مع شدة ما يلقون من اضطهاد وعذاب نتيجة تلك الأحداث ؛ ولكن كان الموت في نظرهم تلك الأيام العصيبة خيرا من الحياة بذلة وهوان ، فأمام الحرب المعلنة على رجال الحامية ، أرسل الغضبان يخبر مولاه الضبع بما يجري في البلاد ، فأرسل الملك الضبع قائدا جديدا للحامية اسمه مرعب ؛ ليستلم السلطة في القلعة ، ومعه كتاب عزل الغضبان والأمر بعودته إلى مدينة العقرب الأحمر ولقطت عيون جبل الخبر ، فوضع الفارس جبل كمينا جريئا للقائد الجديد مرعب وحاشيته قبل وصولهم للمدينة وقتلوهم قتلا ذريعا ، فكبر الخوف في قلب الغضبان وزاد هيجانه وفتكه بالناس ، ولما علم الملك الضبع بالمصيبة الأخيرة بعث قائدا آخر ، واقتيد الغضبان إلى سيده مكبلا بالحديد والقيود هو وأعوانه متهما باغتيال وتصفية القائد مرعب والتقصير في السيطرة على المدينة ، فطرح في السجن حتى ينظر في شأنه .

وقد حاول القائد الجديد المسمى " النمر الأبيض " رفع المظالم عن السكان وتخفيف الضرائب عنهم ، وأظهر لهم حبه للعدل ، فعفا عن عدد من الناس المساجين ؛ ولكن هذا الأمر والتزييف لم يطل ، فما كاد يتعرض أحد أخصائه للموت حتى كشر عن أنيابه وعاد لأصله وما ربيّ عليه من الظلم وسفك الأرواح والدم ، فصار يحبس الناس على التهمة والشبهة بالانتماء لعصابات الجبل .

وبدأ الصراع الحاد يشتد بين رجال الجبل الذين كانوا يزيدون مع كل ضربة لعدوهم ومع كل طغيان يرتكبه الغزاة وبين رجال الحامية ، فأصبح تحت قيادة جبل وهزبر وثعلبون ما يقارب

من خمسمائة فارس يرغبون بالثأر والموت لرفع الظلم والذل والهوان عن المدينة ، وقد صار لجبل عيون أكثر يعملون في المدينة ، وحتى في نفس القلعة الغاصة بالجند ، وجعل جبل لكل خمسين رجلا من رجاله قائدا ، وتشاور الفارس المشهور في ذلك الحين بابن الخباز مع قادة الفرسان العشرة ورفيقيه هزبر وثعلبون ، فاقترح بعض المتحمسين بعمل هجوم مفاجئ على القلعة وطرد الحامية ، ولكن كثرة جنود الحامية منعتهم من التفكير في مثل هذا الاحتمال ، وكذلك شبح عودة الملك الضبع للمدينة مرة أخرى ، فهم لا يستطيعون محاربة الضبع وجنوده الجرارة في الوقت الحاضر ، فوضع جبل خطة بأن يرحل عدد من الرجال الأذكياء إلى بلاد الضبع ، ويرسلون لهم أخبار وتحركات الملك الضبع ومحاولة التخلص منه إذا أمكنهم ذلك ، فاختار جبل عشرة منهم ، وعلى رأسهم الفارس هزبر ، ومن ضمنهم شاب له معرفة واهتمام وعناية بالحمام الزاجل ، فأخذوا معهم عددا منه لبلاد العقرب ، وأمرهم جبل بالدخول إليها على ثلاث دفعات ، وانطلقت عيون جبل إلى بلاد العقرب الأحمر ، واستمر ابن الخباز باصطياد وتصيد رجال الحامية فردا فردا واثنين اثنين حسب ما تأتيه رسائل جواسيسه ، وذاك النمر الأبيض يزداد إجراما في الناس ، ثم أغار جبل ليلة على حراس الحامية وسقط في تلك الغارة عدد كبير من رجال النمر الأبيض مما دعاه إلى طلب المزيد من الفرسان من سيده الضبع ، وكانت جواسيس الملك الضبع في الحامية أيضا تنقل له أخبار الحامية والمدينة والرعب الذي سيطر على الجنود ، ولم يعد أحدهم يخرج وحده من القلعة ليلا أو نهارا خوفا من رجال ابن الخباز أو حتى من غدر الأهالي .

ولما اطلع الضبع على هذه الأحوال فعقد مجلس حرب ، وتقرر على أثره إرسال حملة قوية لمطاردة رجال الجبل وإعادة الهيبة لسلطة الحامية ، وسحق كرامة الناس في مدينة الدب القطبي فأمر بتجهيز ثلاثة آلاف فارس أهل لمطاردة الجيوش في الجبال والوديان للقضاء التام على الفارس جبل وأتباعه ، الفارس الذي قض مضجع الملك الضبع تلك الأيام ، وتولى قيادة الحملة رجل قوي شرس من رجال الضبع المشهورين بالحرق والتدمير ، فكان القائد الجديد

لهذه الحملة ، هو الأمير ظالم وهو ابن أخ الملك الضبع ، وهو اسم على مسمى كما يقولون ، فتجهزت الحملة خلال أيام ، وكان هزبر ورفاقه قد بعثوا رسالة بواسطة الحمام الزاجل الذي يمتاز بالحفظ للاماكن التي ربيّ فيها ، وفي نفس الوقت أرسلوا رجلا منهم يخبرهم بأمر الحملة وينصحهم هزبر بإخلاء الجبل خوفا من بطش الأمير ظالم لكثرة الجنود المصاحبين له ، ويعلمهم أنهم لا يستطيعون الغدر بالملك الضبع وصعوبة الوصول إلى قصـره الذي يقع في قلعته المرعبة .

ووصل الرسول بعد وصول الحمامة ، فسر القوم من الحمامة ، وسمعوا رسالة الرسول ، فطلب جبل من رجاله على الفور بإخلاء الجبل والابتعاد عنه فترة من الوقت ، فهم لا يستطيعون محاربة جيش مرة واحدة لقلة عددهم وضعف تدريبهم لملاقاة الجيوش ، وقد حاول البعض الاعتراض ، فبين لهم جبل أن الهرب المؤقت في مثل هذه الأحوال خير من المواجهة ، ثم يعودون للكر من جديد ، فأطاع الفرسان أميرهم ابن الخباز ، وتفرقوا إلى جبال أخرى ومدن مجاورة وإن ظلوا على اتصال مع بعضهم بعضا حتى يروا ما يفعله القائد ظالم .



فلما اقترب الأمير ظالم من مدينة الدب خرج النمر الأبيض مرحبا ، وشكى له قلة الفرسان وقوة المتمردين الثائرين فرد عليه ظالم باحتقار : أيها الفارس .. أنت رعديد جبان .. ثلة من الأطفال يقودهم ابن خباز .. طفل ربيتموه وصنعتوه في القلعة يفعل بكم هذه الأفاعيل ! .. لقد نسيت واجباتك واشتغلت باللهو والحفلات .. ماذا أقول ؟! ابن خباز ابن عجان ! .. صبي سخر منكم ..وأزعج ملكم .. وتعجزون عن حماية أنفسكم .. ويحكم !.

فاحمر وجه النمر غضبا وقال : أيها الأمير أنت تعرف من هو النمر الأبيض ؟ .. لقد خبرتني في معارك هائلة .. إنهم يكرون علينا في جنح الظلام .. وليس مواجهة فيلق بفيلق .. إن

سلاحهم الغدر والاحتيال والغيلة .

ـ هذا ما هو عذر .. أيها الجبان .. أين جواسيسك ؟ أين المتعاونون معك ؟ أين جلادك ؟ أين رجالك ؟ كان عليك أن تطاردهم في الجبل وتمحقهم عن بكرة أبيهم ولا تبقي منهم أحدا ..

ودخل ظالم المدينة هائجا ، وعاث جنوده فيها فسادا وفتنة ، ثم أمر فرسانه باقتحام الجبل ، وقتل كل من يجدونه فيه ، وتنقيب الكهوف كهفا كهفا ، ومكثوا أياما يبحثون وينقبون حتى ملوا ، ولم يقبضوا على إنسان واحد ، فاحتد الظالم غضبا وشماتة على النمر الأبيض ، وأرسل عيونه يبحثون عن ابن الخباز ، ووضع جائزة كبيرة من المال لمن يساعد في الدلالة على أي رجل من رجال الجبل ، وقضى الجند شهرا في الجبال دون فائدة ترجى فهبطوا للقلعة .



لقاء جبل وقيس

وأما جبل بن مجدو الساحر فانطلق بمائة فارس نحو مدينة الظاهر ، وهي مدينة لا تخضع للملك الضبع ، وتبعد مسيرة عشرة أيام عن بلاد الدب ، وعندما اشرفوا عليها التقوا بمعسكر لجيش ، وخيام منتشرة في صفحة جبل ، وقرب نبع ماء ، فلما اقتربوا من الماء أحاط بهم فرسان على صهوات جيادهم وهم مشرعو رماحهم ، فطلب جبل الحديث مع رئيسهم ، فمشى أحد الرجال أمامه حتى أوصله للرئيس ؛ فإذا هو شاب من جيله يبدو في العشرين من عمره ، فذكر له جبل نـفسه وبعضا من قصته مع الملك الضبع الغاصب لبلاد الدب ، فعانقه الشاب ورحب به ترحيبا كبيرا ، وذكر له أن اسمه "قيس بن ربيع "، وهو من بلاد الدب ، وسره الاجتماع به ، وأمر قيس عشيرته وإخوانه بحسن استقبال رجال الفارس ، ثم أعلمه بعدما دخل به خيمته الكبيرة المنصوبة وسط الخيام أن والده كان من قادة الملك شامة بن غلان المقتول ظلما وعدوانا قبل أكثر من عشر سنوات ، وهؤلاء الناس والفرسان كلهم قبيلته التي كانت تقاتل مع الملك شامة الملك الضبع ، وقتل منهم من قتل ، ومن ضمنهم والده القائد ربيع ، وهم ينزلون بجوار ملك وصاحب بلاد الظاهر ، وهم يستعدون للكرة على الملك الضبع وتحين الفرصة المناسبة للثأر لإبائهم وأجدادهم ، وأبدى الأمير قيس وشيوخ عشيرته سرورهم بجبل وفرسانه وأخبارهم ، وعجبوا من أفعالهم في أعوان الملك الغاصب ، وفي النهاية قال قيس بن ربيع : هل يا ترى يطاردونكم أيها البطل ؟!

قال جبل : ليس ذلك مؤكدا ، ولنا رجال في المدينة ، وحتى لنا أعوان في عاصمة ملك الضبع نفسه .

قال قيس : مرحبا بك أيها الفارس ! واعلم أنه لنا أكثر من عشر سنوات نحشد الرجال والشبان والفرسان ، ونحن في انتظار مجيء الأمير سليل بن شامة من بلاد الريح ، وننتظر فرصة تلوح في الأفق يضعف فيها الضبع ، ونكر على المدينة الجريحة ، ونحررها من رجال الطاغية .. فحياكم الله .

وبعدما أكرم الأمير قيس جبلا ورجاله بطعام لذيذ ، اقترح عليه قيس أن يضم رجاله لرجال قبيلته ، فقال جبل : يشرفني ذلك أيها الأمير .. وهدفنا واحد .. ولكن كما يبدو لي أن أمركم طويل ، وتنتظرون الأحداث الكبار ، وأنا ورجالي سنستمر في مقارعة حامية الضبع وجنوده حتى يقضي الله أمرا مفعولا ..وعندما تجهزون للهجوم الشامل فسوف أكون أنا ورجالي بين أيديكم .

فشكره الأمير قيس ثم قال : افعلوا ما شئتم أيها الفرسان .. وابقوا على اتصال معنا

ـ أكيد .. سأفعل هذا يا سيدي الأمير !.. فنحن أبناء وأهل وطن واحد .

لما قتل القائد ربيع ، وهرب الناس والجنود ومن نجا من المعركة الكبيرة الفاصلة للدفاع عن ثرى المدينة ، كان ممن هرب الأمير قيس الصغير مع أمه واخوته الصغار وشيوخ العشيرة والمرضى والنساء والأطفال ، واستقر بهم المقام عند صاحب مدينة الظاهر الذي رحب بهم وواسهم وأسكنهم في طرف المدينة ، ولحق بهم الناجون من قبيلة القائد ربيع ، فاجتمع في المكان الرجال والنساء والجرحى والكبار ثم التئم شمل العشيرة من جديد ، ومع الأيام خفت حدة حقدهم على الضبع وتناسوا قتلاهم وسلموا الأمر لله ، وكانوا يفرحون عند سماعهم بفشل للضبع أو جيشه ، ويحزنون عندما يسمعون بانتصار جديد له على ملك من ملوك الدنيا ، وقد نصبت العشيرة قيسا الشاب سيدا وشيخا للقبيلة ، ولهم أكثر من عشر سنوات يعدون الفرسان والرجال ليوم الثأر ومسح العار ، وهم على اتصال دائم مع الملكة الأم " جملة بنت يوسف " بل خطب الأمير قيس جميلة بنت شامة .. ، وينتظرون فرصة مناسبة لعقد النكاح والزواج ، وذلك عن موافقة ورضا الأمير سليل الوارث لملك شامة .

وجاءت الأخبار للفارس ابن مجدو بأن الأمير ظالم يستعد لمطاردتهم بعد أن اقتحم رجاله الجبل ومكثوا فيه شهرا من غير فائدة ، واتفق ظالم مع رؤساء جنده على مطاردتهم في كل الدنيا .. ولما علم جبل ذلك الخبر أرسل وراء رجاله للعودة خفية إلى الجبل قبل أن يبدأ ظالم بمطاردتهم ، وفي الجبل العملاق اجتمع جبل برجاله وقال لهم : سنصنع كمينا مدمرا لظالم

وفرسانه ، ونجعل الجبل ملحمة خالدة .

وصعد الفرسان القابعون في المدينة سرا إلى الجبل ، وملأ رجال جبل الجبل ، وأبلغ جبل رجاله أنهم إذا سمحوا لظالم بمطاردتهم هنا وهناك ، فسيكون هذا خطرا كبيرا على فنائهم ، ويصبحون تحت رحمة الملوك الذين يلجئون لبلادهم ، وقد يقعون في حماية بلد يخضع للملك الضبع ، فعليهم بقتال العدو قتال المستميت ، وذهل الجميع أمام الحقيقة التي وضعهم تحتها الفارس ، فما كان أمامهم إلا القتال حتى الموت ، ولم يطل الانتظار فقد أصدر الأمير ظالم أمرا للنمر الأبيض بأن يقود ألفين من الفرسان والجنود في حملة مطاردة في المدن والقرى المجاورة لتلك الجبال العملاقة ، وبدأت الحملة تصعد منحدرات الجبال العالية ، فلما دخلت الحملة أحد الوديان العميقة والضيقة تدحرجت عليها الحجارة الضخمة حينا من الوقت ، ثم هجم عليهم فرسان الجبل ، فدارت معركة رهيبة يشيب لها الولدان ، قتل فيها النمر الأبيض ومن معه قتلا ذريعا ، ولم يبق منهم أحد ، وغنم جبل خيلا وبغالا وطعاما وسيوفا ورماحا وأموالا كثيرة .

ولما علم ظالم بالكارثة جن جنونه ، وقتل من حرسه خمسة من شدة غضبه وثوران قلبه ، وهو يصيح بأعلى صوته : ويلكم !.. ويلكم ..! ألم تخبروني أنهم فارقوا الجبل وهربوا ؟؟ ولد جبان ابن خباز يصنع بكم هذه الأعاجيب .. ألا لعنة الله عليك يا غضبان لماذا قتلت ذلك الخباز ؟!

وأمر بتحرك الجند نحو الجبل ، وكانت معركة أخرى في الوديان ، وفشلوا أمام تساقط الحجارة ، وهربوا بعدما فقدوا عددا آخر منهم ، فمرض الأمير ظالم ، وفقد صوابه من شدة الفشل ، وصمم أن يخرج بنفسه للقاء هؤلاء الفتيان ، وكان من نتيجة هذه الانتصارات الساحقة على جنود الضبع أن لحق كثير من شباب المدينة بجبل وفرسانه ، فقد بهرتهم شجاعته وزال عنهم اليأس والتردد في مقارعة ومقاومة الحامية الظالمة .

وبينما الأمير ظالم يجهز حملة جديدة ليقودها بنفسه للانتقام ورد الاعتبار ، جاءته رسالة عاجلة من الملك الضبع يأمره بإخلاء المدينة والعودة للبلاد ، فهم يتعرضون لغزو من الملك جبرون

عدوهم العنيد حاكم بلاد التين ، فجن جنون ظالم ، وترك حامية من بقايا الجند الذين جاء بهم وعلى رأسهم قائده " جمرة " وانصرف عائدا لملكه .

ولما سمع جبل بهذه الأخبار وتأكدت له ، وليس في الأمر خدعة ، ثم جاءته رسالة بالحمام الزاجل تبين له دوافع انسحاب ظالم ، فتحرك بسرعة مهاجما القلعة ومستغلا الفرصة لطرد الحامية ، وبعد حصار يسير من رجال الجبل والأهالي استسلمت الحامية لجبل ، وتركوا أموالهم وسلاحهم ، وحجز جبل بعضهم رهائن في سجن القلعة ، وأذن للآخرين بالرحيل لملكهم سالمين ، وأعلن الناس والفرسان جبلا زعيما وحاكما وقائدا للمدينة وأميرا للبلاد ، ولقد أصبح ابن الخباز سيد بلاد الدب القطبي ، وأرسل جبل وراء صديقه هزبر وجعله وزيرا له ، وعين ثعلبون قائدا للجيش الناشئ والحرس ، وحث الناس على إعادة ترميم الأسوار والأبراج بأعلى سرعة قبل عودة جيوش الضبع ، وجند جبل كل الشباب ، وامتلأت المدينة بمعسكرات للتدريب ، فأمست مدينة الدب مدينة حرب .

ولما رجعت جيوش الضبع مهزومة من مدينة الدب ، غضب وثار الملك الضبع على ابن أخيه ظالم ، وألقى به في السجن مع الغضبان حتى تنتهي الحرب بينه وبين الملك جبرون والجيش الذي يحاصر بلادهم ، وبعد معارك شديدة خاضها الفريقان ، وقد استمرت بضعة أشهر تم الاتفاق بين الطرفين على إنهاء الحرب ردحا من الزمن ، فعاد الجيش الغازي بهدنة مؤقتة ، ورجع الضبع لقصره فعزل وولى وقتل وحبس .



رحيل الفارس

هدأت الحروب قليلا وارتاحت النفوس ، وسكن الضبع قليلا ثم أحضر ظالما بين يديه ، وقام بصفعه وبصق على وجهه ووبخه واحتقره ، وهو يصرخ ويسب عليه ثم قال : ثلة من الصبيان يجعلوننا أضحوكة أمام ملوك الأرض .. أطفال يصنعون برجالك ما صنعوا وأنت القائد العظيم .. فارس بلاد العقرب .. ماذا أقول لك ؟!



وكان الضبع يتكلم هذا الكلام بصراخ وغضب ، وكان ظالم يتذكر نفسه وهو يتلقى هذه الكلمات المهينة ما قاله لقائد الحامية النمر الأبيض المقتول ، وكانت عيناه مثل النار ، فصاح في عمه من القهر والغيظ قائلا : مولاي الملك .. دعني واصفح عني ، ولسوف اسحقهم سحقا وأطاردهم جميعا ولو وصلوا بلاد الريح .. اعطني فرصة أخيرة .. ولسوف ترى ما يفعل ابن أخيك ؟

ـ حسنا أيها القائد الجبان .. سأجهزك بألفي رجل فقط ، وأريد منك أن تحرق مدينة الدب حرقا ، لا أريد أن أسمع باسمها ثانية .. اقتل الرجال .. اسبِ النساء .. وأن تأتيني فوق ذلك بابن صانع الخبز حيا .. أريده حيا .. أتسمعني .. حيا يا ظالم ؟ .

ـ أمرك يا مولاي .

فصاح الملك الغاضب وهو يبصق عليه مرة أخرى : خذ معك ذاك الجبان المسمى الغضبان ، وما هو بغضبان .. إن لم تأتوني بابن الخباز .. لا أريد أن أراكم أحياء ..

ونقل لجبل أخبار هذه الحملة الجديدة على جناح حمامة ، فاتخذ قرارا جريئا وشجاعا ، وهو أن

يصنع كمينا لجنود ظالم في الطريق بين المدينتين ، فاختار ألفا من الفرسان ، واتخذ حذره من جواسيس الضبع ، فمنع خروج الناس من المدينة حتى يرجع من الكمين ، وفي موقع مناسب في الطريق بين المدينتين ، وضع جزءاً من فرسانه ، وطلب منهم إخفاء أنفسهم جيدا ، والابتعاد بخيولهم إلى حينما يدخل رجال الضبع الوادي ، ويصبحون في منتصفه ، فيطبقون عليهم من الامام والخلف ، ويحشرونهم بينهم ، وتقدم جبل بنصف الجيش للأعداء منتظرا وصول الخصم ، ودخل ظالم والغضبان وجنودهما الوادي وهم مطمئنون ، ويتلمظون شوقا لتدمير مدينة الدب والقبض على فارس المدينة ، وتراهم يودون الوصول لمدينة الدب بسرعة الريح ، ولما تقدموا في الوادي تجاه مدينة الدب تبعهم جبل والذين معه ، وسار خلفهم رويدا رويدا ، وقد تبعهم فرسان جبل بحذر شديد ، ولما رأوهم قد اشتبكوا بالفرسان الذين أمامهم هجموا عليهم من الخلف ، ودارت ملحمة أخرى ، وسقط القتلى والجرحى ولم ينج من رجال الضبع إلا من استسلم ، ووقع ظالم والغضبان أسرى ، واقتيد الأسرى للمدينة أذلاء مهانين ، وعلى مرأى من أعين سكان المدينة استل الفارس جبل سيفه ، واجتز به رأس الغضبان قاتل الخباز مجدو ، وقام ثعلبون بقطع رأس الأمير ظالم ، وأمر الأمير جبل بتعليق جثتيهما ليراهما الناس ، فهم لا يزالون يذكرون جرائم الغضبان وأفعاله القبيحة مع السكان ، وازداد حب الناس للأمير جبل والفرسان .

ولما علم الضبع بالكارثة الأخيرة هم أن يخرج بنفسه لقتال الفارس جبل وفرسانه ، ولكن خشي من أعدائه أن يستغلون فرصة غيابه وخروجه ، ويطول الحصار فيهاجمون مدينته ، فهو لم يترك ملكا قريبا منه إلا أساء إليه ، فقال لوزيره شمروك : أيها الوزير ما العمل بهذا اللعين ؟ لقد استقوى على فرساننا وقتل ابن أخي والغضبان والنمر الأبيض وقبلهم مرعب وجحدر ؟ فكر الوزير قليلا وقال : أيها الملك .. لابد من قتله وسفك دمه وجعله عبرة للناس وعبرة لمن اعتبر ؛ فإن هيبتنا ضعفت وأهينت منذ تصالحنا مع الملك جبرون ، وظهور هذا الفتى في الميدان ، ونحن اليوم نعاني من شدة ، فأرى يا سيدي الملك أن تجهز جيشا كبيرا لتدمير بلاد

الأمير جبل عن بكرة أبيها .

ـ ألا تخشى على بلادنا من الأعداء المتربصين ؟

فرد الوزير على تردد الملك فقال : يذهب نصف الجيش ، ولا أتصور أحدا ممن حولنا يفكر بالاعتداء علينا لمعرفتهم بشدة بطشنا وقسوتنا .

ـ حسنا أيها الوزير جهز نفسك لقيادة الحملة .

ـ أمرك يا مولاي .. ولكن أريد قبل أن يعرف الناس بأمر الحملة أن تمنع خروج الناس من المدينة حتى لا يتسرب أمرها لجبل ؛ لهذا فاسمحوا للناس بالدخول فقط حتى أصل لبلاد الدب .. فلابد أن لهذا الرجل المجنون من أعوان هنا ينقلون له أخبارنا أولا بأول .

فأصدر الملك الضبع في الصباح الباكر أمرا بإغلاق أبواب المدينة كلها ، ولا يؤذن لأحد من الناس بالخروج إلا بكتاب وإذن من الملك نفسه ، وعدم الممانعة بدخول الناس إليها لأمر خطير ، ولكن خبر الجيش الزاحف علمه جبل عن طريق الحمام الزاجل ، فأظهر امتنانه لهزبر وصاحب الحمام على هذه الطريقة في المراسلات ، وقال لهما : لقد نفعت حماماتكم نفعا مهما فقد جاءت رسالة وفيها خبر حملة كبيرة جديدة بجيش ضخم على بلادنا بقيادة الوزير شمروك بنفسه لحرقنا.

فعقد جبل مجلس حرب لقادته ورؤساء الفرسان والجند ، واتفقوا على أن يطلبوا المساعدة ممن حولهم من الملوك للتصدي لجنود الضبع مع تعزيز الحماية للأبواب والأسوار .

وكان صاحب مدينة الظاهر قد تلقى رسالة من الأمير جبل ينشده المساعدة ، واتصل هو بدوره بالأمير قيس وأطلعه على الحال ، فاجتمع قيس برجال قبيلته وتدارسوا الشأن ، فقال له بعضهم : " نحن لا نقاتل تحت راية هذا المغامر .. اخبر الأمير سليلا وأمه الملكة بالأمر ، وحثهم على العودة للبلاد ، فإن وافقوا على العودة للبلاد نعود معهم " .

فأرسل الأمير قيس وفدا إليهم ليقص عليهم أخبار المدينة الأخيرة ، وأن البلاد تتعرض لهجوم شرس من الضبع ، والأهالي بقيادة الفارس جبل يدافعون عنها ، ويطلبون المزيد من

المحاربين للصمود وصد الغزاة ، وأن رجال العشيرة لا يرغبون بالقتال تحت راية الأمير جبل وأنهم يرغبون بالقتال تحت راية الملك الوارث سليل بن شامة .

تركت الملكة الأم بلاد الريح بلاد الملك الجفال ، هي وابنها الشاب الفارس والفرسان الذين معهم ، وساروا نحو مدينة الظاهر فرحب بهم حاكمها ، واجتمعوا بالأمير قيس ، وتقرر على أثر هذا الاجتماع أن يذهب الأمير ليث بن أحمد ابن الوزير المقتول مع الملك شامة للاجتماع بالأمير جبل وفرسانه والاتفاق معهم على عودة الملك الشرعي لبلاد الدب القطبي ، ومحاربة الملك الضبع تحت الراية الملكية .

فحمل الأمير ليث الرسالة المختومة من الملك سليل التي تؤيد سفارته للفارس جبل ، فوصل للمدينة المحاصرة منذ أيام والتي تقاوم وتقارع فرسان الضبع ببسالة وهمة عالية ، ونقل ليث للأمير جبل ورجاله رغبة الملك سليل بالعودة لبلاده واستلام حكمها ، وبين لهم وذكرهم بأنه هو صاحب الحق في الولاية عليها ، ووراثة عرش آبائه وأجداده ، ودار جدل كبير بين وفد الملك سليل بقيادة الأمير ليث ورجال الأمير جبل ، وقرأ الأمير جبل رسالة الملك سليل التي يبين فيها شكره الجزيل والعظيم للفارس ولكل الثائرين والأمة أيضا ، وأن صنيعهم لا ينسى وأن محاربتهم للملك الضبع لا تنقل ولاية العرش إليهم ، وأنه من حق الملك سليل المطالبة بعرش الآباء والأجداد ، وأعلمهم فيها أن الملك شامة دافع عن البلاد وعن ثراها حتى أصابه الموت ، ولم يفرط بشبر واحد منها ، وأن الملك سليل سوف يكرمهم ، ويعترف بفضلهم ، ويمنحهم الأوسمة ، والمناصب اللائقة بهم وبشجاعتهم ، ولما اطلع القوم على رسالة الملك وما فيها من أفكار وحقائق لا تغيب عن الأذهان ، وأمام هذا الظرف الشديد الحرج ، وخوفا من الانقسام والصراع على ملك مهدد ، قال الأمير جبل منهيا الجدال والنزاع : أيها القوم .. نحن نريد الدفاع عن بلادنا وأرواحنا ودمائنا..وكلنا أبناء هذا البلد .. وأنا لم أثر على الحامية طامعا بملك وتاج ..فمرحبا بالملك سليل بن شامة وألف مرحب ..الملك على العباد والبلاد والملك شامة هو الملك الشامخ الذي قاتل عن هذا الثرى حتى قتل هو وأولاده شبرو وماجد

فمرحبا بالملك سليل ملكا علينا .

ورجع الملك سليل ومن معه من الأهل والأقارب والأصدقاء والهاربين إلى مملكة الآباء إلى المدينة المحاصرة ..واستمر الوزير شمروك محاصرا للمدينة شهورا حتى أرسل الضبع وراءه آمرا له بالعودة على الفور ، فعدوهم جبرون يحشد جيوشه ، ويجمعها لغزو بلاد العقرب والدخول في حرب جديدة ، فارتد الوزير خائبا لبلاده وهو في غيظ شديد .

وفرح الناس باندحار جيش الضبع ، وتم الاحتفال بالنصر وبتتويج الملك سليل ملكا على بلاد الدب القطبي ، ولقد عم السرور المدينة ، وسر الناس بعودة أبناء الملك شامة والملكة الأم للحكم ، وعين الأمير قيس قائدا للجيش كما كان والده ربيع قائدا للجيش ، وعين الأمير ليث ابن الأمير والوزير أحمد وزيرا للبلاد ، ومنح جبل وفرسانه منازل الفرسان وقادة كتائب وفرق ، ولما هدأت الأحوال ، واستقرت الأمور تنازل الأمراء الثلاثة جبل وهزبر وثعلبون عن الرتب العالية والألقاب التي أعطيت لهم ، وغادروا البلاد حذرا وخوفا من انقسام الناس والجيش ، وترك هذا القرار ارتياحا لدى الملك ووزيره وقائد جيشه ، وسروا لذلك الفعل مع حبهم للفرسان الثلاثة وتقديرهم لجهودهم الجبارة في الانتصار على الضبع وحاميته .

فللنفوس حظها من الحسد ، وهم يخشون من أنصارهم المتعلقين بهم الفتنة في البلاد ، فلنترك الآن الملك سليلا يحكم بلاد الدب القطبي بالعدل والإنصاف ، ويقوي الجيش للدفاع عن البلاد أمام الغزاة والطامعين والأعداء ، ولم ينس الملك الشاب وصايا جبل ونصائحه بتقوية الأبراج والحراسات حول الأسوار ..وأيضا قبل أن نغادر مع فرساننا الثلاثة مدينة الدب القطبي نقول أن الأمير قيسا تزوج من الأميرة جميلة أخت الملك سليل ، وتزوجت أختها قسمة من الأمير ليث في نهار واحد .

مدينة الشرق

وفي أحد الفنادق كان جبل يطلب من صاحب الفندق حجرة تسع ثلاثة رجال ، ويوصي صاحب الخان على جيادهم الثلاثة التي قادها غلام الفندق إلى الاصطبل المخصص لضيافة الخيول ، وأعد لهم صاحب الخان طعاما في مطبخ الفندق ، ولما أخذ الأكل يستقر في بطونهم وأجوافهم قال هزبر متسألا: ما العمل أيها الأمير ؟!

فقال جبل : أشيرا عليّ أيها الوزير ويا أيها القائد ؟

فارتسم الضحك والتبسم على تلك الوجوه المعفرة بالغبار والعرق ، ثم قال ثعلبون وهو يضع كوب الماء بعدما أفرغه في جوفه : لنا زمن نتنقل من بلد إلى آخر ، فهل سنقضي عمرنا بالسفر والترحال هنا وهناك ؟

فقال هزبر : لا أعتقد أن هذا ما يفكر به الأمير جبل .. المعروف والمشهور بابن الخباز !

وضحك الفارس ثعلبون وهو يردد : لقد أصبح الخباز مجدو مشهورا !

فقال جبل مجيبا : حقا لا أدري !.. لعلنا نمضي العمر في السفر والترحال ، ولكن اعلموا أننا في استراحة ، ولا أظن أيها الفرسان أن الملك الضبع يستطيع أن يصبر طويلا على عدم غزو بلادنا ، فلابد أن يعود إليها ، ولابد لنا أن نعود إليها يوما ما .. وكما قلت لكم أيها الأصدقاء الأفاضل نحن لا يحق لنا أن ننازع الملك سليلا ملكه ، أو ننزع الملك من أسرة الملك شامة .. فشامة ملك عادل وشجاع ، وقاتل ودافع عن المدينة حتى الموت ، وكذلك وزيره أحمد وقائده ربيع .. لم يخونوا ولم يفرطوا في البلاد .. فمن أجل هذا التاريخ الناصع لا يحق لنا أن نتسيد على البلد عنوة ، وقد أخذنا ثأرنا والحمد لله ، أو لنقل بعض ثأرنا من الملك الضبع ، فقد قتلنا الغضبان ورجال الغضبان ، وقتلنا ابن أخ الملك الضبع .. فلا أظن أيها القوم الكرام أن الضبع ينسانا ، ولابد أن نلتقي مرة أخرى .

فقال ثعلبون : إذن علينا بالسياحة في الأرض .

فقال جبل : مؤقتا .. وهذه مدينة الشرق مدينة كبيرة ، كنت وأنا طفل أزورها بصحبة عمي ،

وفيها نهر كبير ، فلنسكن فيها ردحا من الزمن ، نتابع منها أخبار بلدنا .. وبعد أيام سيلحق بنا غلامننا الثلاثة ، ويأتون لنا بأخبار المدينة ، ولقد ذكرت لهم اسم هذه المدينة ، واسم هذا الفندق المعروف لكل التجار والمسافرين وسننتظرهم هنا .

فقال هزبر : هل سنبقى ونمكث هنا كثيرا أيها الصديق ؟

رد جبل بحيرة : لا أدري ! .. فلنصبر بضعة أيام ، فعندما يعود الغلمان ننتقل لبيت أوسع .. وسأزور صديق عمي وأذكره بنفسي ليساعدنا في استئجار مسكن لنا وللخدم .

سار جبل صباحا إلى السوق الكبير باحثا عن صديق عمه ، فوجده في متجره القديم ، وبين يديه غلمانه ، فعرفه الفارس بنفسه وذكره بعمه ، فتذكره التاجر رمضان ، ورحب بجبل ، ثم ترحم على عم وأب فارسنا الأمير جبل ، وعادت به الذكريات إلى السنوات الخوالي ورحلاته إلى مدينة الدب مع قوافل التجارة ، وقام الرجل باستئجار مسكن واسع للفرسان في قلب المدينة ، واشترى لهم غلاما وجارية هدية منه ؛ لتلك الذكريات ، فأثنى عليه الفارس الثناء الحسن ، وقص عليه بعضا من أخبار مدينة الدب ، وأن الملك سليلا قد عاد ملكا على البلاد ، وقد تحررت من قبضة الملك الضبع بفضل الله ومنه ، ففرح التاجر رمضان بهذه الأخبار ، وقال : الحمد لله على خلاصكم من ذلك الضبع السيء الذكر ، واعلم أنني منذ ضمها الضبع لملكه منذ ما يزيد عن خمس عشرة سنة لم أرحل إليها ولو مرة واحدة .. الحمد لله على فك أسرها .

ـ ولكن ذاك اللعين ما زال طامعا في حكمها وامتلاكها .

فقال التاجر والاسى واضح في نبرات صوته وقسمات وجهه : لقد حزنت كثيرا لموت الملك شامة ، فأنا أعرفه جيدا ، ولسوف أحرك تجارة لمدينتكم ما دام قد انحسر عنها حكم الضبع .. ثم ودعه قائلا : سيكون بيننا لقاءات أيها البطل جبل بن مجدو .. أنت من الشجعان ! .. فقد سمعنا بعض أخبارك .. والناس تتحدث بما فعل ابن الخباز بجنود الملك الغاصب الضبع ـ أهلكه الله ـ ولكن الذي لم يخطر ببالي أن تكون ابن الخباز مجدو أخ صديقنا .. لقد أكلت من

أرغفة أبيك الكثير .. رحمك الله يا مجدو .. رحمك الله .

وبعد مغادرة التاجر رمضان المسكن المستأجر ، ترك جبل الخادمين وانطلق إلى الفندق ، فوجد صديقيه ينتظرانه على أحر من الجمر ، فلما رأياه سكن روعهما ، فطمئنهما على نفسه ، وتحدث مع صاحب الخان وشكره ، وأعطاه ما استحق له عليهم من مال ووصف له صور غلمانهم الثلاثة ، ثم قال : احبسهم عندك ، وسأمر عليك كل يوم من أجلهما إما صباحا وإما مساء .. أيها الصديق !

فشكره صاحب الخان ، ووعده بالاهتمام بأمر الغلمان ، واعتلى الفرسان ظهور جيادهم ، وانطلقوا نحو منزلهم في مدينة الشرق ، فسر الفارسان للمسكن الجديد ، وكان همّ الفرسان الثلاثة ما هو الشأن القادم في حياتهم ؟ ورجع الغلمان من مدينة الدب ، وذكروا لهم أن مدينتهم تنعم بالهدوء ، ويعيش الناس في أمان يصاحبه قلق وخوف من المجهول ، وما يدبره لهم الضبع من المكر والكيد ! ومتى تأتي ساعة الانتقام ؟ .. فلقد كان الضبع في ذلك الوقت ملكا مرعبا ومزعجا لجيرانه ورجلا عدوانيا ، فشبح الضبع ما زال في قلوب وعقول أهل المدينة الكبار الذين عاصروا غزوه للمدينة ، وذكر الغلمان الثلاثة للفرسان الثلاثة أن الملك سليلا يحصن الأسوار ويقويها ، والجيش في تدريب مستمر ، وهم يستعدون لزواج الأميرين قيس وليث من الأميرتين جميلة وقسمة أخوات الملك سليل ، والناس يتحدثون عن ضياع اخوة الملك ، الأمير حريف والأميرة حظوظ منذ سنوات أثناء هربهم ورحليهم لبلاد الريح في آخر أيام الملك شامة ، ولا يعلم مصيرهم إلا الله ، وذكروا أيضا أن الضبع مازال مشغولا بالملوك حوله ، ولم يتفرغ بعد لمدينة الدب ، فقال هزبر متمنيا على الله الملك الجبار : نرجو أن ينسى هذا الشيطان أمرها للأبد .. وماذا يقول الناس عنا ؟!

فأجاب أحد الغلمان قائلا : الناس تثني عليكم خيرا كثيرا ، ويلهجون بذكركم وبشجاعتكم ، وهم يتمنون لو ظللتم بينهم للدفاع عن المدينة ، ويجاهر بعضهم عاتبا على الملك الشاب لسماحه برحيلكم ، وبعضهم الآخر يرى أن هذا التصرف من الحكمة لوحدة الأمة والشعب

والتفاف الجميع حول الملك سليل .

قال جبل مخاطبا الغلمان الثلاثة بعد أسابيع من عودتهم : أيها الأبطال .. من منكم سيذهب إلى مدينة الدب ليأتينا بأخبارها ؟.. أخبار قومنا وأهلنا .. فكما تعلمون نحن ابتعدنا عن قومنا خوفا من ضعف الأمة وظهور قيادتين في المدينة .. ونرغب أن نبقى على معرفة تامة ومستمرة بأحوال المدينة حتى نتدخل في الوقت المناسب .. فليذهب أحدكم ويمكث هناك نصف شهر وعندما يعود يذهب الآخر وقتا مثله ، ثم الثالث وهكذا حتى نبقى على اطلاع دائم على أحوال إخواننا حتى يزول خطر الضبع اللعين عن بلدنا.

فرتب الغلمان أدوارهم ، وانطلق صاحب الدور الأول مسافرا لبلاد الدب ، فالأمير جبل لا يريد أن تحدث فتنة بسببه ، واختار النفي الاختياري لمصلحة البلد ، وخشي من بقائه في مدينته المحبوبة وعودة الملك الشرعي من إحداث فتنة ، والصدام مع الأميرين قيس وليث ، وهو كذلك لا يريد في نفس الوقت التخلي عن مدينته وأهله أمام الملك الضبع .



غدر الخال

وصل خبر إلى أذهان الفرسان الثلاثة مفاده أن ملك المدينة وسيدها قد مات ، وأن القوم قد بايعوا ابنه الصغير أسعد وريثا وملكا على مدينة الشرق ، والذي أثار أذهان الفرسان أكثر أن خال الملك الصغير الجديد قام بعزله وخلعه وحبسه في سجن المدينة ، فاضطربت أحوال البلاد بين أنصار الملك المسجون وأنصار الملك الغاصب ، وانتشر الجند في الحارات والدروب والأحياء الصغيرة والكبيرة ، ولزم الفرسان بيتهم أثناء هذه الفتنة إلى أن طرق الباب عليهم ذات ليلة التاجر رمضان صديق عم جبل الذي فاجأهم قائلا : أيها الفرسان جئتكم بأمر خطير !.. ولولا معرفتي بشجاعتكم لما طرقت بابكم في هذا الوقت ؛ ولكني علمت من غلمانكم ومنكم أيضا الكثير من أخباركم .. وكما تعلمون أيها الأصدقاء أن البلاد يعصف بها محنة وفتنة وصراع على عرش الملك سعيدان ، وترون طمع الأمير ربيع وخلعه ابن أخته الملك الصغير أسعد ، وفرض نفسه حاكما على المدينة ، وملكنا الشرعي يقبع الآن في السجن وأنصار أبيه المخلصون يرغبون بتخليصه من السجن قبل أن يقتله الملك الغاصب خفية ، فيرغبون بإخراجه من البلاد خفية ، فقد كمل ترتيب الأمر بحيث يقومون بتهريبه من السجن بواسطة بعض الحراس المخلصين للملك الهالك ، وأريد منكم أن تحموه وتحرسوه وتوصلوه إلى مدينة اللؤلؤ التي هي شرق مدينتنا ، فأخته الأميرة " رشاء " زوجة ولي عهد تلك المدينة الأمير " خالد " .. ولن ينسى الملك الصغير لكم هذه المساعدة ، وكذلك نحن أنصار وأصدقاء الملك السابق .. لا ننسى لكم هذا المعروف إن شاء الله .

وبعد تفكير عميق ودقيق رحب الفرسان الثلاثة بالمهمة ، ووافقوا على حماية الملك الصغير والهرب به من مدينة الشرق إلى مدينة اللؤلؤ ، وانصرف التاجر رمضان بعد موافقتهم على القيام بهذه المهمة الخطيرة والشجاعة أيضا ، ولم تمض أيام قليلة حتى كان الملك الصغير ذا الخمسة عشر ربيعا في بيت الأمراء الثلاثة خفية ، ولما انتصف الليل انطلقوا برفقة رمضان حتى أخرجهم من أحد أبواب المدينة نحو مدينة اللؤلؤ متجهين شرقا على أمل العودة إليها –

مدينة الشرق - بعد أيام يسيرة ، وهي مدة إيصال الملك المخلوع عند أصهاره وزوج أخته الأمير خالد ، وكان جبل قد أوصى غلمانه بمتابعة أخبار مدينة الدب ، والبقاء في البيت حتى ينتهوا من هذه المهمة ويعودوا إليهم .

كان الأمير جبل يتقدم القوم على صهوة جواده ، والملك يليه ، والفارسان خلفهما يسيرون بعجلة من أمرهم ، وما كاد الفجر يملأ الدنيا سطوعا ، فإذا هم بكوكبة من الفرسان تتراكض خلفهم وتحيط بهم ، فأدرك الفرسان أن أمر الملك الهارب قد اكتشف وعلم ، وأن أعوان الملك الجديد يطاردونهم فاستعد الفرسان للقتال ، ونصح جبل رجال الملك الغاصب بالعودة ونسيان الأمر ، فأصروا على أخذ السجين ، فجرت المعركة التي لم تدم إلا ساعة من الزمان ، ولىّ على أثرها فرسان الملك هاربين ، وقد تركوا بعضهم بين قتيل وجريح ، وتابع الفرسان والملك مسيرهم مسرعين نحو مدينة اللؤلؤ .

وقطعوا المسافة بين المدينتين في ثلاثة أيام ، ودخلوا بالملك أسعد إلى قصر الملك " أحمد بن خالد " الذي رحب بهم أشد ترحيب وأحسنه ، وشكرهم على شجاعتهم وحمايتهم للملك الصغير ، وأتت أخت الملك المخلوع الأميرة رشاء ترحب بأخيها ، وتسمع منه قصة غدر خالهما ، ثم أبدت شكرها للفرسان ، وقد قدم إليهم بدوره الشكر أيضا الأمير خالد ، وأنزلهم الملك أحمد قصر الضيافة ، ونزل الملك أسعد في قصر أخته .

وأعد الملك أحمد جيشا صغيرا بقيادة ولي العهد ليغزو بلاد الشرق ، وينزع الملك من الملك الغاصب ، ولما تجهزت الحملة انطلقت إلى بلاد الشرق ، وظل الملك أسعد والفارسان جبل وهزبر في ضيافة الملك أحمد ، ورافق الحملة الفارس ثعلبون ، وأوصاه جبل بحسن الطاعة للأمير خالد ، ومحاولة الاتصال بالتاجر رمضان والغلمان .

والتقت الحملة أثناء سيرها إلى مدينة الشرق بقافلة كبيرة ؛فإذا هم من سكان تلك المدينة هاربون من ظلم الحاكم ربيع أبي جملة ، فعندما هرب الملك أسعد ألقى ذلك الغاصب بأنصاره وأنصار أبيه في أعماق السجون ، وأعدم بعضهم الحياة ، واستقوى أنصاره على الحكم

وأصبح حال البلاد سيئا ، والناس تهرب بنفسها وأموالها خوفا من بطش جنود أبي جملة ، فلما سمع الأمير خالد الأخبار تركهم يتابعون الهرب نحو بلاده ، واستمر الجيش يزحف حتى انتهى إلى أطراف مدينة الشرق ، فأرسل الامير رسالة للملك الغاصب يدعوه فيها إلى الاستسلام والتنازل عن العرش المغصوب وإلا الحرب ، فرفض الملك ربيع الدعوة وخرج فرسانه لمقاتلة جيش الأمير خالد ، فدارت بينهم معارك ومبارزات ؛ ولكنها لم تسفر عن فوز لأحد على الآخر ، ثم طلب الأمير خالد من أبيه المزيد من الجنود فأمده بألف محارب ، واستمر القتال المتقطع بينهم شهرين ولم يتمكن جيش الأمير خالد من تحقيق النصر على رجال أبي جملة الذين كانوا يفتحون أبواب المدينة ويقاتلون ساعة من الزمن ، ثم يكرون عائدين داخل الأسوار ، ويقوم الرماة على الأسوار بتغطية انسحابهم ، وتغلق الأبواب وراءهم ، وأحيانا لا يخرجون تلك الساعة ، وأمام عجز جنود مدينة اللؤلؤ عن دخول المدينة وهطول موسم الأمطار مبكرا رجعوا لبلادهم خائبين يجرون أذيال الخيبة ، وأخذوا بالاستعداد لحملة جديدة مع مطلع الصيف وآخر الربيع .

وكان ثعبلون قد تسلل للمدينة خلال حصارهم لها ، والتقى الغلمان ، واطلع على أخبار المدينة منهم ، فعلم أن التاجر رمضان زج به في السجن ، ولما انسحبت الحملة عاد معها ، ولما اختلى بصاحبيه روى لهما أخبار فشل الحملة وسبب ذاك الفشل ، وأن صديقهم رمضان يقبع في السجن ، وذكر لهم أن مدينة الدب ما زالت تستعد للدفاع عن نفسها أمام حملات الضبع .

وكان الرفاق الثلاثة يفكرون بعد فشل حملة الأمير خالد بالرحيل إلى مدينة الشرق ، فناشدهم الملك الصغير البقاء معه حتى النصر الأخير القادم ، واعتبرهم من أصدقائه المخلصين ، فرضوا بالبقاء إلى حين ، وأصبحوا ضيوفا على الملك أحمد يقضون أوقاتهم في صحبة فرسان الملك ، أو في زيارة لصديقهم أسعد الذي ينزل في قصر الأميرة ، وأحيانا أخرى يرافقون الأمير خالدا رحلة صيد في البراري والتلال يصيدون الأرانب والثعالب .

ذات ليلة ممطرة خرج الفرسان من قصر الضيافة الذي ينزلون فيه لزيارة الملك أسعد للسمر

عنده ، فوجدوه يستعد للانطلاق إلى العشاء على مائدة الأميرين



خالد ورشاء ، فأرادوا العودة ، فأقسم عليهم أن يرافقوه للعشاء والسهر هناك ، فمشوا سوية نحو جناح ولي العهد في ذلك القصر الكبير ، فاستقبلهم الأمير وزوجه خير استقبال وسعدوا بمجيئهم ، ودار الحديث بينهم حول الحملة العسكرية القادمة لإزالة أبي جملة ، واقترح عليهم الأمير جبل بأن يجعلوا لهم عيونا في مدينة الشرق ينقلون لهم أخبار الملك الغاصب وجيشه والناس ، واقترح عليهم هزبر أن يحاولوا خلال هذه المدة إغراء بعض القادة في الجيش بالانضمام إليهم ، ويكون الإغراء بالمال والمناصب الرفيعة ، واقترح عليهم ثعلبون الاتصال بالتجار الكبار وإغرائهم بالتعاون مع الأمير أسعد الملك الشرعي للبلاد .

وبينما هم يخططون ويقترحون دخلت الأميرة وخلفها الغلمان والجواري يحملون أخونة الطعام والشراب ويضعونها أمام الأمراء ، وبدأت الأفواه تشتغل والأضراس تطحن ، فلما أكل القوم ما قدر الله لهم ، وشربوا من ألوان العصير ما لذ منه وطاب ، فحينئذ أظهر الفرسان ثناءهم للأميرة وخدمها على حسن الطعام والشراب ، فابتسمت الأميرة رشاء لثنائهم ، والتفتت لجاريتها حظوظ وقالت للأمير جبل : أيها الأمير .. أيها الفارس المغوار ..لن ننسى فضلك وحمايتك لأخي أسعد .. وأما هذا الطعام الذي راق لكم فوجهوا الشكر في إعداده وإتقان صنعه لجاريتي العزيزة حظوظ التي تشرف بنفسها على إعداد الموائد الخاصة لضيوفي منذ أكثر من خمس سنوات .. فجزاها الله خير الجزاء ..

فطفق الجميع يحدقون النظر إلى الجارية العزيزة للأميرة رشاء ، وكانت الجارية تقف في وسط القاعة تلقى الأوامر على الخدم والغلمان ، وقد غمرها الحياء من الإطراء الذي سمعته من الفرسان ومن مولاتها الأميرة ، وأمعن النظر إليها جبل ، ودقق فيها نظره ، ثم هتف وهو

مازال يحدق النظر إليها معجبا : والله إن لطعامها لذة !..ولكني أرى على محياها الحسن التصوير الحزن العميق .. أيتها الأميرة ؟!

فخطفت الجارية النظر في عيون جبل عندما سمعت كلامه عن حزنها ، وردت الأميرة قائلة باسمة : إن لك نظرة حادة أيها الأمير !.. فاعلم أنني منذ اشتريتها والحزن مرتسم على وجهها ولا تريد أن تخبرني بسببه ..ولقد حاولت أكثر من مرة عتقها لعل الحزن يختفي عن وجهها الجميل ؛ ولكنها تأبى الحرية وتصر على البقاء جارية وعندي أيضا .

وعندما أخذت الأميرة تتحدث عن الجارية العزيزة لديها ، وقد راقت في عيني الفارس جبل تركت الجارية القاعة حياء وهربا من العيون التي سلطت عليها ، وتابعت الأميرة حديثها بعدما لقطت أنفاسها قائلة : ولكنها تذكر شيئا من ألمها في بعض الأحيان للجواري ، ومما علمته عنها من هؤلاء الجواري أنها تذكر أن أباها ملك عظيم ، وأرسلها وهي طفلة واخوة لها إلى صديق له ، فخطفتها عصابة أثناء الرحلة ، وبيعت جارية في مدينة الشرق لامرأة ، ثم وصلت إليّ بعد ذلك .. فهذا ما أعرفه عن حزنها يا سيدي الأمير !

فقال جبل معترفا بتأثير حزنها عليه : إن الحزن المجسم على وجهها أثر على نفسي وقلبي أيها السادة .

فابتسم القوم لاعتراف جبل وتأثره ، وقال الأمير خالد مداعبا الفارس : لعلك هويتها أيها الفارس .. فلا أظن أن الأميرة تهبها لك .

فأخذ جبل بالضحك وقال : نحن الفرسان اليوم لا استقرار لنا للتمتع بالزواج والجواري ، فاليوم هنا وغدا هناك ، قبل شهور كنا في مدينة الشرق ، وقبلها كنا في بلاد الدب عند الملك سليل بن الملك شامة

وفي تلك اللحظة التي ذكر فيها جبل أسماء سليل وشامة كانت الجارية حظوظ قد عادت للغرفة ، فلما سمعت تلك الأسماء صرخت فجأة صيحة دهشة ثم أغمي عليها .. فهرعت الأميرة والجواري نحوها ، وارتبك مجلس الأمراء ، ولزموا الصمت حائرين حتى فاقت

الجارية وقالت بصوت باك حزين مؤلم : لقد سمعت عند دخولي اسم الملك شامة يا السادة ؟!
فحدقت بها العيون وقال جبل : نعم أيتها الفتاة ، أنا من بلاد الملك شامة لعلك من تلك البلاد وترغبين بالذهاب إلى هناك .

فهمست الفتاة قائلة : يا سيدي الفارس .. هل تعرف الملك شامة ؟!

فقال جبل بأسف وحزن : نعم أيتها الفتاة .. ولكني عندما قتل الملك شامة كنت ذا سنوات عشر .. رحم الله الملك شامة .

فصاحت الفتاة مرة أخرى وقالت : وهل قتل الملك شامة ؟! وأغمي عليها مرة أخرى ، فقال الأمير خالد مفسرا : إن لهذه الجارية قصة كبيرة على ما يبدو مع ذلك الملك ..!

وكانت الأميرة رشاء وجواريها يعالجن الفتاة ، وانشغل الأمراء كلهم بالتخمين حتى عادت الفتاة لوعيها من جديد فقالت للجميع مبينة لما ظهر منها : الملك شامة كما اذكر .. هو أبي .

فصاح الفرسان الثلاثة معا : أبوك ؟!

فقال ثعلبون بسرعة : لابد أنك الأميرة المفقودة .. أتذكر يا جبل أن أحد الغلمان أخبرنا مرة أن هناك ابنا وابنة قد فقدوا تلك الأيام العصيبة ؟.

فصاحت الفتاة : نعم ، أنا هي الفتاة المفقودة يا سيدي الفارس .. الأميرة الصغيرة التي سرقتها العصابة وعمرها أربع سنوات وفرقوا بينها وبين أخويها ..

وروت لهم تفاصيل حكايتها ؛ كأنها مشاهد حية محفورة بدماغها لم تنسها رغم صغر سنها ، وأنها تذكر أن بلادها كانت تخوض حربا ضروسا ، وفي غمار الحرب وخوفا على الصغار من الأسر والقتل أرسلهم والدهم مع بعض غلمانه وخصيانه لمدينة أكثر أمنا ، وفي الطريق عرضت لهم عصابة مجرمون فخطفوها وأخاها حريفا وباعوهما في مدينة الشرق ، واختفى حريف يومذاك من حياتها .

فطمئنها جبل على أمها وعلى أخيها سليل ، وقص على مسامعهم بعضا من أخبار بلاد الدب ، وما انتهت الجلسة حتى أصبحت الجارية حظوظ الأميرة حظوظا ، وتقرر أن يعود بها

الفارسان هزبر وثعلبون لبلادها معززة مكرمة ، وبعد أيام جهزها الملك أحمد بن خالد وشدّ لها هودجا ، ووهبت عددا من الجواري والغلمان والكثير من الهدايا من الأميرة وزوجها الأمير ووالد الأمير ، وأرسل الملك أحمد عددا يسيرا من الفرسان يصحبونها إلى بلاد الدب على رأسهم الفارسين هزبر وثعلبون .



جبل الرعب

وما مضت عدة ليال على رحيل الأميرة ؛فإذا ثعلبون يدخل قصر الملك أحمد وهو في حالة يرثى لها دامي الجسد ممزق الثياب ، وروى لهم الحكاية والمأساة فقال بعين دامعة : بعدما قطعنا مسافة طويلة من الأرض أيها الكرام ، وذات نهار ونحن نقطع واديا للمبيت في أحد الكهوف بعد أن تبين لنا أننا لن نستطيع الوصول لقرية أو مدينة ذلك المساء نبات فيها ، فخرجت علينا عصابة من المجرمين يزيد عددهم عن الأربعين ، وحدثت بيننا وبينهم معركة يشيب لها الصغار ، فقتلنا منهم مقتلة عظيمة ؛ ولكن عددهم تغلب على قوتنا وشجاعتنا ، فلما رأيت فرسان الملك سقطوا قتلى ، ورأيت هزبرا سقط مضرجا بدمه ، فعولت على الهرب لأخبركم ، فهربت ووقعت الأميرة وجواريها وغلمانها أسرى في قبضة العصابة ، ولما اشتد الظلام عدت لمكان المعركة أبحث عن جرحى ، ولأخذ جثة صديقي هزبر لدفنها ، فلم أجد حيا منهم إلا هزبرا ، وبه جرح عميق ، فتقهقرت به للوراء حتى وصلت حصاني ، وسرت به إلى إحدى القرى وأشرفت على تضميد جراحه ومواساته ، وجئت إليكم أيها السادة للقيام بالواجب .

فنهض جبل وعانق ثعلبون عناقا حارا ، ثم قال بغضبه المعروف به أثناء قتاله لرجال الضبع : أقسم بالله العظيم أمامكم أيها الأسياد ! لأقلبنّ الأرض شبرا شبرا حتى أجد الأميرة حظوظ بنت شامة ، ولسوف يرى هؤلاء اللصوص الأوغاد يوما لم يشهدوا له مثيلا في حياتهم الماضية من جبل بن مجدو الساحر .. قاهر الملك الضبع .. في الصباح الباكر تكون قد استرحت أيها الفارس واستعدتت للمعركة .

وعرض عليه الملك أن يرسل معه جيشا صغيرا فأبى وقال : سأذهب وحدي يا مولاي وبرفقتي ثعلبون فقط ليدلني على مكان المعركة .

وفي الصباح الباكر تجهز الفارس جبل جهازا حربيا كاملا ، وتحرك معه الفارس ثعلبون للبحث عن الأميرة المفقودة التي تركت أثرا لا ينسى في قلب الأمير جبل يوم أغمي عليها مرتين عند العشاء في قصر الأمير خالد .

وتفقد الفارسان في طريقهما الجريح هزبرا ، وأوصوا به الفلاحين خيرا ، ووعدوهم بحسن النوال ، وتابعوا المسير الليل بالنهار حتى هبطا الوادي الذي جرت به المعركة ، وبينما هما يسيران في ظلمة الليل وقد اقتربا من غدير ماء ليشربا وتشرب خيولهما سمعا صوتا خلفهما فأخذا حذرهما ؛ فإذا هم برجال ثلاثة على ظهور خيولهم يقولون : من الرجال ؟!

فقال جبل : عابرو سبيل .. من القوم ؟ !.

فقال أحد الرجال وفي نبرة صوته تهكما واضحا : عجبت لكما أيها الفارسان ! كيف تدخلان وادي الرعب ؟ هذا وادي الزعيم الهائل " السبع العادي " .

فقال جبل متجاهلا الاسم : لقد فقدنا منذ أيام قافلة في هذا الوادي ، لعلكم أنتم ممن اعترضها أيها الرجال ؟!

فقال آخر في صوت فيه تهكم وسخرية : أأنتم قادمون للبحث عن القافلة والأسيرة التي تدعي أنها أميرة وأخت ملك ؟!

فقال جبل بهدوء تام : نعم أيها الرجال .. ومن هو هذا الزعيم الهائل الذي ذكرتم اسمه قبل قليل ؟!

فقال أحدهم : أتحب أن تراه أيها الفارس ؟!

فقال جبل متهكما : أرغب برؤية هذا الصنديد وعناقه .. فأنا الفارس المشهور بابن الخباز .. جبل بن مجدو .. أتمنى أن أرى سيد هذا الوادي .

فصاح أحدهم وهو يضحك : لقد سمعنا بهذا الاسم ..فسيدي كله شوق للقياك أيها الجبل .. فاتبعاني ولا تحاولا الفرار والهرب .

فقال جبل ساخرا : ولمَ الهرب ؟! ونحن بحاجة لنرى زعيمكم .. وكلي شوق لرؤية هذا الضرغام الهائل .. سيد هذا الوادي !

ومشى الخيال أمامهم ، وتبعه جبل وثعلبون ، وخلفهما الرجلان الآخران ، وفجأة حاولوا الغدر بهما وإسقاطهما عن جواديهما ، فسقط ثعلبون عندما عقر أحدهم جواده ، وقبل أن يعقر

الثاني جواد جبل كان جبل قد فتك به والحق به آخر ، وانقض بسرعة على الأول المذهول وأوثقه بالقيود ، وتمت هذه الحركات بسرعة أدهشت ثعلبون والأسير الذي رفعاه على الجواد مكبلا ، واعتلى ثعلبون أحد الأفراس ، وتركوا الخالية تسير أمامهم حتى وصلت إلى منحدر فاستدارت لتصعده ، وبدأت رحلة الصعود في الجبل ، وبعد مسير خلف الفرس الخالية التي سارت أمامهم ، وصلوا نحو كهف واسع ،كانت مشاعل النار تجعل ليله نهارا ، وكان فيه رجال يأكلون ويقهقهون ، ويملأ صوتهم وصياحهم الجبل الهادئ في ذلك الظلام ، فلما اقتربوا من الكهف سمعوا من يقول بصوت عال : لقد عاد الرجال يا أبا الأسود !

ولكنهم لما شاهدوا رجلهم مقيدا على ظهر الفرس أدركوا أن الرجلين الذين معه ليسوا صاحبيهم ، فنهضوا عن الطعام مسرعين ، وقد استلوا سيوفهم من أغمادها ، وبعضهم استل خنجره ، لقد كانت مفاجأة لهم أن يقتحم عرينهم غريب ، وظل زعيمهم أبو الأسود جالسا حول المائدة يأكل الطعام غير مكترث لما يحدث في الكهف الواسع ، فنزل جبل عن حصانه ، واقترب منهم وهو يقول بصوت قوي مهيب : أيها السبع العادي ! .. أنا جبل بن مجدو المعروف بابن الخباز .. قاهر الملك الضبع إذا لم تكن تعرفني وتسمع بي .. جئت إليك أطلب الأميرة المخطوفة منذ أيام .. ابنة الملك شامة وقد سمعتم ما قلت !

فهاج رجال السبع وارتفع صياحهم ، وترك السبع العادي الطعام ، فناوله أحدهم منديلا فأخذ يمسح به يديه وفمه ، وقد أشار لرجاله بالصمت ، وقال مخاطبا رجاله : حلوا وثاق رجلنا .

فتقدم اثنان منهما وحلا الأسير المكبل ، ثم نظر الزعيم إلى جبل باحتقار وقال : اسمك جبل بن مجدو .. وضحك ضحكا مدويا ثم قال مخاطبا الأسير : ما الأمر يا جبان ؟

فقال الرجل الذي حل وثاقه ، وقد ملأ الخوف والجبن قلبه من السبع العادي سيد هذا الوادي : يا سيدي !! كنا نتفقد الوادي كالعادة ، ولما مررنا بالغدير وجدنا هذين الرجلين ، وحاولنا الفتك بهما ؛ ولكنهما كانوا أسرع منا ، فقتلوا صاحبيّ وأسروني ، وتركوا الفرس

تقودهم لهذا المكان .

فعندئذ أشار السبع العادي لأحد رجاله إشارة ، فأغمد على أثرها خنجره في صدر الرجل على الفور ، وحينئذ قال جبل بهدوء يتخلله انفعال مكبوت : أيها الرجل مرة أخرى أقول لك أنا جبل .. ابن الخباز قاهر الملك الضبع ورجاله .. لا تخيفني حركاتك أيها المغرور وقتلك لهؤلاء الناس .. أريد الأميرة المخطوفة .. أين ذهبت بها ؟! أين أخفيتها ؟ لابد أنها ذكرتني لك واحتمت باسمي ؟

فأخذ السبع العادي بالضحك العالي والقهقهة ، وما كاد يفيق من ضحكه حتى كان جبل يضع السيف على عنقه وينخزه فيه ، وهو طريح الأرض كالثور المذبوح ، وجبل يصيح : حركة واحدة من رجالك أغمد السيف في عنقك وأقتلك أيها الغدار .

كانت مفاجأة مذهلة لجميع من كان في الكهف وفعلة سريعة ، وصاح جبل مرة أخرى : ابتعدوا أيها الأنذال !!

وكان ثعلبون المدهوش كالآخرين قد اقترب من جبل وهو مشهر سيفه ومستعد للعراك فقال جبل : أيها الزعيم أين أرسلت الأميرة ؟.

فقال السبع العادي بصوت مبحوح وغضب حاد وعيون يقدح منها الشرر : لا أدري أيها الحقير ..

وقبل أن يكمل سيل شتائمه طعنه جبل طعنة نجلاء ، وهجم على رجاله بسرعة البرق قبل أن يفيقوا من الصدمة ، وهم كانوا في دهشة وصدمة مما يجري ، وفعل ثعلبون مثل صاحبه ، ولم تكن سوى سويعة من الزمن حتى قُتل عدد منهم ، وهرب آخرون ، وسقط آخرون جرحى يئنون من الألم ، وعانق ثعلبون جبلا وهو يضع سيفه في غمده وهو يقول بانبهار وعجب : والله إنك ـ يا جبل ـ رجل شديد ، لقد سيطرت على الموقف بسرعة .. وأقر لك بأنك أشجع الشجعان !!

فابتسم جبل قائلا : كان لابد من السرعة مع هؤلاء الوحوش ، فهؤلاء ليسوا شجعانا كمل

يخيل إليك بل هم جبناء ؛ ولكن كثرتهم تساعدهم في مثل هذا الوادي البهيم فيتظاهرون بالشجاعة .. إنما الشجاعة في الحرب في لقاء الأبطال والفرسان وجها لوجه .

واقترب من بعض الجرحى وقال بقوة : أين الأميرة ؟

فما كان منهم إلا أن أقروا بأنهم اعترضوا القافلة المذكورة ، وفتكوا برجالها ونقلوا الأميرة ومن معها إلى قصر قلعة الجبل أو جبل الخوف ، كما يسمونه ويسميه الناس ، ويوجد القصر في وسط الوادي على قمة جبل عال ، وكان الزعيم يستعد للذهاب إلى القصر ، وأن هذا الكهف وكر من أوكار العصابة المنتشرة في هذه الجبال ، فطلب جبل من صاحبه إحضار الأموال الموجودة داخل الكهف ؛ ولكن أحد الجرحى اللصوص قال : أيها الفارس لا يوجد شيء هنا كل الأموال في قصر الزعيم .

فنظر إليه جبل لحظات وقال : ابحث يا ثعلبون لنرى صدق القائل .

فتناول ثعلبون مشعلا واندفع إلى جوف الكهف ، وفي حفرة داخل جدران الكهف عثر على صندوق صغير ، فعاد يقول : هذا صندوق الأميرة على ما أظن يا أمير جبل .

فقال جبل وهو يتأمله : نعم لقد أهدته لها الأميرة رشاء .

ثم طعن الرجل الكاذب فأرداه قتيلا وقال : ثعلبون العزيز لنأخذ أسيرين يقوداننا إلى القصر وانظر أخفهم إصابة وكبلهما ولنرفعهما على جوادين .

وقال الفارس مخاطبا الجرحى : سيأتي قومكم لمساعدتكم أيها الجبناء إن كانوا يهتمون بكم وبحياتكم .

وقد حاول الرجلان اللذان وقع الاختيار عليهما التنصل من مهمة الإرشاد والدلالة ، فقال جبل بقوته التي شاهداها منذ ساعة : ليس أمامكما إلا أن ترشدانا أو الموت .

فتلاقت عيون الجريحين ثم أحنيا رأسيهما بالموافقة والطاعة ، ونزلوا إلى الوادي المخيف ، وكان الفجر قد ملأ المكان بنوره الوضاح ، ولما استقروا في منبسط الوادي سمعوا صوت خيول تتراكض باتجاههم ، فقال جبل لصاحبه : كأنهم لملموا جراحاتهم .

واقتربت الفرسان منهم فاستل الفارسان سيفيهما ، وصاح جبل كالأسد الرئبال : ماذا تريدون ؟ الثأر .. لابد أنه قد صعب عليكم العيش بعد موت كبيركم المأفون .. مجرم لص قاطع طريق يضحك على نفسه وعليكم مسميا نفسه السبع العادي .. وما هو بسبع ؟!.. فالأحق أن يقال الكلب العادي .

فرد أحدهم ساخطا : جئنا لنثأر لزعيمنا الكبير أيها النذل الحقير .

وأشار لفرسانه بالهجوم ، فتلقى جبل اندفاعهم ، وكان الأمير ثعلبون يحمي ظهره ، ثم أغمد جبل سيفه ونازلهم بالرمح ، فمن لمسه سنان الرمح جندله عن جواده صريعا أو جريحا ، في الحق إن جبلا كان جبلا لا يخشى الموت ولا يهابه ، ويعلم أن المنية إذا جاءت تهيأت أسبابها ، وحروبه مع ولاة الضبع على بلاد الدب كما يعلم القراء أكسبته خبرة وقوة قلب وشجاعة يعرفها القراء لهذه القصة ، فما مضت ساعة من الوقت حتى فتك بأكثرهم والباقي جرحى مطروحين أرضا يئنون من ألم الجراح فقال ثعلبون فرحا ومعجبا : لله درك يا جبل ! إنك والله لسيد الفرسان .. قد قُد قلبك من الصوان .. مع أنني شاهدت كل معاركك مع رجال الضبع وفرسانه ؛ ولكنك هذا الليل أثبت أنك فارس الفرسان ، وأنك نادر المثال في هذا الزمان .. فهؤلاء المجرمون يـقذفون الرعب في أقوى الرجال الأشداء ..أيام قتالنا للضبع كنت تقاتل ومعك الفرسان والرجال ، أما هنا فإنك تقاتل وحدك .. أين هزبر ليراك يا سيدي الفارس ؟!

فقال جبل مبتسما : أشكرك يا صاحبي على هذا الثناء ، ولا تنسى أنك معي .

وتابعوا المسير نحو قصر السبع العادي في الجبل المخيف أو جبل الخوف كما يسميه رجال السبع ، وبعد ساعات من المشي وصلوا لدرب يصعد بهم إلى جبل الرعب أو الخوف ؛ فإذا هو جبل عملاق يصل إلى عنان السماء ، فقال أحد الأسيرين : أترى هذا الجبل العالي يا سيدي الفارس ؟! فعلى قمته الشامخة قلعة وقصر الزعيم المقتول .

فقال جبل وهو يقفز عن حصانه : ثعلبون العزيز .. فك أحد الأسيرين .. ليذهب إلى أعلى وحده ويرسل لنا الفتاة وجواريها وغلمانها وأموالها .. وسيد الجبل الجديد لنتفاهم ونتفق .

ففك ثعلبون أحد الرجلين الذي قال : يا سيدي الفارس ! لا أستطيع الصعود يقتلني الحراس
فرد جبل باسما : اذكر لهم مقتل سيدهم السبع ومقتل الفرسان الذين أرسلوهم
للتخلص منا ، وأعلمهم أنني لن أتخلى عن الأميرة ، ولن أعدم حيلة في الوصول إلى أعلى الجبل ولو كانوا ألف مجرم ولو مكثت هنا مائة سنة .. وكل من يهبط أفتك به .. هيا اصعد ولا تتأخروا في الرد

فقال الرجل مستسلما : سأحمل رسالتك يا سيدي الفارس وأرجو أن أبقى على قيد الحياة .

فقال جبل : قل لهم إن الأمير جبل بن مجدو أمنني على حياتي ، وتأكد أنهم لن يمسوا شعرة منك .. انطلق أيها الرجل ولا تخف .

واعتلى المصاب الجواد ، وصعد المنحدر حتى وصل لرجال القلعة ، ونقل لهم رسالة الفارس جبل بن مجدو ، وما حين مضى حتى كان رجل كبير الجثة أعرج اليمين ومعه بعض الرجال ينحدرون ويتقدمون على بغال وخيول نحو الفارسين ، وهم يرفعون راية بيضاء إشارة للسلام ، ولما رآهم الفارسان اعتلوا ظهر جيادهم حذرا من الغدر ، وبعد التحية والسلام ، قال الرجل ذو الجثة الضخمة الأعرج وهو على ظهر البغلة : أيها الفارس !!.. نقر لك بالهزيمة ولم تر عيوننا مثلك .. لقد حدثنا صاحبنا عنك وعن قوتك الهائلة وجسارتك .. وقد حدثنا رجالنا الهاربون قتلك لزعيمنا السبع العادي وعن معركة المغارة .. والأميرة آتية ورائي معززة مكرمة ، ونحن نعتذر عن الأذى والإزعاج اللذين سببنهما لكم .. ونعتذر عن القتلى الذين قتلناهم من رجال الملك أحمد بن خالد ..وسنذكر اسمك كثيرا ، ولن ننساه أبدا ؛ ولكن لنا شرط واحد نود الموافقة عليه .

فقال ثعلبون : شرط .. يا ترى ما شرطكم ؟!

فرد الرجل المفاوض الضخم : شرطنا الوحيد أن لا تعودوا مرة أخرى لهذا الوادي .

فأخذ الفارس جبل يمشط لحيته بيده ، وهو يفكر بطلب العصابة ، ثم قال بقوة : أيها الرجل كلامك مقبول ، وسأنسى الآن اعتداءكم على الناس وظلمكم للناس ، وسأصفح عن قتلكم

رجالنا ، فقد أخذنا بعض ثأرنا ..ولن أقبل شرطكم الوحيد كما تقول إلا عندما أرى الأميرة ومن معها ، ويا ويلكم من ابن الخباز مجدو الساحر إن أصابها سوء ، وأرجو ألا أعود إليكم في يوم من الأيام .. وإن عدت إلى هذا المكان ثانية فاعلموا أنني سأدمر هذه القلعة عن بكرة أبيها وإن وقع أحد الناس ممن يخصني أمرهم بين أيديكم فاعفو عنهم من غير تردد ، ولا تأخير بل أكرموهم ؛ لأنني والله العظيم إذا جئت أيها الرجل إلى هذا الوادي لن أرحمكم البتة ..هذا مطلبي .. هل علمتم ؟

كان جبل يتكلم والشرر يتطاير من عينه ، فقال سيدهم الجديد : لقد علمنا من هو جبل بن مجدو !.. اطمئن من احتمى باسمك أو أرسلت رسولا من طرفك إلينا من أجله سترى منا ما يسرك ، لن ندفعك للمجيء إلينا ، فنحن بعد هذه المعارك حريصون على صداقتك ورضاك أيها الفارس الشجاع !

جبل بن مجدو



نجاة الأميرة

وقف الجميع صامتين وعلى حذر شديد حتى هبطت الأميرة حظوظ وهي مصفرة الوجه باكية العيون ، وخلفها جواريها وخدمها وغلمانها ، فقال الزعيم الأعرج : ها هي الأميرة أيها الشجاع لم تمس بسوء !

فلما شاهدت الأميرة الفارس جبلا وتيقنت شحصه ردت إليها الحياة ، وأجهشت بالبكاء بصوت مسموع ، لقد كانت تظن أنهم ينقلونها إلى مكان آخر ، فلما بكت تمزق قلب جبل ، ونزل عن جواده ، واقترب نحوها وهو يقود الجواد بيده فقالت : أنت !!

فقال الأمير جبل بحزن : نعم أنا أيتها الأميرة .

فعادت تقول بقلب دامع حزين : أنت يا سيدي الفارس الذي أنقذني من الموت والعار !!

فقال وهو يرنو إليها بعينيه : لا عليك أيتها الأميرة الكريمة .. الحمد لله على سلامتك ونجاتك من هؤلاء الوحوش ..ودفع إليها منديلا صغيرا تمسح به دموعها قائلا : خذي هذا امسحي به هذه الدموع .. وما أنا إلا خادمك الأمين يا ابنة الأكابر .

فأخذت منديل الفارس بأيد ترتعش تمسح دموعها وتقول : أنت خادمي الأمين ! .. بل أنا خادمتك يا سيدي الفارس .. ما أدري ما أقول لك ؟!

فقال جبل : لا شيء .. أنا قمت بواجبي نحو أميرة من بلادي ، وقد أكلت من طعامها اللذيذ

وهنا ارتفع صوت زعيم العصابة قائلا : أيها الشجاع هل انتهى ما بيننا ؟

فالتفت إليه جبل ورد قائلا : أشكرك على حسن تعاونك .. وودت لو علمت اسمك لعلنا نلتقي في يوم من الأيام القادمة .

فرد الرجل بجفاء : سننسى ما فعلت بنا أيها الشجاع ، ولا حاجة لك بـمعرفتي .. انصرف راشدا وعلى ما اتفقنا عليه .

فقال جبل متهكما : أشكرك مرة أخرى .. أرجو منك أيها الرجل العاقل أن تتوب وتثوب وأن تدع الإجرام .

فصاح الرجل كأنه لم تعجبه النصيحة بالتوبة والأوبة : لا تنسى شرطنا أيها الشجاع ؟
رد جبل فقال : علمت .. ولكن لي كلام أخير قبل الفراق .
وهنا قالت الأميرة لجبل : أيها الأمير .
فالتفت إليها وقال : هل من شيء أيتها الأميرة ؟؟
قالت بلهفة : سيدي الأمير ! إنني مدينة لك بحياتي وشرفي وحريتي .. ولكن هناك كثيرا من المظلومين في قصر هؤلاء الوحوش يتوقون للحرية مثلي .. لعلك تكمل إحسانك يا سيدي الفارس إليهم .
فسمع رجل العصابة مطلب الأميرة واستوعبه فقال : أيها الشجاع ! انصرف راشدا ودعك من الآخرين .
فقال جبل وهو يحدق النظر فيه : أيها الرجل العاقل !.. لقد سمعت قول الأميرة أخت الملك سليل بن شامة سيد وملك بلاد الدب القطبي .
فقال الرجل وهو مقهور : أيها الشجاع .. انصرف ودع الناس .. الصبر له نهاية .
فقال جبل بغضب : ويحك!! .. وهؤلاء المظلومون الذين بين أيديكم ، وقد تشفعت فيهم الأميرة ، وقد ذكروا أمامي ، هل أتخلى عن إنقاذهم ؟! ماذا يقول الناس عن الفارس جبل بن مجدو ابن الخباز نصير الضعفاء ؟!
فقال الرجل الأعرج بصوت خشن : ها هي الأميرة لم تمس بسوء أو أذى ..فاذهب بها سريعا قبل أن يثور غضبي .. وبيننا دم الزعيم !
مشى جبل بقوة نحو الرجل وهو يقول بحدة شديدة : يبدو أنك بعد لم تعرف الفارس جبلا . وقبل أن ينهي كلامه كان قدامه ، وقفز قفزة خاطفة محكمة وسريعة ، وأغمد خنجره بصدر الأعرج فطرحه أرضا يتلوى ، وهو يصيح حانقا : أيها الأوغاد .. إنكم تجهلون الفارس ابن مجدو .. لا رحمة لكم .
فصاح الرجل المطعون صيحة وهو يخر للأرض صريعا ، وهرب رجاله كالأرانب ، فصاح

فيهم جبل : إذا أقبل الليل ولم ينزل المظلومون فاعتبروا أنفسكم أمواتا أو تقتلونني ..
وسمع الجميع في هذه اللحظة قول الرجل المطعون : غدرت بي أيها الخائن ؟!
فالتفت إليه جبل وصاح قائلا : أوه .. لم تمت بعد ! وهل أنتم أشراف ؟!حتى أعاملكم بالشرف .. أيها الحقير .. تسلبون الناس وتقطعون السبيل فايّ شرف لكم ..!!
ثم صاح برجاله : تعالوا خذوه .. فهو لم يمت بعد .. إنه يلبس درعا تحت ثيابه .. ونفذوا ما أمرتكم به ، ويا ويلكم إن صعدت إليكم ..
فعاد الرجال وحملوا الجريح بين أيديهم وهم يرتجفون خوفا ورعبا ، وعندما مروا من جوار الفارس حاول أحدهم الغدر به ؛ فإذا هو بقبضة الفارس ، ولم يمهله ثوان يلتقط فيها نفسه بل قتله على الفور ، فدب الخوف والرعب في قلوب هؤلاء العتاة من المجرمين ، وصعدوا بصاحبهم الجريح كأنه عفريت حل بينهم ، وحل وثاق اللص الذي ساقوه معهم من الكهف الذي قتل فيه السبع العادي وأمروه بأخذ جثة صاحبه ، وقبل غروب الشمس هبط الأسرى من قلعة الجبل ، وهم يلهجون بالدعاء للأميرة والفارسين ، وصافحوا الفارس وشكروه فقال لهم : اشكروا الله العظيم الذي سخرني للمجيء هنا .. هل ظل من أحد في قبضتهم أيها الناس ؟
فأجابه أحدهم قائلا : لقد أمر زعيمهم " لهب الليل " الزعيم الجديد أحد رجاله أن يصيح في القلعة مناديا بحرية كل من فيها كرامة للأمير الفارس ابن مجدو الساحر .
فكانت النساء المحررات يبكين من الفرح ، والرجال يعانقون الفارسين بسعادة ، ويثنون على الأميرة الثناء الدافئ ، ولما رأى جبل كثرة الأسرى أرسل عددا منهم إلى القصر يطلبون الطعام والدواب ، وأمر بعض الناس بإشعال النيران لصباح الغد للخروج من هذه الجبال العالية ومن هذا الوادي المخيف ، وقد جلس الفارس بالقرب من الأميرة وبجواره ثعلبون بعد أن هدأت عواطف الناس نحوه ، وقد أمر بعضهم بالحراسة حذرا من غدر هؤلاء المجرمين .

وكانت الأميرة تجلس على صخرة ، ووضعت أمامها نار من الحطب ، وجلس الفارسان قربها وكل منهما يمسك بمقود جواده ، وكانت الأميرة تشعر في هذا المكان وهذا الوادي المخيف بحب جارف لهذا الفارس الشاب الذي يجلس قريبا منها كالحارس الأمين ، وهو الذي ملأ قلوب هؤلاء الغلاظ الأفئدة رعبا ، وهو الذي قهر جيوش الضبع ، وهو الذي قتل الوحش المسمى السبع العادي وهو .. وهو .. لقد كانت مبهورة بشبابه وقوته ، وهو الفتى الذي لا يخشى الموت ولا يهابه ، وكأن الشجاعة مجسمة فيه ، لقد سمعت ورأت رجال العصابة يتحدثون عنه برعب قبل أن يهبطوا بها .. فلما أخذ بالحديث معها تشجعت وعرضت نفسها عليه زوجة ، وأن يكون لها سيدا وبعلا ، فسر جبل لصراحتها واعتبر هذا شجاعة أكبر وأعظم من شجاعته ؛ ولكنه قال : أنا سعيد بك أيتها الأميرة ؛ وليس لي إلا أن أقول إنني أعدك إذا فكرت بالزواج يوما من الأيام سأفكر فيك .. ومع ذلك لا ألزمك بانتظاري ..فإن يسر الله لك زوجا صالحا فاقدمي ولا تترددي .. فأنا فارس جوال ، لا أفكر بالاستقرار في بلادنا .. فلم يعد لي مقام فيها .. وعندما تصلين أهلك بسلام ستعرفين الأسباب لذلك .. ولكني سأقاتل عنها الملك الضبع إلى آخر لحظة من حياتي .. ولسوف أعود لبلاد الملك أحمد بن خالد وأساعد الملك أسعد في استرداد ملكه المسلوب في بلاد الشرق .

فقالت الأميرة المبهورة بالشجاعة التي كونها جبل في كيانها : سوف انتظرك ما دام بي عرق ينبض .. أيها البطل .

فرد قائلا وهو متأثر من عواطفها لشخصه : قد يطول الانتظار يا مولاتي .. وتذكري دائما ما أنا إلا ابن خباز في مدينتكم العامرة .

فردت غاضبة : أيها الأمير .. أنت لم تعد خبازا ولا ابن خباز .. بل أنت سيد الفرسان وأميرها

فقال : كفاك مدحا أيتها الأميرة !! أنت في حل من الوعد .. وإذا فكرت يوما بالارتباط بأنثى سوف أفكر فيك .. هذا وعد مني .. هذا إذا وجدتك عزباء في ذلك اليوم .. ولكني استحلفك بالله العلي العظيم إنك إذا وجدت الكفء من الرجال فانكحيه ، ويكفيني ما

سمعت من مشاعرك الطيبة نحوي.. فحياتي أيتها الأميرة منذ قتل أبي على يد رجال الغضبان الخيل والموت والقتال .

وكان هذا الحوار الدافئ يجري على مسامع الأمير ثعلبون ، فعندما وصل الحوار بين الأميرة والفارس جبل إلى هنا قال ثعلبون معجبا بأخلاق صديقه : أيها البطل لم أعرفك حق المعرفة إلا هذه الأيام !!.. عندما رأيت حزنك على الأميرة وهي جارية في قصر الأميرة رشاء .. ظننت أنها وقعت من نفسك موقعا حسنا ، فقلت لنفسي بأن الفارس عشق وأحب الجارية .

فقطع جبل استرسال ثعلبون فقال : صدقت أنا ظننت نفسي أنني قد عشقت الأميرة ؛ ولكن النساء لم تستقر في وجداني بعد ؛ وإن أخذت الأميرة منه موقعا حسنا .

فقالت الأميرة : كل فتاة تتمناك أيها الفارس لعلها تنجب منك بطلا صنديدا مثلك ، لا يهزه الرعب والخوف ، فحب الشجاعة طبع فطري .. على كل حال سرتني معرفتك والحديث مع فارس مثلك ، وإن كنت أتمنى أن تعود معي للوطن ؛ ولكن يبدو من كلامك أنني سأعود إلى بلادي مع فرسانك .

فقال جبل : لقد أصيب هزبر وهو يتداوى ونسأل الله له الشفاء.

وأتت الخيول والبغال والحمير والطعام ، وفي الصباح الباكر ركب عليها الناس وساقهم إلى مدينة اللؤلؤ ، وقد مروا على هزبر الجريح وحملوه معهم ، وكان جبل قد أرسل بشيرا للملك أحمد الذي خرج بنفسه للترحيب بهم جميعا ، وقد سر من شجاعة الفارسين ، وهنأ الأميرة بنجاتها وسلامتها ، وتمنى للفارس هزبر العافية ، وطلب من طبيبه الخاص بالإشراف على مداواته ، وبعد أيام انطلق الأسرى لبلادهم ، وجهز الملك الأميرة مرة أخرى وأرسل معها مائة فارس على رأسهم ثعلبون لتصل لبلادها سالمة ، ونصحهم بالسير بين المدن والقرى واجتناب الوديان والغابات والأماكن المجهولة ، وفي أقل من شهرين عاد الفرسان من مدينة الدب التي غمرتها الأفراح والسعادة بعودة الأميرة المفقودة حظوظ ، وتمنوا عودة الأمير حريف ، ولقد علم القاصي والداني بدور الفارس جبل بإنقاذ الأميرة من براثن السبع العادي

ورجاله ، فأصبح جبل في نظرهم فارس الدنيا الأوحد ، وازداد إعجاب الأميرة به أكثر عندما أخبرتها أمها بما صنع جبل لهذه المدينة ومعاركه الشرسة مع رجال الحامية ، وأخبرتها أمها عن تنازله عن حكم البلاد لما رجع أخوها الملك سليل ، وازدادت الأم به إعجابا وحبا عندما روت لها حظوظ ما فعله جبل برجال العصابة ، وأنه اعتذر عن الزواج منها في الوقت الحالي لتجزيه بعض ما قدم لها من الخير والمعروف ، فقالت الأم متأثرة غاية التأثر :إنه لرجل والرجال قليل لـقد أعاد لنا الملك والسلطنة وقوى جند المدينة وأسوارها وأبراجها وفعل لك ما فعل ولم يأخذ شيئا .. ليته تزوجك يا ابنتي ! لقد أحببت هذا الفارس رغم أنني لم أره بعد ..فهو يستحق كل خير ويقول أخوك الملك في حقه " إن الأمير جبلا لم يترك البلاد إلا خوفا من انقسام الأمة ، فكثير ممن حارب وقاتل معه يعشقونه ويحبونه حتى الموت يا ابنتي العزيزة فنعم الفارس جبل !!



عودة ملك

لما اقترب الربيع على مدينة اللؤلؤ الجميلة ، زاد الفارسان من تدريب وتمرين الرجال الهاربين من مدينة الشرق استعدادا للمعركة القادمة ، فلما أشرف فصل الربيع على الوداع كان جبل وثعلبون وهزبر الذي تعافى من جراحه قد أعدوا ما يزيد عن ألف متدرب ، وقد درب عدد منهم على ركوب الخيل ، فكون جبل منهم سرية فرسان ، وتهيأت رجال وفرسان الشرق للقتال واسترداد ملك الملك الصغير أسعد ، وكانت العيون قد نشطت في نقل أخبار المدينتين وأمر الملك أحمد ابنه الأصغر سلطان بالاستعداد لقيادة الحملة من الفرسان والرجالة التي تعداد رجالها خمسة آلاف ، وفيها من أمهر فرسان المدينة وشجعانها ، وخرج جبل وصاحباه مع فرسان ورجال مدينة الشرق قائدا لهم ، ومشت الجنود والبيارق اللؤلؤية مع مطلع فصل الصيف ، وظلت تزحف إلى أن حطت رحالها وأحمالها في سهل واسع أمام أسوار مدينة الشرق وقد كان معهم رسالة تصالحية من الملك أحمد بن خالد للملك الغاصب ربيع أبو جملة ، وحمل الفارس ثعلبون الرسالة الملكية ، وكان يرفع علما أبيض يدل على أنه رسول ، ففتح له باب صغير زلف منه ، وانطلق برفقة فارس من فرسان الباب والحراسة إلى قصر الأمارة والحكم ، ثم أذن له بالدخول على الملك ، فدفع إليه رسالة الملك أحمد ، وصرف الرسول لدار الضيافة ، وبينما هو ينتظر الجواب أقبل إليه عدد من الجنود المسلحين وساقوه إلى سجن المدينة ، وهو في حيرة مما يجري له ، ومن الغدر الذي حاق برسول الملك أحمد .

ولما جاء الليل أحضروه قدام الملك ، فخاطبه قائلا : أنت تسأل نفسك وتقول لمَ حبسني هؤلاء الكرام ؟!

فأمعن إليه ثعلبون النظر وأخذ يتأمل وجهه وعينيه ثم قال : نعم !!

فنهض الملك عن كرسي الحكم ، ونزل درجات العرش ، وقد أشار لرجل واقفا في قاعة العرش وقال : انظر يا هذا إلى هذا الرجل أتعرف هذا ؟

هز ثعلبون رأسه بالنفي ، فقال الرجل بإشارة من الملك : ألا تذكرني أيها الرجل ؟ .. ألا تذكر

يوم هربتم بالأمير السجين ؟ .. ألم يلحق بكم كوكبة من الفرسان ؟ وحاولوا استرداد الأمير منكم ؛ ولكنكم قاتلتموهم بشدة وتابعتم الهرب .. فأنا أحدهم . وابتسم الجندي .

فقال ثعلبون ساخرا :آ .. الآن تذكرت ؛ ولكنكم كنتم عشرة بل أكثر من عشرة ، وتركبون جيادا قوية ، وكنا يومها ثلاثة ، فقتل بعضكم وهرب الآخرون مثل القطط السارقة .. نعم ما زلت أذكر ذلك الصباح !!

فصاح الملك غضبا: صه أيها الأحمق .

فصاح ثعلبون وهو يحد النظر في عيني الملك الغاصب وغير مكترث لغضب الملك : ألم يهربوا أيها الملك ؟ نحن كنا ثلاثة فقط ، فخافوا من الموت وهربوا .. أذكر ذلك اليوم جيدا .

فصاح الملك ثانية : اسكت أيها الرسول .. فهذا هو سبب حبسك أيها الصعلوك .. من أي البلاد أنت ؟! أنت لست من بلادنا ولا أظنك من بلاد اللؤلؤ ؟!

فقال ثعلبون : اسمي ثعلبون والدي جندي قتل في عهد الملك شامة ملك بلاد الدب .

فقال الملك : وما الذي أتى بك لبلادنا ؟! وما الذي جمعك بابن أختي المخلوع ؟!

فرد الفارس فقال : نحن رجال ثلاثة كنا عابري سبيل وفي زيارة لبلادكم الآمنة ، فعرض علينا أحد الناس حماية الأمير الصغير وأن نذهب به إلى مدينة اللؤلؤ ، فوافقنا وليس لنا سابق معرفة بابن الملك سعيدان .

فقال الملك ؛ كأنه اكتشف كنزا : ومن هو هذا الرجل الشريف الذي عرض عليكم هذه الخدمة ؟! ومن هما صاحباك ؟

فأجاب ثعلبون على السؤال الثاني فقال : أما صاحبيّ فأحدهم الفارس المغوار الأمير هزبر قاهر الفرسان في ساحة الوغى ، وأما الآخر أيها الملك فهو البطل الكرار والفارس المغوار الذي ليس له مثيل في هذا الزمان البطل الجرار حامي الحمى يوم الوغى ، وأمهر من ركب الحصان وحمل الرمح والسنان وخير من طعن بالسيف والخنجر الأمير جبل بن مجدو الساحر المشهور بين الأنام بابن الخباز بطل بلاد الدب قاهر الملك الضبع حاكم بلاد العقرب .

فجفل الملك والحاشية عندما تفوه ثعلبون باسم جبل ابن الخباز فهو الاسم الذي سارت به الركبان ، فقال الملك بعدما تدارك نفسه وزالت دهشته : جبل بن مجدو .. هذا خصمنا ؟!
فقال ثعلبون : هذا اسمه قد فعل بكم ما فعل ؟! فكيف لو ترون طعناته ؟ واعلموا أيها السادة أنه اقتحم الوادي المرعب برجل واحد معه ، وصرع السبع العادي الذي تهابه الملوك وتدفع له الأموال والهدايا ليكف شره عنهم وعن مدنهم وقوافلهم ؟!
لقد كان السبع العادي ذا أخبار مرعبة ، وشهرته معروفة بين البلدان ، فقال الملك الغاصب : وهل قتل السبع العادي أيها الرجل الطويل اللسان ؟!
قال ثعلبون بفخر ، وهو يحاول قذف الرعب في قلوبهم بأخبار الأمير جبل وشجاعته : نعم منذ شهور صرعه الأمير الشجاع جبل ، وفتك بكثير من أتباعه ، والآن ها هو الأمير مع ألف فارس من رجال مدينتكم الهاربين ، قد أعدهم ودربهم تدريبا قويا للمشاركة في هذه الحملة ونصيحتي إليك أيها الملك ولهؤلاء الكرام الرضا بالصلح ، وأن تتعاون مع ابن أختك .. فالأمير جبل خصمك ، وهذه بعض أخباره ، ولابد أنك سمعت أخباره مع الملك الوحش الضبع .
فقال الملك متضاحكا : أيها الرجل ! لا تظن أنك تقذف الرعب في قلوبنا بالحديث عن مولاك ابن الخباز هذا ، ولكن الحق يقال إنني سمعت شيئا عنه..أما قتله للسبع العادي رجل الجبال والعصابات المخيف فهذا أول مرة أسمع به وأعلم أنه قاتله ..وأن السبع العادي قد قتل !!.. فهذا فارس إذن يحسب له ألف حساب .. فالرسالة التي حملتها لنا أيها الرجل يعرض فيها عليّ الملك أحمد بن خالد صهرنا صهر ملكنا الميت الصلح والتفاهم مع ابن أختي ، وأنا رجل مسالم ، لا أحب إراقة الدماء ، ولا أفعل ذلك إلا مجبرا مكرها .. واعلم أيها الرسول الناصح أنا لا أحب عداوة سيدك الشجاع جبل ، ولكن لديّ رغبة بالحديث والاجتماع به ؛ لنتفاهم قبل أن أوافق على التفاهم مع ابن أختي الهارب أو القتال حتى آخر نسمة من جندي الأوفياء فهل اعتمد عليك بنقل هذه الرغبة إليه والإتيان به للتفاهم حول بعض الأمور ؟

ودار الحديث بينهم حول ذلك الأمر ، وأظهر الملك الغاصب حبه الشديد للسلم والسلام والبعد عن الدسائس والفتك والغدر ، ثم انطلق ثعلبون إلى معسكر الأمير سلطان آخر الليل وقد وعده الملك ربيع بإرسال رسالة في الصباح تتضمن هذه المعاني ، وفيها رد على رسالة الملك أحمد ، وأن القرار النهائي سيكون بعد الالتقاء بالبطل الكرار جبل بن مجدو .. ووصل ثعلبون لمعسكر الأمير سلطان ، ونقل إلى خيمة الأمير ، فوجده ما زال ساهرا هو وأمراء الجند والفارسان جبل وهزبر ، فقص عليهم كل ما حدث بالتفصيل ، وبعد سكوت طويل قال الأمير مخاطبا جبلا : ما ترى أيها الفارس بما سمعنا ومما حصل للأمير ثعلبون ؟

قال جبل لما وجه إليه السوأل : هذا رجل غادر !.. فأول غدره أنه غدر بابن أخته وغدر بأنصاره ثم غدر برسول الملك أحمد .. فلا أمان لهذا الرجل الغدار .. وأرى أنها حيلة للقبض عليّ ، والذي أفكر فيه أيها السادة أن يذهب صديقي هزبر منتحلا شخصيتي ، وينتحل أحد فرسانكم المجهولين اسم هزبر ، فهم لا يعرفون جبلا من هزبر ، هم يذكرون وجوها منعتهم من استعادة الملك أسعد فقط .. وإذا رأيتم خطرا عليكم فاكشفوا لهم الحقيقة وأن غدرهم مكشوف .. وغدا عندما يحضر الرسول فلن أحضر هذا اللقاء ، وأنتم تظهرون هزبرا أمامه على أنه جبل .. هذا ما أشير به الآن أيها القوم .

فاستحسن القوم حيلة جبل لمعرفة جدة ربيع نحو الصلح والسلام ، وتعين أحد الفرسان ليقوم بدور هزبر ، ولما جاءت رسالة الملك الغاصب صباحا مبديا فيها التفاوض ورغبته في الصلح بعد لقاء الفارس جبل ، وركب الفرسان الثلاثة جيادهم عند المساء مع الرسول متجهين إلى قصر أبي جملة الذي رحب بهم أشد الترحيب ، وأبدى ترحيبا زائدا بالفارس جبل ولقد كان الاستقبال في قاعة العرش التي استقبل فيها ثعلبون أمس .

ولما انتهت المجاملات قال الملك وفي صوته نبرة تهكم وسخرية : أهلا بالبطل والفارس المغوار جبل بن مجدو الساحر – مشيرا بكلتا يديه إلى هزبر – ثم قال : أأنت قاهر الأبطال والصناديد من الرجال .. والفاتك بالمجرم الخطير السبع العادي ؟!

فهز هزبر رأسه وكتفيه وقال : نعم يا ملك الزمان أنا المدعو جبل بن الخباز مجدو .. جئت بناء على طلبك ورغبتك بالاجتماع بي ؛ ولننظر في أمر الصلح بينك وبين الملك الصغير أسعد .. أسعد ابن أختك . ونطق هزبر كلامه الأخير بنبرة فيها حدة مظهرا لسامعيه أنه الفارس جبل

فحينئذ قال الملك لأحد الرجال ـ وهو نفس الرجل الذي شهد على ثعلبون يوم أمس ـ : هل هؤلاء هم الفرسان الثلاثة الذين دافعوا عن السجين الهارب منذ شهور ؟

فقال المشار إليه : نعم .. نعم هم هؤلاء الثلاثة يا مولاي ! إنهم هم الذين فتكوا ببعض رجالنا وهربوا بذلك الصبي .

فقال الملك وهو يهبط عن كرسي الحكم : يا جبل .. أنت الآن بين أيدينا ، وها هم جنودي قد أحاطوا بك .

وفي هذه اللحظات كان عدد كبير من الجنود يدخلون القاعة ويحيطون بالفرسان وهم مشهرون رماحهم وسيوفهم في وجوه الفرسان ، فأخذ هزبر يضحك بصوت عال وقال : هذا آخر الغدر أيها الملك ؟!

فصاح أحد رجال الملك : ماذا قلت أيها الرعديد ؟

فسكت هزبر قليلا ثم قال : قلت هذا آخر الغدر أيها الملك .

فكأن الملك فطن لمغزى كلام هزبر فقال : هل كنتم تتوقعون ذلك أيها الحقير ؟! .. سوف ادعك في السجن حتى أنتهي من رجالكم في السهل ، ثم أنصب لكم مشنقة في ميدان المدينة ؛ لتكون أنت وأصحابك عبرة لغيرك من الصعاليك والأقزام

فرد هزبر بهدوء : افعل ما بدا لك أيها الرجل ، ولكن اعلم أننا لا نخشى الموت الذي تتوعدنا به .. وغدرك حسبنا حسابه . فقال الملك الغاصب بدهشة : كيف ؟!

فقال هزبر : عندما جاء ثعلبون وأخبرنا برغبتك بلقاء الفارس الداهية جبل ، قال إنك من أغدرهم ، وإنها حيلة للقبض عليه ، ولما سأله الأمير سلطان " كيف عرفت قصده ؟ " فقال الأمير جبل ...

فأخذ الملك ربيع يضحك وقال : ماذا قلت يا جبل ؟! أيها الفارس الداهية لن تسخر منا .

فأدرك هزبر معنى كلام الملك فضحك ضحكا عاليا هز القاعة ، وهمس لنفسه أثناءه " إنه يظن كلامي أنها حيلة لأوهمه بأنني لست جبلا " ، وملأ الضحك قلب الملك بالخوف والقلق ، وأكمل هزبر كلامه : قال جبل للأمير سلطان إنك رجل غادر ، لا أمان لك ؛ لأنك غدرت بابن أختك ونزعته من الملك ورميت به وبأنصار أبيه في أعماق السجون ، ثم غدرت برسول الملك أحمد ، وهذه صفات وأفعال الغادرين .. فأدركنا أنك غادر .

لم يثر الملك غضبا بل قال : وماذا فعلتم لتحذروا غدري أيها المحتال ؟!

فقال هزبر : هذا سرنا أيها السيد .. واعلم أننا إذا لم نرجع لمعسكرنا حتى صباح الغد .. فذلك أمارة على أنك غدرت بنا ، فيتأكد غدرك للأمير سلطان .. وهذا كان على مسمع من أذنيّ رسولك

وأكد الرسول ذلك قائلا : نعم يا مولاي ! سمعت الأمير سلطان يقول لهم " موعدنا الفجر ثم نرى "

فهز الملك رأسه ، وأشار لقائده بأن يقذف بهم في السجن ، وأن يحضرهم في الصباح ليرى ماذا يفعل قومهم ؟ فجردهم الجنود من سيوفهم وأسلحتهم وساقوهم مكبلين بالقيود للسجن ، ولما أغلقت الأبواب قال ثعلبون : إن جبلا هذا أذكى الناس ؛ وليس أشجعهم فحسب ، لقد كان يحدثني عن السلم والصلاح كأنه هو المظلوم والملك أسعد الظالم .. فهل نفهمه أن جبلا ليس بيننا ؟ فرغم اعترافك الجلي بأنك لست جبلا ما زال يعتقد ويصر على أنك الفارس جبل وأنك تسخر منه بادعائك أن جبلا كشف غدره .

فقال هزبر : فليبق على غبائه .. فهو غبي ، ومن حوله أغبى منه ، لا أدري كيف ملك هذا الرجل هؤلاء الناس ؟!

فقال صاحبهم الثالث : مصالح ومطامع يا سيدي الفارس !

آخر أخبار مدينة الشرق

فلما ملأت أشعة الشمس مدينة الشرق والجبال والسهول حولها ، ولم يرجع الفرسان الثلاثة لمعسكر الأمير سلطان ، قال له جبل :أرأيت يا سيدي غدر هذا الرجل ؟!

فقال سلطان : ننتظر إلى المساء ، ثم نرتب خطة الهجوم .

فرد جبل قائلا : كما تشاء أيها الأمير فلنصبر حتى الليل .

وأما في قصر الأمارة فقد أحضر قائد الحرس السجناء الثلاثة ، وأراد سفك دمهم على سور أمام جيش مدينة اللؤلؤ ، فقال له هزبر : أما الآن فاعلم أيها الملك أنني لست جبلا كما تتوهم فجبل أذكى من أن يقع في فخك ، فأنا الفارس هزبر .. وقد حاولت أمس إيصال ذلك إليك فلم تدرك ذلك واعتقدت أنني أمكر بك .. فلا تعجل بقتلنا حتى تسفر المعركة عن نهايتها ، ونحن اسرى بين يديك .. تستطيع سفك دمنا وقتما تشاء .

فانزعج الملك واشتد غضبه ، وأدرك في هذه اللحظة ذكاء جبل ؛ ولكنه في قرار نفسه ما زال الشك داخله ، ويخشى أن تكون حيلة من جبل للنجاة من الموت والهرب ، وأن الفارس الذي يقف أمامه هو جبل ، فبعد تشاور مع حاشيته أمر بإعادتهم للحبس حتى يتأكد من شخص الرجل الذي يحاوره ، ولقد بلغ الخوف من جبل بنفسه مبلغا عظيما ، فطلب أحد الجواسيس وأرسله إلى المعسكر ليتأكد من وجود جبل فيه .. ولكن هذا الجاسوس وقع في أيدي القوم ، وتم استجوابه واعترف لهم بمهمته ، وبين لهم ما تعرض له الفرسان من الخطر ، فقال جبل للأمير والقادة : لابد من الهجوم فغدا ـ إن شاء الله ـ تبدأ المعركة فاستعدوا للقاء وأعلموا الجنود بذلك .

وسكت الفارس رويدا ثم تكلم قائلا : سوف أدخل المدينة قبلكم على أني رسول ضمن وفد من ثلاثة رجال غيري قد اخترتهم لهذه المهمة الجريئة .. وعندما يدخل الوفد للمدينة تزحفوا نحو باب المدينة الذي أمامكم ، ويكون مائة خيال على أتم استعداد للهجوم ، فعندما تفتح الأبواب أو أحدها يقتحمونه مسرعين وبكل قوة

فقال الأمير : وكيف سيفتح الباب ؟!

فقال جبل : سأكون كما قلت قبل لحظات أحد الوفد الذاهب لمقابلة الملك الغاصب ، ونعرض عليه الصلح والعفو عن الفرسان الثلاثة مقابل العفو عن جاسوسه ، ونحن عائدون سننقض على حرس الأبواب أثناء فتحهم الباب ، فيندفع المائة مسرعين ، ولسوف يكون للمفاجأة دورها وأثرها ، وعندما يسيطر الخيالة المائة على الأبواب يدخل باقي الجند ..

فقال سلطان بانبهار : إنها خطة جريئة ومغامرة كبيرة !!

فقال جبل : لابد منها أيها الأمير .. وإلا طال الحصار .. مائة فارس إذا دخلوا المدينة والأبواب سيدب الرعب في جنود الغاصب ، ولا تنسى أن أكثرهم يخضعون له مكرهين .. وأنصار الملك الصغير والمتعاطفون معه سوف يتحركون وينضمون إلينا .

فقال سلطان : على بركة الله أيها الفارس الذكي .

تهيأ الجيش باكرا للمعركة ، وتقدمهم مائة فارس نحو الباب الكبير ، وانطلق وفد من أربعة فرسان على صهوات جيادهم يحملون راية بيضاء تقدم بها رئيسهم ، وأخذ الرماة على الأسوار حذرهم عندما رأوا الجيش أمام الأبواب ، ففتح حراس الأبواب الباب لدخول الوفد المفاوض ، فلما وصل الوفد إلى قصر الملك أراد الحراس أخذ أسلحتهم ، فرفضوا وقالوا ليكلمنا الملك من الشرفة وأعطوا الرسالة ـ رسالة من الأمير سلطان ـ لأحد الحراس الذي نقلها للملك ، فأطل عليهم ـ على رسل الأمير ـ بعد قراءتها من شرفة القصر وقال صائحا حانقا : ما دمتم جئتم تنشدون الصلح وترغبون به لماذا زحف جيشكم نحو الأبواب ؟!

فرد رئيس الوفد بصوت جهور : فعلنا ذلك أيها الملك إشارة وإمارة للحرب والمعركة الحاسمة .

فتبسم الملك وقال : لا أدري ما شأن جنود الملك أحمد بهذه المدينة ؟! .. إنها بلادنا والناس لا ترغب في حكم أسرة صهري أبي أسعد .. فلماذا تقتلون أنفسكم من أجل غيركم ؟!

فقال رئيس الوفد : والأسرى الثلاثة ألا ترغب بمبادلتهم بجاسوسكم الأسير ؟
فصاح الملك : قل لمولاك أن ينصرف عن ديارنا ، ولا شأن له بمشاكلنا ؛ فإذا انصرف عائدا لدياره قد أعفو عنهم ، وإلا فلتبقوا مائة سنة أمام أبواب مدينتا .
فقال رئيس الوفد : حسنا أيها الملك هذا آخر كلام لدى مولانا الملك .
فقال وهو يدير نفسه لداخل الحجرة : نعم ، قولوا ذلك لمولاكم .
وقفل الوفد عائدين تحوطهم ثلة من الفرسان ؛ليخرجوهم من الأبواب ، وعندما وصل الوفد لباب المدينة قام حملة المفاتيح بفتح الباب ليخرج الفرسان الأربعة ، ولما فتح الباب بدأ الهجوم على الحراس وحملة المفاتيح ، كانت معركة سريعة ومفاجئة ومفاجأة مذهلة ، واندفع المائة فارس من الأبواب مسرعين كما رتب لهم ، ولم تمض دقائق حتى تمت السيطرة على الأبواب ، وقاوم الرماة ولكن كانت مقاومتهم ضعيفة مع المفاجأة ، ودخلت جيوش الأمير بهمة عالية ، فأخذت جنود المدينة تهرب من أمامهم وأكثرهم استسلم ، واستمر الزحف حتى قصر الأمارة ، وتمت محاصرته من الناس والجنود ، وهم يهتفون بحياة الملك أسعد .
وخلال ساعات أعلن قادة الجند استسلامهم لجبل وولائهم للملك أسعد ، وتم اعتقال قادتهم ، وانطلق جبل مسرعا إلى السجن ، فأخرج الفرسان الثلاثة والأسرى والتاجر رمضان واندفعوا نحو قصر الأمارة الذي استسلم حراسه خوفا من البطش والتنكيل بهم وخوفا من الموت الذي توعدهم به جبل ، فاقتحم جبل والفرسان الحجرات يبحثون عن الملك الغاصب ووزيره وقائد حرسه ، فوجدوا الملك مختبئا عند النساء ، وهو يرتجف من الخوف ، فانتشله جبل من بين النساء كالحمل الوديع ، وكان يبكي ويقول : العفو .. العفو .. العفو أيها الكرام فأخذه جبل إلى خارج القصر وهو يحمله كالعصفور ، ثم طرحه على الأرض وهو يقول للناس المتجمهرين : هذا هو الملك الغاصب الغادر أيها الناس !!
فقال هزبر للملك الذليل : هذا هو جبل أيها الملك الأحمق الغبي !.
فنظر الملك المهزوم إلى جبل الرجل الذي حمله من بين نسائه كما يحمل الكبش أو الحمل

الصغير وقال الملك باستغراب ورعب : أأنت جبل ؟! لقد كنت مع الوفد الأخير ؟

فأجاب الفارس باسما : نعم ، أنا جبل بن مجدو الساحر .. يا غادر يا غاصب ..

وأمر جبل رجاله بحبسه في خيمة حتى ينظر في أمره ، وفي مساء ذلك اليوم دخل الأمير سلطان وحاشيته وحرسه المدينة وهو مسرور للنصر الذي تحقق بدون اراقة دماء تذكر ، لم يقتل الا عدد قليل من الطرفين ومئات من الجراحات ، وأعطى الأمير أهلها الأمان والسلام ، وأرسلت البشائر إلى مدينة اللؤلؤ وتدعو الملك أسعد بالعودة لبلاده ، وجاء الملك أسعد بن سعيدان إلى مدينته من جديد المدينة التي ورث ملكها عن أبيه ، ورافق الملك ولي عهد مدينة اللؤلؤ الأمير خالد وزوجته الأميرة رشاء ، وخرج أنصار الملك وأصدقاء والده لاستقباله والترحيب به عند مدخل المدينة ، وفرح الناس بعودة الملك الشرعي للمدينة ، ولما استقر على كرسي الحكم وعرش الآباء والأجداد فقد جعل من الفرسان الذين دربهم الفرسان الثلاثة في المنفى حرسه وقادة جيشه وشرطته ، وأزاح وأبعد كل قادة الجند الذين تعاونوا مع خاله ، وقدم أبو جملة للمحاكمة التي قضت بموته لخيانته وإفساده هدوء البلاد ، ولكن الأمير جبلا بعد تشاور مع الأمراء والأمير سلطان قائد الحملة تدخلوا وخففوا الحكم بالسجن حتى الموت لقرابة ربيع من الملك أسعد وللرحم التي بينهم ، ولما استقرت الأحوال انسحب الأمير سلطان بجيشه إلى بلاده ، ومنح الملك أسعد الفرسان مناصب رفيعة في مملكته ، ولكنهم اعتذروا عن قبولها ورضوا بحمل لقب فارس المدينة ، وأصبح لكل واحد منهم حق البقاء الدائم في البلاد كأيّ مواطن أصيل ، ولهم الحرية بترك البلاد وأخذ أموالهم وأملاكهم معهم ، ووهبهم الملك قصرا من القصور التي ورثها عن أبيه بما فيه من الخدم والجواري ، وأحبهم محبي الملك كالتاجر رمضان الذين أصبحوا موضع فخر دائم في حديثه ، وقد حاول إغرائهم بالزواج من ثلاث فتيات من أهل المدينة للاستقرار فيها والارتباط بها ، فاعتذروا عن الزواج ، وبينما هم في سعادة النصر ورفع الظلم عن الملك أسعد جاءتهم الأخبار من بلاد الدب ، أن الملك الضبع يحاصرها ، ويطلب من الملك سليل تسليمه الفارس جبلا للصلح بين المدينتين ،

فأعلمه الملك أن جبلا قد غادر البلاد منذ زمن ، وبالطبع لم يصدق الضبع ذلك ، وما زال محاصرا لها ، فلما سمع الفرسان أخبار موطنهم من غلامهم ، قال جبل : أيها السادة .. ما رأيكم أن ندخل مدينة العقرب الأحمر ، ونتعرف عليها وعلى ذلك الملك الأحمق ؟ فقد ثبتنا حكم صديقنا أسعد ، ولم تعد بنا حاجة للبقاء هنا .

أصابت الدهشة الفارسين ، وقال هزبر : وكيف نتعرف عليه وهو يبحث عنك ؟! وأنا كما تعلمون أعرف تلك المدينة جيدا .

فقال جبل : أنت عشت فيها يا سيدي لمتابعة تحركات جيش الضبع ، أما أنا فأفكر بطريقة لتدميرها .

أبدى الفارسان ذهولهما لأحلام الفارس فرد جبل على ذهولهما قائلا : سوف نخلع ملابس الفرسان ونلبس ملابس التجار ، ومع قوافل التجارة ندخلها ونستقر فيها ، فندرس أحوالها وأخبارها ونعرف أماكن الضعف فيها ، ولعلنا ننفع قومنا أكثر ونحن هناك .. وهذا الضبع ملك عنيد فها هو يبحث عن رأسي !



مدينة العقرب الأحمر

ولما اطمئن الفرسان الثلاثة على أن الملك أسعد سيطر على البلاد سيطرة تامة أخبروه بحاجتهم للرحيل والسياحة في الأرض ، وأوصاه الأمير جبل على غلمانهم ، وفي ليلة ظلماء خلعوا ملابس الفرسان وارتدوا ثياب التجار ، وعلى حين غفلة



من أهلها غادروا المدينة إلى مدينة أخرى ، وهناك اشتروا بغالا ودوابا وشدوا عليها بضائع من الحبوب والأقمشة ، ومع إحدى القوافل المتنقلة بين المدن شرقا وغربا تنقلوا معهم حتى وصلوا بلاد العقرب عاصمة ملك الضبع ، وفي أحد الخانات الكبيرة والخاصة بالتجار حطوا رحالهم وأموالهم ، وهزبر كما تعلمون سكن في هذه المدينة عندما كان عينا لجبل أثناء حروبه للضبع وعرفها بشكل جيد ، فرأى جبل وثعلبون أنها مدينة عظيمة كبيرة جدا ، يقسمها نهر عظيم يأتي من جهة الشمال ، ويصب ماؤه في البحر الكبير الذي يشكل جنوبا للمدينة ، ورأوا أسوارا عالية ، ومحاطة بأعداد كثيرة من الأبراج الحصينة ، وشاطئ البحر عليه عدد آخر من الأبراج الدفاعية ونقاط للحماية ، وبعد تأمل دقيق للمدينة أدرك جبل أن أضعف نقطة لدخول المدينة حربيا من جهة البحر ، فأسوارها حصينة ومنيعة ، فجيش قوي مدرب قد يستطيع دخولها من جهة البحر ويدمرها ، وأما قصر الضبع فهو داخل قلعة ضخمة على قمة جبل كبير ، وبروج صغيرة تحيط بأسوار القلعة تظهر لك أن الضبع كأنه سجين في بلاده ، والأسوار منتشر عليها الجند كأنهم في حرب .

وتعرف الفرسان الثلاثة على جبالها ووديانها وميادينها وأسواقها ومراكبها ، وخلال المدة التي أمضوها يبيعون وضحت الخطة المناسبة في أذهانهم ، فأولها البقاء في المدينة ، وفتح متجر فيها لبيع الحبوب يتولاه هزبر لخبرته القديمة في المدينة ، واتفقوا مع صاحب القافلة التي أتوا معها

وبصحبتها أن يمدهم بالحبوب التي يجمعها من المدن التي يمر بها ويرسلها إليهم مع غلمانه ، ولما اتفقوا مع التاجر استأجروا متجرا ، وأصبح الفارس هزبر هو التاجر أمام تجار السوق ، وتسمى بالتاجر معروف الباهر ، واشتروا غلامين للعمل في الحانوت ، وهكذا بدأ تاجر القافلة يمدهم بالحبوب ، وهم يبيعونها على قسمة بينهم ، وكان جبل وثعلبون يتنقلون في المدينة بحرية وراحة تامتين ، ودرسوا المدينة دراسة واعية تنفعهم في اللحظة المناسبة لتدمير المدينة ، وعلموا من معاشرتهم للناس أن أكبر أعداء البلاد هو ملك بلاد التين الملك جبرون ، وقد دارت بين الطرفين معارك طاحنة منذ سنوات طويلة ، وهي متكررة حتى اليوم ، ولقد تصالحوا مرات عديدة ، وكان الصلح ينقض ولا يدوم ، فكانوا يرون الصلح بينهم هدنة للاستعداد لمعركة جديدة ، وأكثر مدة صمد الصلح بينهم دام ثلاث سنوات ، وبينما هم يلتقطون أخبار المدينة ويدرسون نقاط الضعف فيها جاءتهم الأخبار بعودة الوزير شمروك مرة أخرى بحملة فاشلة قادها على بلاد الدب ، ففرح الفرسان لفشله ، وأن جهدهم لم يذهب عبثا في تقوية وتحصين مدينتهم .. ثم علموا أن الضبع يخطط لحملة تأديبية لبلاد التين لاعتراضهم قافلة تخص مملكته أثناء وجود الوزير غازيا لبلاد الدب ، فأرسل الضبع الرسائل لولاة الأقاليم الخاضعة لحكمه بأن ترسل كل ولاية ألف فارس للمشاركة في الحملة التأديبية ولما تجهزت الحملة وتوافدت عساكر المدن ، واجتمعت أمام أسوار المدينة في معسكر كبير ، اتفق جبل مع رفيقيه بمصاحبة الجيش متطوعا ضمن المتطوعين من عامة الناس لخدمة الجنود في قتالهم وحصارهم لبلاد التين ، ويقوم المتطوعون عادة بصيانة السيوف والرماح والأقواس والمنجنيقات وأدوات الحرب الأخرى ومساعدة الجرحى ودفن القتلى وخدمة الحملة عامة ، فأحب الفارس الاطلاع على أحوال وقدرات جيش الضبع خلال القتال من العمل ضمن المتطوعين .

ولما تهيأت العساكر خارج أسوار مدينة العقرب واكتملت ، جعل الملك الضبع قائدا عليها زوج ابنته الأمير الشرس والمشهور بالقسوة الفارس " عادي الليل " ، وانطلقت الحملة نحو

الشمال الغربي حيث تقع بلاد التين .

وبعد أيام التقت الحملة القوية بعساكر الملك جبرون في منطقة سهلية بين المدينتين العظيمتين وتصادمت عساكر الفريقين عدة أيام وسقط منهم مئات الضحايا ، ولم يحسم أحدهم النصر على الآخر ، وبدأت تجري بينهم مفاوضات للهدنة والمسالمة ، وأثناء تبادل المراسلات كانت تحدث بينهم مناوشات ومشاجرات ورمي بالنشاب والمدافع الصغيرة إلى أن كان ذات ليلة رجعت سرية من سرايا الحراسة حول معسكر بلاد التين بأسير كبير من فرسان الضبع ، ولما تبينه الملك جبرون قائد جيش التين بنفسه ؛ فإذا هو قائد حملة الضبع وأميرها الفارس " عادي الليل " صهر الملك الضبع ، فعجب الملك والأمراء والقادة من وقوع هذا الفارس وثلاثة آخرين معه ، فعلم من قائد السرية التي أسرتهم أنهم وجدوهم في البرية يصطادون الأرانب والثعالب ، فصنعوا لهم كمينا وصادوهم صيد الأرانب بعد أن ساقتهم الأرانب التي يطاردونها إلى منطقة سيطرة هذه السرية ، فأنبه الملك وحقره ، وأمر بنقله سريعا لمدينة التين في نفس الليلة مخفورا ، وأمر الملك جبرون قادته بالاستعداد لمعركة هائلة صباح الغد ، وقضى جيش القائد" عادي الليل " الليل يبحث عن القائد والفرسان الثلاثة الذين معه ، ولما أصبح الصباح داهمتهم جنود التين ، فجرت معركة كبيرة دارت فيها الدائرة على عساكر الضبع التي تعرضت لخسارة قاسية ، ففر الجنود والقادة بعدما وقع عدد كبير منهم بين قتيل وجريح ، واستسلمت أعداد أخرى ، فدبت الفوضى في معسكرهم ، وأخذ فرسان الملك جبرون بمطاردة الفارين ، ومن نجا وصل لبلاد العقرب وهو في حالة من الذل والهوان لا توصف ، ولما ابتعد الهاربون أحاط فرسان الملك جبرون بمعسكر العامة وساقوهم آسارى ، فكان ضمن من استسلم الفارس جبل فقد سلم نفسه ، ولم يحاول الفرار ككثير من الناس ؛ لأن العامة عادة تكون في مؤخرة الجيش أو آخر ميدان المعركة ، فسيق مع الأسرى إلى بلاد التين ، وهناك وضعوهم في ساحة واسعة حتى يتقاسمهم الأمراء والفرسان الكبار ، كان من العرف الجاري في بلاد التين أن قادة الجيش والفرسان الكبار الذين يملكون أراضي زراعية

وإقطاعيات ملكية ، أنهم يمرون على الأسرى من العامة والخدم ، فيأخذ القائد أو الفارس عددا منهم للعمل عنده في قصوره وأملاكه ، أو يدفعون له فدية مقابل حريتهم ، فتقدم أحد القادة الكبار للساحة التي حبس فيها العامة ليختار ما يناسبه منهم للعمل عنده ، وهذا القائد الذي تقدم أولا هو القائد المشهور في بلاط الملك جبرون الأمير " سالم بن قنبرة " ، وهو قائد محنك وكبير في السن ، وقد خدم بداية في جند والد الملك جبرون ، وما زال له احترام كبير لدى الملك جبرون ، ونزل القائد عن جواده فأمسك به أحد خدمه وتقدم من الأسرى وخلفه بعض رجاله وقيم قصره ، وكان قبل أن يترك الجواد قد دار دورة حول الأسرى ينظر إليهم ، فلما نزل عن الجواد أخذ يشير إلى الأسرى ، فكلما أشار لشخص سحبه قيم الأمير فأخذه رجاله ، فاختار خمسين شخصا كان بينهم الأمير جبل وشابان آخران يهمنا أمرهم في هذه الحكاية ، الأول اسمه ضيغم شاب جميل الهيئة في العشرين من عمره ، والثاني اسمه جدار ، فلما انتهى الاختيار تقدم قائد آخر للأختيار وهكذا ، وأخذ قيم القائد سالم الأسرى الخمسين إلى قصر الأمير بحراسة رجال القائد ، وهناك أكرمهم القيم خضرون بالاغتسال بالماء الدافئ ووهبهم الملابس الجميلة ، وقدم لهم الطعام اللذيذ والشراب البارد ، وأنزلهم في مكان واسع حتى يراهم السيد سالم بن قنبرة في الليل بعد رجوعه من مجلس الملك .

وفي الليل بعد أن عاد القائد سالم من مجلس الملك جبرون ، وتناول طعامه مع زوجته وأسرته كالمعتاد ، انتقل إلى جناح آخر في القصر ليقابل الأسرى الذين أعدهم قيم القصر خضرون وهيأهم لمقابلة القائد ، وفي قاعة واسعة التقى بهم الأمير ، فجلس على كرسي معدا له ، وطفق يدقق النظر في سيمائهم ، ويسأل بعضهم عن أسمائهم وأعمالهم في بلادهم ، ثم قال : أيها الشباب أنتم أصدقاء لي .. فمن منكم يرغب بشراء حريته فليذكر اسمه للقيم حتى يدبر قيمنا أمره ، ويطلب الفدية من أهله ليرسلوها لنا مقابل حريته .. ومن أحب البقاء في بلادنا للعمل في أملاكنا فليذكر اسمه والعمل الذي يتقنه ؛ فإن كان له زوجة وولد سنسعى بإحضارهم إن شاء ، وهؤلاء أحرار ؛ ولكنهم خدم لنا في أملاكنا وقصورنا ، ولا أريد

استرقاق أحد منكم .

وأخذ خضرون القيم ويساعده الكاتب بكتب أسماء الذين يرغبون بدفع الفدية ثم يصرفهم حتى يتم ترتيب طريقة لأخذ الفدية منهم وإطلاق سراحهم ، فخرج عشرون رجلا منهم ، ثم تقدم الباقون الراغبون بالحياة في أملاك القائد ، فدون القيم أسماءهم والأعمال التي كانوا يمارسونها في بلادهم ، ثم قال أحد الأسرى للقائد سالم : يا سيدي القائد أنا أرغب في العيش والحياة في ظلكم ؛ ولكن لي زوجة وأم في بلاد العقرب أحب إحضارهم ، وإنني أعاهدك أمام يالله وأمام هؤلاء القوم إنني سأعود بهم لنعيش في كنفك أيها الأمير .

وقال آخرون مثله فدون الكاتب إشارة بجانب أسمائهم ، فوعدهم القائد بتدبير أمرهم ثم صرفهم ، وظل ثلاثة رجال ، فقال لهم القائد سالم : وأنتم لا أهل لكم هناك ولا أموال ؟!

وأشار إلى أحدهم وهو المدعو جدار فقال الشاب : اسمي جدار .. لي يا سيدي أم وأب واخوة ، وهم ليسوا بحاجة لرعايتي ، ولسوف أخبرهم ببقائي حيا مع أحد العائدين ، وأما أنا فلدي الرغبة في المكث هنا والحياة في حماكم ، لقد كرهت بلاد العقرب وضقت بها ذرعا .

فقال القائد سالم : مرحبا بك ، واعلم يا جدار أنك حر ، وإذا لم يطب لك العيش في كنفنا بعد أن تعاشرنا فعد لأهلك سالما .. وأنت أيها الشاب القوي البنية أليس لك أهل ؟ وأشار لجبل .

فرد الفارس وهو يبتسم : أنا يا سيدي لي أسماء كثيرة ، وأعمل عند التاجر معروف الباهر تاجر حبوب في مدينة العقرب ، وأمرني السيد معروف بمرافقة الحملة للخدمة كغيري من الضعفاء ، ويناديني السيد معروف باسم صخرة .. ولا أهل لي في مدينة العقرب الأحمر .

فقال القائد وهو يتأمل جبلا : لقد ارتاحت نفسي إليك يا صخرة .. أم تريد العودة لسيدك ؟

فابتسم جبل وقال : هنا أو هناك سيان عندي يا سيدي القائد .. فقد تركت بعض الأشياء عنده فإن احتجتها أحضرتها ، فقد سكنت وارتاحت النفس إليك أيها القائد .

فقال سالم مشجعا لجبل : أحسنت يا صخرة ، وإن كان يبدو لي في عينيك كلام .. ويبدو لنا على محياك الشجاعة والجرأة وحسن الجواب وسنكرم نزلك ..خضرون ليعمل هذا الشاب هو

وجدار في حظائر الخيول .. وأنت ـ وأشار لضيغم ـ قلت لي ونحن في الساحة إنك غلام لسيد من بلاد الشرق قتل في المعركة ، وكانت مهمته تزويد الجيش بالسيوف وعصي الرماح والأقواس .

فقال ضيغم : اسمي ضيغم يا سيدي الأمير ! وأنا غلام للسيد داود .. وهذا ما ذكرته لك صباحا فسيدي يدعى داود ، ونحن من مدينة الشرق ، وهو تاجر في بيع السيوف والرماح وغيرها من آلات الحرب يشتريها من المدن ويبيعها في مدن أخرى .

فقال سالم : أنت غلام جميل وصغير يا ضيغم وزوجتنا فقدت أحد الغلمان وتصلح أنت للعمل داخل القصور ؛ ولكن بما أنك من بلاد الشرق ، قل هل هو حق ما قيل عن رجوع ابن الملك سعيدان لعرش بلاده بعدما طرده خاله عنه ؟

فهز الفتى رأسه بالإيجاب وقال : هذا حق يا سيدي .. لقد اغتصب خال الملك ملك ابن أخته الصغير بعد وفاة والده بل طرحه في السجن ؛ ولكنه نجا بمساعدة أنصار أبيه ، ولجأ إلى الملك أحمد بن خالد صاحب بلاد اللؤلؤ ـ فأخت الملك الصغير حليلة لولي عهد تلك المدينة الأمير خالد ـ فجهز ذلك الملك جيشا لجبا قويا ، وانتصر به على الملك الغاصب ، ورد الحكم لصاحبه الملك أسعد .. وقد جرت معركة في داخل المدينة ولكني وسيدي داود يومذاك لم نكن في المدينة ، فلما عدنا وجدنا الأمور قد عادت لحالها ونصابها منذ سنة مضت .

فقال سالم : أحسنت يا ضيغم ! هل ترغب في البقاء عندنا ؟

فقال ضيغم : أنا أسيرك يا سيدي .

فقال سالم : لقد عفونا عنك وأعطيناك حريتك .

فقال ضيغم : أنا عبدك وغلامك المخلص يا سيدي ! فمنذ وعيت على نفسي وأنا عبد رقيق فلا حرمني الله من إحسانك .

فقال سالم : أنت حر يا ضيغم .. خضرون .

فرد خضرون : نعم يا سيدي .

فقال سالم : يصلح هذا الغلام للعمل داخل القصر مع الغلمان والخدم ، فأكرم مثواه وعلمه على خدمة القصر .. وأما صخرة وجدار فألحقهما في حظائر الخيل .. أيها الشباب نحن نحسن لمن أخلص لنا ونعفو عمن أساء لنا بحسن قصد .

وغادر القائد المكان إلى حجرات النساء ، وأخذهم خضرون لغرفة أخرى وقال : باتوا الليلة هنا وفي الصباح نراكم .

وفي تلك الغرفة قال جبل لضيغم : هل أنت من مدينة الشرق ؟

فرد ضيغم باسما : نعم يا أخي .

فقال جبل " صخرة " : إنني أعرف هذه البلاد وعشت فيها فترة .. وأعرف التاجر رمضان المشهور هناك .

فقال ضيغم : صدقت ، فهو معروف ومن أشهر تجار السوق ، وأنا أعرفه ؛ ولكن علاقة سيدي داود به ضعيفة ، فنوع عمله يختلف عن نوع عملنا ، فنحن نتنقل بين البلاد نبحث عن صناع السلاح ، ونشتري منهم ثم نبيعه في أماكن أخرى ، فحياتنا في ترحال دائم ، وكانت علاقة سيدي داود قوية من رجال الحكم والحرب في مدينة العقرب الأحمر ، وكان تجار تلك البلدة يدفعون لنا أسعار مغرية ، فلذلك كنا نرافقهم في بعض حملاتهم ونمدهم بالرماح والسهام الجديدة ، ونشتري منهم ما يكسبونه من مغانم الحرب والأسرى ، وخرجنا هذه المرة معهم ، فلما أسر " عادي الليل " لم يدر أحد بأسره ، وجرت المواجهة فأصيب سيدي بسهم في عنقه فمات ، ووقعت أنا في الأسر كما ترى ، فهذه قصتي أيها الصديق ، فعلاقتي ببلاد الشرق أنني وجدت نفسي فيها وكبرت فيها وترعرعت فيها ، وأنا لا أدري مكان مولدي الأول .. وأنت حدثنا عن نفسك ؟

فقال جبل باسما : كان مولدي أيها الأصدقاء في مدينة يقال لها الدب ، فيوما أعمل عند القائد فلان ويوما آخر عند التاجر فلان ، فعرفت الدنيا ، فقد عرفت مدينة الشرق ولي أصدقاء طيبون فيها ، وكذلك بلاد اللؤلؤ ..وفي النهاية دخلت مدينة العقرب عاصمة ملك الضبع ..

وكنت قبل أسري أعمل عند تاجر الحبوب معروف الباهر ، ولما خرجت هذا الحملة خرجت معها ، فهذا يا صديقاي ملخص سيرة حياتي .. فاعتبرني يا ضيغم صديقا لك وأخا لك .

فشكره ضيغم على عطفه وصداقته ، وحدثهم جدار فقال : أما أنا أيها الرفاق ! فقد ولدت في مدينة العقرب وترعرعت فيها ، وقد وعيت وأنا أرى بلادنا في حروب مستمرة ، وخرجت في هذه الحرب خادما لأحد الفرسان فقتل ووقعت أسيرا ، وكانت مهمتي معه مساعدته في حمل آلات الحرب التي تخصه ومراعاة حصانه .. ولقد تخلصت منه لعلي أجد الراحة والسعادة عند هذا السيد الجديد .

فقال جبل : اعتبرني صديقا وأخا لك يا جدار .

فقال ضيغم : وأنا صديق لكم .

وتعاهد الأسرى الشبان الثلاثة على الصداقة والاخوة في ظل هذا السيد الجديد ، وفي الصباح ألحق ضيغم للخدمة داخل القصر ، فأخذه رئيس الخدم ليعلمه كيف يدخل على الأمير والأميرة وبنات ونساء القصر والأعمال التي سيقوم بها ، وقاد خضرون جبلا وجدارا إلى حظائر الخيول الخاصة بالقائد سالم ، ووزع باقي الأسرى الذين يرغبون بالبقاء على البساتين والحدائق المختلفة للأمير .

ونقل جبل رسالة مع أحد العائدين لجلب الفدية إلى التاجر معروف الباهر يطمئنهم فيها على حياته ، ويحثهم على عدم القلق على شخصه ، وكان جبل يمضي أيامه مع الخيل يطعمها وينظفها ويمرنها ، وفي الليل يزور هو وجدار صديقهم ضيغما في غرفة منامه عند القصر ، ويعودان للنوم بالقرب من حظائر الخيل في الموضع المخصص لنومهم ، وأحيانا يزورهما ضيغم ، وكان جدار يكثر الحديث عن الضبع وقصص ظلمه للعباد وطغيانه وحبه لسفك الدماء وقتل الجنود والفرسان أثناء غضبه ، ويتحدث عن عطشه الشديد للحروب ، وتعمقت الصداقة بين الشبان الثلاثة في ظل القائد سالم بن قنبرة ، وعلم جبل من ضيغم أن الملك الضبع

وافق على صلح جديد بين البلدين ، ودفع أموال كثيرة لفداء الأسرى من الجند والفرسان ، وفدى نسيبه زوج ابنته عادى الليل بمبلغ ضخم من المال ، وعلم ضيغم من مجالس سيده أن الحرب بينهم لا تنتهي ، فهم يتحاربون منذ عشرات السنين ، ولا يثق طرف بالآخر ، يستريحون ثم يستعدون لجولة أخرى من الحرب ، فالعداء مستفحل بينهم .



جبل يظهر في بلاد التين

ومضت الأيام رتيبة هادئة إلى أن كان ذات ليلة عنـدما قام خادم القصر ضيغم بزيارة لصديقيه صخـرة (جبل) وجدار بمنزلهما القريب من حظائر الخيول ، وبـعدما أكل الثلاثة ما أتاهم به ضيغم من طعام القصر دار الحديث بينهم ؛ وفجأة قال ضيغم : هل تعلمون أيها الأصدقاء أنه قد حدث اليوم حدث جلل في هذا البلد ؟!

فانتبه إليه الرجلان وقال صخرة : ها .. ماذا جرى يا صديقنا ؟!

فقال ضيغم بحزن خفيف : سمعت سيدي سالما يحدث خضرون القيم بأن مصيبة حلت على البلاد ، فقد تعرض أحد أبناء الملك للأسر .

فقال جدار بدهشة كبيرة : الأسر ! .. هل أسره رجال الملك الضبع ؟!

فقال ضيغم : لا .. لا .. القصة كما سمعتها .. أن الملك جبرون قد خطب فتاة لأحد لأبنائه منذ سنة – قبل مجيئنا لهذه البلاد – ابنة الملك العادل ، وهذه البلاد قريبة يا صخرة من بلاد الملك أحمد التي تعرفها كما قلت لي سابقا !

فهز جبل رأسه قائلا : نعم أعرفها ، بلاد اللؤلؤ ، وقد عشت فيها.. أكمل أيها الصديق !

فعاد ضيغم للحديث قائلا : المهم أن هناك بلدا يحكمها ملك يقال له العادل ، وبينه وبين الملك جبرون صداقة وعلاقات وطيدة وطيبة مما دفع الملك جبرون أن يخطب ابنة الملك لابنه " سالك "، وقبل شهر من هذا اليوم سافر الأمير وأصدقاؤه وعدد يسير من الفرسان لإحضار الأميرة العروس ؛ ليتم زفافها هنا ، وفي أثناء عودتهم مروا من واد يقال له الوادي المرعب أو جبل الرعب تسكن فيه عصابات مرعبة .. أسمعتم به ؟

فرد جدار : ومن لم يسمع به ؟!!.. إنه واد الموت ..ولكننا سمعنا أيضا أن سيد هذا الوادي قد قتل .. وقد تزعم هؤلاء الأشرار رجل يقال له الأعرج مشهور بين الناس بلهب الليل .

وقال جبل أيضا : نعم يا ضيغم إنني أعرف هذا الجبل .. بل أعرف السبع العادي ، وأعرف الرجل الذي قتله وخلص الناس من شره .

فقطع جدار الحديث قائلا : إنك يا صخرة رجل خطير !!.. تعرف الكثير من البلدان ..وما قلته الآن حكاية وأيّ حكاية ؟! كيف تعرف رجال ذاك المكان المرعب ؟!

فابتسم جبل لملاحظة جدار الذكية وقال : سيأتي يوم وأقولها لكم ..آ .. ماذا حدث للأمير سالك ؟

فعاد ضيغم يقول : وهل تعرف السبع العادي حقيقة يا صخرة ؟!

فقال جبل : نعم ، والتقيت به مرة واحدة في ذلك الوادي ؟

فقال جدار مستغربا : ويحك يا صخرة !!.. التقيت بالسبع العادي نفسه وكيف ذلك ؟! .. من يدخل هذا الوادي إما أن يموت ، وإما أن يصبح عبدا ذليلا لرجال الجبل .

فرد جبل بهدوء ومن غير انفعال : حق ما تقول يا جدار ؛ ولكنني نجوت منهم بفضل من الله وحده .. اكمل يا ضيغم .

فقال ضيغم متابعا القصة : المهم أيها الأصدقاء أن هذه العصابة المرعبة تعرضت للأمير وعروسه وما يحملون من الأموال والهدايا والثياب ، ودافع حراس الأمير عنهم فقتل بعضهم وفر آخرون فوصلوا وأخبروا الملك بما جرى ، وها هو يعد حملة لغزو الجبل وإنقاذ الأميرين .

وخيم السكون على المكان عندما سكت ضيغم ، وقطعه جبل قائلا بجد لضيغم : صديقي .. قل لسيدك سالم بن قنبرة أن لي معرفة برجال ذلك الوادي أو جبل الخوف ، وأنني أستطيع تقديم خدمة لهم تسر القلوب .

استغرب الصديقان لكلام صخرة ولهجته الواثقة والقوية بما يقول ، فقال : لا تستغربا .. لقد عركت الدنيا والملوك والأمراء والتجار .. فأكون لك شاكرا يا ضيغم لو نقلت رغبتي لسيدنا القائد .. وعجل بنقل هذه الرغبة قبل فوان الأوان يا صديقي .

فقال جدار : والله يا صخرة إن وراءك شأن كبير ، وإنك لفارس عظيم وما أنت بسائس خيل! لكن لماذا أنت متنكر ؟! هذا مالا أفهمه ولا أعرفه ، ولا أظنك من بلاد العقرب .. فعندما تعتلي ظهر الجواد أو أراك تمرنها ؛ فكأنك فارس عاش وتربى بين الخيول .

فقال جبل باسما : لا تشغل قلبك بي كثيرا يا جدار ! سوف تعرف كل شيء في حينه .. الآن علينا إنقاذ ابن الملك يا ضيغم ..اذهب الآن لسيدك ابن قنبرة وقل له رسالتي قبل فوات الأوان .

وغادرهم ضيغم مسرعا لسيده سالم وعرض عليه رغبة جبل بإنقاذ الأميرين ، وبعد حين يسير كان صخرة بين يدي القائد سالم الذي قال : صخرة ! لقد ذكر لي غلامنا النشيط كلاما مثيرا عنك .. فهل أنت حقا تعرف رجال الجبل ؟!

فقال جبل والابتسامة ترتسم على محياه : أيها القائد .. لقد دارت بيني وبينهم معركة ذات أيام خوالي ونصرني الله عليهم ..فلما سمعت هذا الخبر المزعج لمولانا القائد ولمولانا الملك ولنا ، أدركت الخطر المحدق بابن الملك ، فلم يطب لي الصمت وأنا أستطيع أن أنقذ إنسانا .

فأخذ القائد يدقق النظر في الشاب الذي يقف بين يديه ثم قال : لقد ذكر لي قيم قصرنا خضرون أنك ماهر في ركوب الخيل ومداعبتها .. مع أنك ادعيت أنك تعمل عند تاجر !

فقال جبل : لا يخلو ـ يا مولاي ـ المرء من حب الخيل واعتلاء صهواتها وإن كان يعمل عند تاجر .. والتاجر الذي أعمل معه في مدينة العقرب تاجر حبوب معروف واسمه معروف الباهر ، ولقد زارني غلام له من أيام قليلة يحثني على العودة للبلاد ، وإنهم مستعدون لدفع الفدية لفك أسري ، فأخبرته أنني حر وأرغب بالبقاء هنا .

فقال سالم بحيرة : لا أدري يا صخرة ! كلما أنظر في عينيك أشك بأنك مجرد عامل أو غلام حانوت أخشى أن تكون قائدا كبيرا يا صخرة .. ونكبت بك الأيام .. ولكن أقول لنفسي .. إن الضبع قد فدى كل الأسرى من الجند والقادة فلو كنت قائدا من قادته لافتداك .

فقال جبل متبسما : أيها الأمير .. لقد خدمت عند بعض الأمراء ، ولم تكن أول شخص أخدمه ؛ فإن كنت ترى يا سيدي أنني شخص غير مرغوب فيه أرحل سريعا .

فقال سالم باستسلام : لا عليك أيها الشاب المجهول ..نعود لموضوعنا ما مدى معرفتك برجال الجبل ؟

فقال جبل : يا سيدي القائد .. كنت أحيا فترة في مدينة اللؤلؤ ، وهناك تعرفت على فتاة وقد خطفها رجال الجبل فسعيت لإنقاذها منهم ، فجرت بيني وبينهم معركة ، وانتصرت عليهم وحررت الفتاة من أسرهم بفضل الله ، وعادت لأهلها آمنة مطمئنة .. قد تشك في قولي أيها القائد ؛ ولكني سأكتب لهم رسالة ولسوف يأتيك الأمير وعروسه سالمين بمشيئة الرحمن .

فقال سالم : إنك تدهشني بما تقول لم تبلغ الثلاثين من العمر كما اعتقد .. ولكن هيئتك ونبرة صوتك وحدة بصرك توحي بأنك فارس باسل .. ليتك تصارحيني بسرك يا صخرة قد أساعدك في الوصول لغايتك الخفية .

فرد جبل باسما : إذا نجحت يا سيدي القائد بإنقاذ الأميرين أعدك بأن أكشف لك سري .

فقال سالم وقد ارتاح قليلا : اعلم يا صخرة منذ رأيتك للوهلة الأولى وأنا أقول لنفسي إن هذا الشاب يحمل سرا ، فبريق عينيك لا يخفى على رجل مثلي .. حسنا احتفظ بسرك حتى نرى نهاية لخطف الأمير .. اكتب الرسالة لأطلع الملك جبرون عليها ، وأذكر له أمرك قد يقتنع ولا يرسل الحملة .

كان ضيغم وخضرون يستمعون للحوار بين الرجلين وهما في غاية الدهشة وينتظرون ايّ أمر فعلى الفور أحضر ضيغم قرطاسا وقلما ، فكتب جبل رسالة لسيد الوادي المرعب قال فيها " بسم الله .. يا سادة الجبل ..رسالة من الجبل أنا كالجبل ..جبل .. لقد علمت أنكم اعتديتم على أمير وأميرة ، وأنتم لابد أنكم ما زلتم تذكرون ما فعلت بكم يوم دخلت جبلكم .. فلا أحب أن أزوركم مرة أخرى للعهد الذي بيننا فأرجو إرسال الأمير والأميرة ومن معهما من الناس والأموال والمتاع قبل أن أغضب إنكم تعرفون ما حل بالسبع العادي صخرة الجبل " .

وتناول القائد الرسالة وقرأها ثم قال مستريبا : هل يعقل أن تفعل هذه الكلمات فعلها في أولئك القساة الأفئدة ؟! سنرى أمرك أيها الشاب الغريب العجيب .. جهز الموكب يا خضرون لزيارة الملك .

ودخل القائد سالم في ذلك الليل المعتم على الملك جبرون وأطلعه على أمر صخرة ، وقرأ عليه

الرسالة ، فتعجب الملك وقال بعجب وتفكير : ما هذه القوة في هذه الرسالة يا قائدي الكبير ؟! هل يعقل أن تفعل هذه الكلمات فعلها وتخيف هؤلاء القوم ؟!! بل الأعجب من هو صخرة هذا ليكون له التأثير عليهم ويخيفهم ببضعة سطور ؟!

قال القائد : هو أسير وقع بين أيدينا في معركتنا الأخيرة عندما انتصرنا على فيالق الضبع ، وهو من عامة الناس ، وليس من الجند ولا القادة وإلا افتداه الضبع .. ولكنه يحمل سرا وعدني بكشفه إذا نجحت رسالته في عودة الأميرين .

قال الملك بحيرة : لعله يفكر بالهرب أيها الأمير ؟

ابتسم القائد وقال : هو حر ، لقد أعتقته من أول يوم رأيته .

قال الملك : هذا أمر محير ! .. هل يعقل أن يكون من تلك العصابة ؟!

فرد الأمير : وماذا يستفيد من إطلاق سراحهم يا مولاي ؟!

فقال الملك : إن أمره لغريب .. هل نرسله بالرسالة ؟ ولكنه قد لا يذهب إليهم ويختفي .

فقال القائد : نرسل الرسالة مع بعض الفرسان الناجين ، وبعدها نفكر بسر هذا الرجل وقوته

فقال الملك : هو ما تقول .

وأمر الملك عددا من الفرسان بحمل الرسالة إلى رجال الجبل والاستمرار بتجهيز الحملة ، وانطلق الفرسان برسالة جبل على الفور ، وهم في غاية الوجل والتوتر ، وما مضت عشرة أيام حتى كانت القافلة تعود ، وفيها الأمير سالك وعروسه والأسرى والجواري والأموال والهدايا وهدية خاصة من رجال الجبل لصخرة ، فازداد عجب الملك والقائد سالم والوزير وأمراء الجيش والناس لقوة هذه الرسالة التي انتصرت على رجال الجبل بدون سيف ولا جواد ، وبعد أن تم استقبال العروسين وتهنئتهم بالعودة سالمين ، قال جبرون لقائده سالم : إن هذا لسحر أين هذا الرجل ؟! فوالله لو كتبت أنا الملك مائة رسالة ما أطاعوني ..وفوق ذلك أرسلوا سيفا مرصعا بالجواهر اعتذارا لهذا الرجل المدهش ، ويقول ابني سالك " إنهم اعتذروا لهم أشد الاعتذار " وقال أيضا " يا أبي ما كادوا يطلعون على الخطاب حتى دب فيهم الرعب

والخوف كأن جيشا دهمهم ، وأصدر زعيمهم الأعرج أمرا عاجلا بالتخلي عنا وإكرامنا وإعادة كل شيء يخصنا " .. وتنهد الملك وقال : أريد أن أراه يا سالم !! .. الليلة أزورك مع بعض الأمراء لنرى من هو هذا الصخرة ؟! من هو هذا الساحر ؟!

فرد سالم قائلا مُرحبا وفرحا : على الرحب والسعة يا مولاي ! وأنا مثلك يا سيدي الملك تملكتني الدهشة والحيرة من هذا الرجل .. وقع في نفسي أنه مجنون مغرور يسخر منا ؛ ولكن الغريق كما تعلم يتعلق بقشة يا مولاي .. مع أنك عندما تراه ترى رجلا وديعا هادئا ، ومع ذلك عندما يبدأ الكلام تحس بقوة صوته صوت رجل شديد تعود إلقاء الأوامر ؛ كأنه فارس قوي ؛ ولكن لماذا يرضى أن يبقى سائسا للخيل ؟! .. هذا ما أتمنى أن أعرفه الليلة يا مولاي .. فأنا في انتظاركم يا مولاي .

ولما انتهت الأفراح والاحتفال بعودة العروسين سالمين ، أعلن الملك أن أفراح الزواج ستبدأ غدا لمدة سبع ليال ، وهبط الليل فاعتذر الملك من المهنئين بسلامة ولده سالك لزيارة القائد سالم ، وانطلق الملك ووزيره الأكبر وأمير جيوشه الأكبر وحاشية من الأمراء والقادة ، وركب قائد حرسه بين يديه إلى قصر الأمير سالم بن قنبرة الذي استقبل الملك وحاشيته بصفين من الغلمان بالثياب اللامعة ، وقد اصطفوا من مدخل القصر الخارجي حتى مدخل قاعة الاستقبال في جوف القصر ، وقد استقروا على الكراسي المريحة والأرائك الكبيرة ، وقد وقف الغلمان والجواري بين أيديهم ، وانتهى الترحيب التقليدي فقال القائد سالم : مولاي الملك ! هل نضع الطعام بين أيديكم أولا أم تحبون رؤية خادمنا المخلص صخرة ؟

فقال الملك : أحببنا أن نكرمك يا قائد سالم ، فجئنا إليك لنسمع ونرى رجلك الغريب ، ولم نرسل وراءه فهو يستحق منا الجزاء الواسع .. فأين صخرة هذا ؟!

فقال سالم : أمر مولاي .

وكان خضرون قد هيأ صخرة للدخول على الملك فألبسه ثيابا جميلة عليها إشارات رجال القائد سالم ، فلما أشار القائد لخضرون بإدخال الشاب ، فتح خضرون أحد الأبواب وهو

يقول بصوت عال : مولاي الملك .. صخرة الجبل بين يديك .

فدخل جبل الفارس يمشي رويدا رويدا حتى اقترب من كرسي الملك جبرون بقلب قوي غير وجل ؛ كأنه معتاد على مجالسة الملوك والأمراء ، وألقى السلام والتحية على الملك ثم قال بأدب جم : خادمك المخلص ـ يا مولاي الملك ـ صخرة .

فحدق الجميع الملك والأمراء النظر في هذا الرجل الواقف أمامهم بثبات غير هياب وهم يتخيلون الرسالة الساحرة ، فخيم السكون والصمت التام على المكان بضع دقائق ثم قال الملك : أأنت صخرة ؟.. الذي كتب تلك الرسالة السحرية .. يا هذا لقد عملت عملا عظيما ومثيرا تستحق عليه جائزة كبرى .. ما علاقتك بهؤلاء المجرمين .. بل من أنت ؟!

تلفت جبل بنظره في جميع الوجوه التي تبحلق به وقال : مولاي الملك أنا جندي مطيع ، وقصتي تبدأ من بلاد الدب القطبي .. هل يحب مولانا أن يسمعها ؟

فقال الملك وهو يهز رأسه : تكلم أيها الشاب .. ولا حرج عليك بما تقول !

فقال جبل : أولا يا مولاي الملك ويا سيدي القائد ..عندما وقعت أسيرا كان ذلك بإرادتي ورغبتي ، ولقد كان باستطاعتي الهرب كما هرب كثير من الناس ؛ لأننا كنا في مؤخرة الجيش ولم أخرج في هذه الحملة للقتال ، فاعلم يا مولاي أنني أنا لست من بلاد العقرب ولا من أسراهم ، بل أنا عدو للملك الضبع .. وحاقد عليه حقدا لا يعلمه إلا الله وحده ..ولما سألني القائد عن اسمي ذكرت له أن لي أسماء كثيرة وصخرة أحدها ..أما اسمي الحقيقي الذي سماني به أبي المقتول ظلما عندما ولدتني أمي .

وتريث قليلا ثم تابع الكلام قائلا : أنا اسمي أيها القوم الكرام جبل بن مجدو الساحر المشهور بابن الخباز .

فما كاد فارسنا ينطق باسمه المعروف في هذا الجمع حتى نهض الملك والأمراء عن مقاعدهم ، وتقدم الملك نحو جبل وهو يقول : ويحك أيها الفارس !! .. أنت جبل بن مجدو ..قاتل الغضبان وظالم وغيرهم من فرسان الضبع .. ماذا أقول ؟! إن مقامك الجلوس في القصور لا

سياسة الخيول .. يا مرحبا بالبطل ! يا مرحبا بالبطل !!

وتعانق الرجلان عناق الأحباب والأصدقاء بعد طول غياب ، ونسي الملك مقامه ، وكان الملك يقول : إيه !! ..كم تمنيت أن أراك يا ابن مجدو كلما أسمع عن معاركك مع جنود الضبع

فقال جبل : نعم ، يا سيدي أنا جبل .

وتعانق الرجلان مرة أخرى عناقا حارا ، ولقد فعل القادة كما فعل مليكهم ، وكان أكثر الحضور دهشة الشاب ضيغم ، وكان يقول لنفسه : أأنا كنت أرافق

وأصادق هذا الفارس الشهير الذي أعاد الملك الصغير أسعد لـعاصمة ملكه ؟!

فقال الملك معجبا ومتأثرا : أسد والله ! إنك أسد من أسود الدنيا في هذا الزمان يا أمير جبل .. لقد وصلتنا أكثر أخبارك ، وما صنعته بقادة وفرسان الضبع مع قلة فرسانك ورجالكم .. لقد فرحنا لقتلك النمر الأبيض والغضبان وظالم ومرعب وغيرهم .

فقال جبل كأنه يتذكر وقد جلس بين يدي الملك جبرون : نعم أيها الملك ، كنت صغيرا عندما امتلك الضبع بلادنا وقتل ملكنا العظيم شامة ورجاله ، وكان أبي خبازا بجوار قلعة الحكم ، عاد للبلاد لما هدأت الأحوال ، وترك الضبع الغضبان حاكما على بلادنا ، وقد كنت صبيا أقوم بنقل الخبز لرجال الحامية ، وتعلمت الفروسية عندهم على أمل أن أكون جنديا من جنودهم ، ولكن دب الصراع بين قادة الحامية ، فقتل الغضبان اللعين والدي مجدو ولم أكن في المدينة يوم مصرعه وإلا قتلوني .. فأقسمت أن أنتقم منهم ، فصعدت للجبال أنا ومن أصيب بمثل مصيبتي بفقد أخ أو أب أو صديق ، وكثر الحاقدون والناقمون حتى قويت شوكتنا ، وأصبحت زعيما للثائرين ، وقاتلنا رجال الضبع ببسالة حتى غادروا بلادنا ، ورجع ابن الملك شامة مطالبا بعرش أبيه ، فتنازلت عن الحكم أنا ورجالي ، وغادرت البلاد خوفا من الفتنة والحسد والصراع الداخلي ، وما زال صراعنا مع الضبع مستمرا ، وكنت قد كونت وأسست جيشا قويا ، وحصنّا الأسوار لتصمد أمام جحافل وحقد الضبع ، فسافرت وصديقاي هزبرا وثعلبون إلى مدينة الشرق ، وهناك وجدنا صراعا على عرش المدينة ، فقمنا بنقل الملك الصغير

أسعد لمدينة اللؤلؤ عند الملك أحمد بن خالد - فأخت أسعد الملك الصغير زوجة لولي عهد تلك المدينة والبلاد - وأثناء وجودنا هناك في بلاد الملك أحمد التقينا بجارية عند أخت الملك الصغير ، تبين لنا أنها ابنة الملك شامة ملك بلاد الدب ضاعت وفقدت وهي صغيرة الأميرة حظوظ بنت شامة ، فجهزها الملك أحمد وأرسلها لبلادها ، وذهب عدد من الفرسان وعلى رأسهم هزبر وثعلبون لتوصيلها فهي أميرة من بلادنا ، وقد اخطأوا الدرب ودخلوا الواد المرعب ، فأسرت الأميرة وخدمها ، وقتل الفرسان وجرح هزبر جرحا بليغا ظنوه ميتا ، وهرب ثعلبون إلينا ، وروى لنا ما حدث ، فأقسمت أن أحرر الأميرة من الأسر ، وأراد الملك أحمد أن يرسل معي سرية من الجند فأبيت ، واقتحمت الجبل أنا وثعلبون ، وقتلت السبع العادي وعددا لا بأس به من رجاله ، فاستسلموا لنا ، فردوا الأميرة ومن معها ومتاعها ومن كان بحوزتهم من الأسرى صاغرين ، وحذرتهم من غضبي ومجيء للجبل مرة أخرى ؛ فإني أحرق الجبل عليهم ، وحذرتهم من التعرض لشخص يهمني أمره أو احتمى باسمي ، أو رجل أو امرأة وقعوا في أيديهم وأرسلت في طلبهم ، فعليهم بالعفو عنهم فورا ومن غير تردد أو تأخير ، فهم يا مولاي يعرفون انتقامي ويعرفون سيفي ، وكان صديقي هزبر قد جرح ، فقام ثعلبون على إسعافه ونقله لإحدى القرى قبل المجيء إليّ ، ثم تعافى بفضل من الله ، وعدنا به وبالأميرة والأسرى لمدينة اللؤلؤ ، ثم انطلق الأسرى لبلادهم وأهليهم والأميرة لبلدها ، ثم جهزنا حملة لخلع الملك الغاصب ربيع بقيادة الأمير سلطان بن أحمد ، والحمد لله فقد نصرنا الله على ربيع ، وعاد الملك أسعد لحكم بلاده ، ولما استقرت أحوال مدينة الشرق غادرناها تجارا إلى مدينة العقرب لدراسة أحوالها ، لعلنا نتمكن في يوم من الأيام من القضاء عليها يا ملك الزمان ..ولما خرجت الحملة الأخيرة جهة بلادكم قررت أن أسير مع الحملة ؛ لأرى قتالكم فقد علمت أنكم العدو اللدود لهم ، وقد نصركم الله عليهم فسرني ذلك ، واستسلمت لجندكم راغبا بالتعرف عليكم .. والباقي تفصيله عند القائد سالم بن قنبرة .

كان حديثا ممتعا وإن لم يكن مفصلا ، فأثنى الملك والأمراء والقادة على الفارس ثناء حسنا ،

وفهموا سر قوة الرسالة السحرية ، وقال أحد القادة : لماذا يا أمير جبل لم تهاجم بقومك مدينة الضبع ؟

فرد قائلا : هذا حلمي يا سيدي ، ولكن جيش بلدنا جيش صغير ، جيش دفاعي لا يتجاوز عشرة آلاف راجل ، وبلاد العقرب جيشها كثير ، فهي مملكة كبيرة تضم عدة أقاليم ، وهذه المدن تمده بالرجال والسلاح والأموال ، فالانتصار عليه بجيش صغير أراه صعبا ، فالدفاع هو الوسيلة الأنسب لحالنا ..فقوينا الأبراج والأسوار والرماة الذين يحمون تلك الأسوار ، وها هو الضبع بين كل حين وآخر يحاول اقتحامها فيرتد خائبا ، ولكن الحصار يرهق البلاد والعباد .

فقال الملك : صدقت أيها الأمير ! .. فنحن لولا كثرة أبنائنا وشدة بأس فرساننا ما نلنا من الضبع قلامة ظفر ..، ولكننا الآن نتفاءل بوجود جبل بيننا ، لعلنا نسحقه ونكف شره عن بلادنا وبلادكم .

رد جبل فقال : هذا هو هدفي وما أطمع في تحقيقه أيها الملك السعيد فأنا جندي لديكم .

فقال الملك : غدا أيها الفارس الشجاع ستشاركنا الاحتفال بزواج الأميرين ، وبعد ذلك نحتفل بمنحك لقب فارس كبير في بلادنا ، ونفكر بتزويجك امرأة من ديارنا .

فقال الأمير جبل : أشكرك يا مولاي ..ولي صديقان في بلاد العقرب ، فهل تسمح لهما بالحياة في بلادكم ؟

قال الملك مُرحبا : تسرنا صحبتك أيها الفارس ، وصديقك صديقنا ، ومعروفك بإنقاذ حياة ولدنا في أعناقنا .. فمرحبا بك وبأصحابك والتفت الملك جبرون حينئذ إلى قائده سالم وقال : ما أخبار طعامك أيها القائد ؟.



لابد من الزواج

بدأت الاحتفالات في بلاد التين كلها بزواج الأمير سالك بن جبرون ، وتزينت مدينة الشجرة عاصمة ملك بلاد التين بالرايات والبيارق ، وأخذت كل قبيلة تظهر ولاءها وحبها لصاحب السلطان الملك جبرون ، وكان الملك قد أوصى قادة وأمراء الأجناد بالانتباه والحذر من الأعداء والغادرين ، وفي الليلة السابعة تم زفاف العروسين في قصر الأمارة والحكم ، ويومها استقبل الفارس جبل صديقيه وقص عليهم القصص ، فقال هزبر : هذا أحسن حل لصراعنا مع الضبع يا جبل أن نخدم في جيش جبرون .. لقد فعلت المعركة الأخيرة فعلها في الضبع ، فلقد فتك وسجن وعزل ونفى وطرح صهره في السجن ، ثم عفا عنه لخاطر ابنته .

قال جبل : صدقت ، فبقاؤنا هنا قد ينـفع بلادنا ، ولعلنا في معركة آتية يتنصر بها هؤلاء القوم على الضبع نطلب من الملك جبرون أن يشمل صلحه بلاد الدب ، ونسعى بإقامة حلف بين المدينتين .

وكان جبل ما زال نزيلا في قصر القائد سالم الذي رحب ترحيبا طيبا بالفارسين ، وكان من أسعد الناس بهؤلاء الأصدقاء الفرسان ، فأهل الشجاعة يحبون الشجعان ، فقال : غدا نذهب نبارك لمولانا الملك ويتعرف عليهم الملك يا أمير جبل .

وممن سعد أيضا بالفرسان غلام القصر ضيغم ، فلقد سر لصداقته لهؤلاء الفرسان الأشداء ، وقد هزه تاريخ الفارس جبل هزا ، وقد جاءت الأخبار أن الملك الضبع يعد جيشا لمعركة جديدة ، وكان الملك جبرون بدوره قد استقبل الفرسان الثلاثة ، وجرى احتفال خاص في قصر الملك للاحتفاء بهم ضيوفا في مملكته ، منح فيه الفرسان رتبة فارس في بلاط الملك جبرون ، ويعطى الفارس جوادا أصيلا من جياد الملك الخاصة وسيفا ورمحا ودبوسا وخوذة ومدية وقوسا وجعبة ممتلئة بالسهام ودرقة صغيرة وملابس الفرسان الخاصة ببلاد التين ودرعا فولاذية ، ولكن لون ملابس جبل تختلف عن لون ملابس صاحبيه ، فلون ملابسهما أخضر ، ولون ملابس جبل كانت حمراء وزرقاء ، وهي تدل في بلاد التين على أنه فارس خاص من

فرسان الملك ، يحق له الدخول على الملك وهو يلبسها في أي وقت شاء مع تقدير كبير له من كل الجنود والفرسان مع إبداء الاحترام والطاعة له في أرجاء المملكة ، وأصبح الفرسان في حفلة التعارف من رجال البلاط الملكي ، ووهبهما القائد سالم قصرا صغيرا في أرضه .

وجاءت الأخبار تؤكد أن الضبع قد أعد جيشا وجهته بلاد التين للثأر من الهزيمة السابقة وعلى رأسه الضبع ، وغايته مسح بلاد التين عن وجه الأرض ، وذات مساء انطلق القائد سالم والفرسان الثلاثة زائرين للملك ، وكان جبل يجلس بجوار الملك الذي همس قائلا له : أريد أن أزوجك أيها الفارس فما تقول ؟

قال جبل هامسا : أشكر اهتمام مولاي بي ..سأقول لك شيئا واكتمه عليّ .

فروى له جبل ما جرى بينه وبين الأميرة حظوظ في واد الرعب ، ووعده للفتاة بالزواج منها إذا رغب بالزواج في يوم ما ، ثم قال : والآن لا رغبة عندي للنساء .. ولكن إذا علمت بزواج الأميرة ذات يوم قد أفعل ..فالوعد دين في عنق الفارس الشريف يا مولاي .

فرد الملك بحماس : لا بأس عليك أيها الأمير ، سنرسل رسولا خفيا لبلاد الدب ليأتينا بأخبار الأميرة ..فإن تزوجت زوجناك بحسناء من بلادنا ؛وإن لم تتزوج أرسلنا سالما طالبا وخاطبا لها

قال جبل : مولاي الملك .. دع هذا الأمر لله .. فأنت تعلم أن الضبع حاقد عليّ حقدا شديدا .. وقد أرسل للملك سليل يساومه على رأسي ؛ ليكف شره عن بلاد الدب ؛ ولكني كنت مفارقا للمدينة للأسباب التي أخبرتك بها ، ورفض الملك سليل العرض بالطبع .

قال الملك : على كل حال فكر بالأمر أيها الفارس .. واعلم أن الضبع أعد جيشا لغزو بلادنا .

وأثناء عودة الفرسان لبيتهم روى لهم ما جرى بينه وبين الملك من حديث فقال القائد سالم : لابد من الزواج أيها الفارس فقد كبرت ! .. أذكر أنني تزوجت امرأتي الأولى وأنا دون العشرين .

خرج الضبع غازيا لبلاد التين ، وخرج الملك جبرون على رأس جيش كبير لصد هجوم الضبع وجنده ، وفي الطريق التقى الجيشان ، وكان الفرسان الثلاثة ضمن كتيبة القائد سالم بن

قنبرة ، ودارت بينهم معارك حامية الوطيس ، أزهقت فيها الأنفس الكثيرة ، واستمرت الحرب بينهم مستعرة أكثر من شهر ، ثم رضخوا للسلم والهدنة كعادتهم ، وانسحب كل جيش لبلده ، وقد أبلى الفرسان الثلاثة في المعارك بلاء حسنا عرفه القاصي والداني ، وأقر لهم الفرسان بالقوة والشجاعة ؛ لذلك جدد الملك إكرامهم غاية الإكرام .

وقال الملك يوما لجبل : ما ترى من حل لحروبنا الدائمة المستمرة من عشرات السنين مع ذلك الضبع ؟ هل من طريقة لديك للانتصار عليه وسحقه ؟! .. منذ عهد والدي والحروب قائمة بيننا .

قال جبل وهو ينظر في سؤال الملك : هل يأذن لي مولاي بالسوأل قبل الإجابة عن سؤالكم ؟

قال الملك : اسأل يا جبل ؟!

قال الفارس : ما أسباب ودوافع هذه الحروب المتوارثة يا مولاي ؟!

تبسم الملك الصديق وقال : أحسنت أيها الفارس الصديق بسؤلك هذا ! .. أنت قد لا تعلم لماذا غزى قديما الضبع بلادكم بلاد الدب ؟

قال جبل بحيرة : الحق يا مولاي لا أدري ! ولم أفكر بمثل هذه السؤال على أهميته

فقال جبرون بعد استغراق لزمن في الماضي : أنا ابن خمسين ، وأدرك كثيرا من أسرار هذه الحروب التي بدأت من قبل أن تولد .. فاعلم أيها الفارس الشجاع أن الملك الضبع هذا حفيد للملك الجبار الملقب بسيد السباع .. فسيد السباع هذا كان عبدا أسود .. وهو خادم ورقيق للملك " حامد بن سالم " ملك بلاد العقرب ، ولقد كان هذا العبد قويا فارسا شجاعا .. وكما يقال لقد كان للملك زوجة تعشق هذا العبد ، وتختلي به خلسة ، ولم تنجب من زوجها حامد فمكرت به حتى مات ، فنصبت ملكة على البلاد ، وبعد فترة الحداد أعلنت زواجها من عشيقها سيد السباع عبد زوجها الميت أو المقتول .. فأصبح السيد الآمر الناهي بواسطة زوجته الملكة التي أنجبت منه بعد زواجها مولودا ذكرا ، فقويت شوكته أكثر .. وقيل أن بناته منها ولدتهم وهي على ذمة زوجها الأول ..فلما ولدت الولد الذكر طغى وتجبر ، ووسع

المملكة بالسيطرة على المزيد من المدن الضعيفة والمجاورة ، فخضعت تلك المدائن لحكمه وجبروته ، وقد طال حكم هذا الملك أكثر من أربعين سنة ، ولما مات استلم الحكم ابنه من تلك الملكة العاشقة ، وحاول هذا الابن أن يمد حكمه لبلادنا وذلك في أيام والدي رحمه الله ، فبدأت الحروب بيننا ، وكان السبب لاشتعالها أنه أرسل لأبي وفدا يخطب أختا لي للزواج ، فرفض أبي واعتذر بأدب جم ، فحقد الابن علينا ، ثم أخذ يتحرش برجال القوافل التي تخص بلادنا ، ثم قمنا بمحاصرته فرضخ للسلم ، ثم حاول غزونا ؛ ولكنه فشل ، وحكم هذا الابن أربع سنوات فقط ثم هلك وليس له خلف ولا ذرية ، فكان لسيد السباع حفيد من إحدى بناته من الملكة العاشقة ، فعين ابن سيد السباع وهو يحتضر ابن أخته خلفا له ، فأصبح الضبع حفيد سيد السباع ملكا على بلاد العقرب الأحمر ، وكان شابا في العقد الثالث من العمر ، وكان ذكيا وفارسا ومقداما كجده سيد السباع ، فسيطر على الحكم ، وكثر أنصاره وقل معارضيه ، فأصبح السيد المطاع وقويت شوكته وسيادته ، فحصن بلاده ، وسيطر على البحر سيطرة تامة ، ولما ركز حكمه أرسل لوالد الملك شامة طالبا إحدى بناته للزواج .. فهؤلاء القوم يحبذون الزواج من بنات الملوك القدماء ؛ ليدعموا ملكهم وحكمهم ، والتفاخر بين ملوك الأرض بمصاهرة الملوك .. ، فاعتذر والد شامة الملك ونسي الأمر ، وبعد موت الملك والد شامة بسنوات رغب الضبع بامتلاك مملكة الدب وباقي القصة تعرفه .. فأسباب هذه الحروب شخصية وأحقاد دفينة مع جشع وغرور وأكل أموال الناس واشغال الجنود والقادة بحروب حتى لا يفكرون بعزل وتغيير الحاكم ..فهكذا بدأت بيننا الحروب أيها البطل ، ولقد حاول مرات أن يدمر بلادنا ؛ لينفس عن ثارات خاله ، ونحن حاولنا تدمير بلاده للخلاص من شره ؛ ولكن قوتينا لحتى الآن ما زالتا متكافئتين .. والنصر بيد الله .

قال جبل : حقائق جديدة أطلع عليها أيها الملك العزيز !.. فكثير من المتحاربين لا يعرفونها..كم من الناس ذهبوا قتلى من أجل شهوات الملك الطماع الجشع ؟!.. واعلم أيها الملك أن مدينة العقرب الأحمر حصينة جدا وفتحها صعب ، وأضعف تحصيناتها من جهة

البحر ، ومع ذلك عليه حاميات وأبراج قوية ، فأنا درست مدينة العقرب دراسة واعية ، والملك الضبع كما تعلم يحيا في قصر داخل قلعة حصينة ، وله قصور أخرى في المدينة ، والقلعة عليها حرس كثير كأنها في حالة حرب دائمة .

فقال الملك : هذه معلومات متوفرة لدينا..فهل لديك حيلة لتدمير هذه المدينة ؟

فقال جبل بشرود :إنني أفكر بذلك منذ كنت نزيلا في بلاد الضبع ، وأرجو من ربي أن يمكنني من تحقيق هذا الحلم وتدمير مدينة العقرب وحرق الضبع فيها .. فلقد طغى وبغى ، وزاد طغيانه وإجرامه .. وسوف أصل لحل يوما ما أيها الملك !

فقال الملك جبرون متفائلا : نرجو أن يكون قريبا ..نعود للزواج ، وهل فكرت بالزواج الذي حدثتك عنه قبل الحرب الأخيرة ؟

فأجاب الفارس : الزواج سنة الله في خلقه ؛ ولكن حب الحرب والسفر المستمر أسباب تشغلنا عن التفكير فيه أو الإقدام عليه في الوقت الحالي يا مولاي .. ولكن صاحبي استسلما لضغطي عليهما ووافقا على الاقتران من بنات مملكتكم وبلدكم إذا لم يكن لديكم عارض أو مانع .

أخذ الملك بالضحك ثم قال : يسرنا هذا يا جبل .. فزواجهما يعني بقاؤكم ، سأكلم القائد سالم صديقكم الأول ، فعنده خمس فتيات ناضجات ، فلقد كنت أرغب بتزويج ابني سالك من إحداهن ، ولكن الفتى أصر على الزواج من ابنة الملك العادل ..كنا مرة في زيارة وضيافة ذلك الملك الصديق ، فرأى الولد الصبية فوقع في هواها وجرى ما قدره الله ..في أقرب فرصة سأكلمه أيها الأمير . .

فقال جبل متعجبا بعد أن سكت الملك : القائد سالم عنده بنات في سن الزواج !.. لي سنة أعيش في قصره وبساتينه ما رأيت إحداهن قط !

فقال الملك باسما : النساء الحرائر في بلادنا من النادر أن يشاركن أزواجهن اللقاءات والزيارات .. لقد رافقتنا مرات أيها الصديق في الزيارات التي نقوم بها للأمراء والقادة ، فلا

تستقبلنا النساء البتة .. فزواجكم من بناتنا يقوي رباطكم بنا أيها الفارس .

فقال جبل باستسلام : صدقت يا مولاي الملك !

أرسل جبل غلاما من غلمان الملك ـ اختاره له الملك ـ ؛ ليأتيه بأخبار الأميرة حظوظ أخت الملك سليل حاكم بلاد الدب ، وأثناء انتظارهم عودة الغلام الرسول ، جاءت رسالة من الضبع يطالب فيها برأس الفارس جبل ؛ لأن معلومات وصلته تؤكد وجوده في بلاد التين ، ومقابل تسليمه للضبع يعقد بين البلدين صلحا دائما ، فغضب الملك جبرون لهذه الرسالة ، وزاد احتقاره للضبع ، ورفض العرض غاية الرفض ، وقال معلقا وحانقا :لو أن هذا اللعين متفوق علينا لقلنا جاز له أن يطلب منا هذا المطلب " منتصر يشرط على مغلوب " ..فرجل أكل طعامنا وقاتل معنا ، وفوق ذلك صنع لي معروفا بأن أنقذ ابني من الذل والأسر .. أين الشهامة والكرامة أيها الناس ؟! ..هل أخون صديقي وضيفي ؟! لقد طغى وتجبر اللعين ، متى يأتي اليوم الذي أحرقه فيه حرقا ؟

قال جبل مسرورا من شهامة الملك : هون عليك أيها الملك .. فهذا رجل مجنون لا يستحق منك هذا العناء والغضب ، وسوف يأتي يوم نخلص فيه منه .. فأنا أكرهه أكثر منك يا مولاي ..!

ثم أمر الملك بكتابة رسالة قاسية شديدة الاحتقار للضبع وقال لرسول الضبع بغضب : قل له إنك جبان ولا عهد لك ولا زمام ..وليس بيننا إلا السيف والموت الزؤام .

أتى غلام الملك من بلاد الدب يخبرهم أن الأميرة حظوظا ما زالت عزباء وترفض الأزواج ، وجيوش الضبع تحاصر المدينة ، وقد طلب الضبع من الملك سليل تزويجه أخته الأميرة لرفع الحصار وإنهاء الحرب بينهم ، والأسرة المالكة تفكر بهذا العرض ، فقال جبل معقبا وبغضب خفيف : ويحهم يفكرون في ذلك .. إنه قاتل أبيها !!.. ولكنهم ـ وتنهد ـ يعانون من شدة الحصار والحرب المتكررة ..وسكت لحظات وقال : لعلها تفكر بالوصول لقاتل أبيها وتقتله يا مولاي ! .. إنها طريقة جريئة ؛ ولكن الضبع ماكر مخادع .

فقال الملك : هل نخطبها لك أيها الأمير ؟

فقال للملك :آه !!.. ليتها تتزوج يا مولاي ! .. لها في النفس موقع كبير ..وأنا رجل سيف ، لا أريد أن استسلم لدقات قلبي ..فحياتي الخيل والقتال والدماء والموت والترحال ..قد أفكر بالسكون يوما ما ولكن بعد القضاء على الضبع اللعين ..فهو يكرهني ويحقد عليّ ويطالب برأسي مع أنه لم يرني في حياته ولو مرة واحدة ، وإنني أبغضه أيضا مع أنني لم أره ولو مرة واحدة .. حقد عجيب ـ أيها الملك ـ مع أنني رويت نفسي من دماء قومه ، وسفكت دمهم لمقتل مجدو الخباز ؛ ولكن ما زال الحقد عليه يملأ نفسي .. نار مشتعلة يا مولاي في صدري .. فأقول اعفني من الزواج في الحين الحالي ، ولنسعى في تزويج الفارسين هزبر وثعلبون من بنات قائدنا الكبير سالم إذا رضي عن طيب خاطر وحب يا مولاي الملك !



بنات القائد

وفي خلوة خاصة بين الملك جبرون وقائده ابن قنبرة حدثه برغبته بتزويج هزبر وثعلبون من فلذات كبده ، وعن اعتذار جبل عن الزواج في الوقت الحاضر ، فرحب سالم بالفكرة والرغبة وشكر الملك على اهتمامه بهذا الأمر ، ثم قال : غدا يكون الرد بين يديك ، سأشاور الأم وبناتها وأخاهم الوحيد يا مولاي .

قال الملك : شاور نفسك أولا ؛ فإن رأيتهما كفئين لهنّ فشاور من تشاء بعد من أسرتك وعشيرتك .. واعلم أيها الأمير أن هذا الزواج يعمق من علاقتنا بهؤلاء الفرسان ، ويدفعهم للثبات والبقاء في ظل عرشنا ،فلا أحب أن نخسرهم فهم خلقوا للحرب والقتال ..فالزواج يزيد من حبهم لهذه البلاد والتمسك بها ؛ فإن اعتذرت فسوف نكلم القائد موسى ، ونطلب اثنتين من بناته أو بنات أخيه .

فقال سالم : غدا أرد عليك يا مولاي .

فلما عاد ابن قنبرة لقصره أقنع نفسه بمحاسن الفارسين ، وأنهما من الرجال البواسل ، وأنها رغبة الملك قبل كل هذا ، وأخبر زوجته برغبة الملك ، فاستدعت الأم أكبر بناتها الأميرة " مها " والأميرة " جؤذر " ، وأمام أبيهما ذكرت لهما رغبة الملك بتزويجهما من الفارسين ثعلبون وهزبر ، وبعد تأمل ونظر قالت الكبرى : من اخترت لي يا أبي ؟

فقال الأب : لم اختر أحدا .

فقالت مها : يا جؤذر هل اخترت أحدهما ؟

ضحكت جؤذر وقالت : إني لم أعرفها يا عزيزتي لأختار أحدهما ، ولم نسمع بأسمائها الا حديثا .. أبي صباح الغد قبل مسيرك للديوان نقول لك رأينا بهم .

فقام الأب تاركا لهن حرية التفكير والاختيار وقال : حسنا فكرا بالأمر .. واعلما أنني لن أضغط عليكما بالموافقة ، وهذه أيضا رغبة مولانا الملك ..حرية الموافقة . وغادر المكان .

وقبل أن ينطلق الأمير لديوان الملك مر هو وزوجته على حجرة الفتيات ، وبعد التحية والسلام

قال : ما قولكنّ الآن ؟

فقالت الصغرى منهن جؤذر : ما دمت يا والدي العزيز ترغب من تزويجنا من هذين الفارسين الغريبين عن بلادنا .. فأنا أرغب ممن يكون لي زوجا منهما بهدية ، تتحدث عنها نساء بلاد التين كلهن ، ولقد سمعت أن لملك الهند حسن خان جوهرة خضراء من اللؤلؤ ، لا مثيل لها في الدنيا ، فريدة في جواهر هذا الزمان ، وأن من ملك تلك الجوهرة لا يرى الفقر في يوم من الأيام ، فمن أحضرها منهما فهو بعل لي وأنا خادمة بيته .. وأنت يا أختي العزيزة ما تطلبين ؟!

فقالت الكبرى مها : أما أنا فقد سمعت – يا أبي العزيز – وعلمت أن لهذا الملك ابنة متزوجة من ملك كبير في بلاد الهند اسمه علي خان ، وقد أهدى هذا الملك يوم الزواج لزوجته عقدا من اللؤلؤ الصغير نادر المثال ، من وضعته على جيدها لا ترى سقما في يوم من الأيام ، ويقولون عن هذا العقد إنه يحفظ الإنسان من السم والسحر والحساد ، فمن أحضره منهما فهو بعل لي وأنا خادمة له للأبد .

فقال سالم متعجبا من طلبات بناته : ما هذه الأفكار أيتها البنات ؟!

فقالت الأم : أليستا هاتين بنات القائد العظيم سالم بن قنبرة أحد قادة الملك العظيم جبرون ؟! وإنهن سوف تتزوجان فارسين غريبين .. فتحبان وترغبان أن تفخرا على أترابهما بمثل هذه الهدايا .

فقال سالم : ولكن في ذلك خطر كبير على الفارسين .

فقالت الأم : وما قيمة الحياة بدون خطر أيها الأب الكبير ؟!

فقال : ويحكن !.. وكيف أفاتح الملك بذلك ؟!

فقالت : البنات يكلمنه بذلك .

قال : أفعل بإذن الله .

ونقل القائد سالم ما سمعه من الأم وبناتها للملك ، فاجتمع الملك بهن فأصابته الدهشة وقال : عادة قديمة كانت قد ماتت في بلادنا فلا داعي لإحيائها .. وموت الفارسين خسارة كبيرة ،

وإن كنتن لا ترغبن بالزواج نقبل اعتذاركن .

فبينّ له رغبتهن بالزواج إنما أردن شيئا يتميزن به عن بنات القادة والأمراء ، فاستسلم الملك قائلا : ولكن سأنقل هذه الرغبة لهما أيتها الأم إلى اللقاء أيتهن الحسناوات .

والتقى الملك بالفرسان – وذكر لهم ما جرى بينه وبين القائد سالم وبناته – وقال : لقد وقعنا في حرج شديد .. وأترك الأمر إليكم .. فلو أجبرنا قائدنا على هذا الزواج يكون ذلك سوء خلق لا ترضونه لي .. وإن صرفنا النظر إلى بنات غيره أسانا للقائد سالم .. فالرد النهائي لكما أيها الفارسان .

فقال جبل : يا مولاي ! إذا كانت الفتاتان تعتذران عن الزواج منهما ، فلا حرج على سيدنا القائد ، فقد قبلنا اعتذاره .

فقال الملك موضحا : هذا المطلب ليس اعتذارا وعدم رغبة بالزواج .. إنما هي عادة قديمة درجت في بلادنا في زمن غابر ،كان الأبطال والفرسان القدماء المميزون يمارسونها إكراما لزوجاتهم ..وهي تظهر بين الحين والحين ، ولكم الخيار بقبول الشرط وبعد أيام ثلاثة نسمع ردكما .

فقال هزبر بحماسة وسرعة : مولاي الملك أنا سأتكفل بجوهرة حسن خان .

وقال ثعلبون : وأنا يا مولاي الملك عليّ بعقد اللؤلؤ من ابنة حسن خان .

فقال جبل : مهلا أيها الرفاق !!.. فالعجلة تورث الندامة .. اقبلوا طلب الملك ، وفكروا بالأمر ثلاثة أيام ، لا تتسرعا أيها الفارسان .

فقال هزبر متحمسا : لا حياة بدون خطر .. ولا يجوز في شرع فارس مثلي أن يقال في حقه أنه خطب فتاة ، وطلبت منه هدية فعجز عن إحضارها ..ويحق لها أن تفخر بالهدية على بني قومها بعد يومين سأسافر .

فقال ثعلبون : صدقت يا هزبر ! سنسافر معا إلى مدائن الهند .

فقال جبل أمام حماس وتحدي الفارسين : اعلموا أيها الأصدقاء ، ويا مولانا الملك أنني ذاهب

معكم ، فلن أتخلى عنكم .. إما أن نحيا معا أو نموت معا .

وتعانق الفرسان الثلاثة ، فقال الملك بغضب وأسف : لقد أسانا لكم أيها الفرسان ! كنت أظن أن قائدنا العزيز لديه رغبة بتزويج بناته بسرعة .

فقال جبل : لا حرج عليك مولانا الملك .. لله الأمر من قبل ومن بعد .

كان عليهم المسير نحو الشمال ثم الانحراف نحو الشرق ، وعليهم اجتياز بلاد ومدن وجبال وقفار ليصلوا ممالك الهند الكثيرة ، فقد قطع الفرسان مراحل باتجاه الشمال الشرقي ، وهبطوا ليلا على مدينة ، فبحثوا عن فندق يستريحون فيه بضع ليال ، فلهم أكثر من عشرة أيام يقطعون الفيافي والقفار ، وكانوا لا ينزلون في البلدان إلا للحاجات الضرورية من أكل وشرب وغيره ، فصمموا على البقاء في هذه المدينة للراحة البدنية لهم ولخيولهم بضعة أيام ، فهذه أكبر مدينة يدخلونها منذ خرجوا من بلاد التين .

وبينما هم رقود مطمئنون في فندق كبير في مدينة النجمة الصغيرة ، يريحون أبدانهم المنهكة من ركوب الجياد ليلا ونهارا ، وعند نصف الليل استيقظ الفرسان على صراخ وأصوات مزعجة عالية ، وكان مصدرها صحن الفندق والشوارع القريبة من الفندق ، فنزل جبل إلى الطابق الأسفل حيث الضجة والعويل ، فرأى جمهرة من الناس على ضوء المصابيح المعلقة على الجدران ، ولاحظ أن أكثر الموجودين من النساء والصغار ، يولولن ويبكين والخوف مرتسم على وجوههم ، فاقترب جبل من صاحب الفندق الذي يقف بين هؤلاء الناس ، وعليه التأثر والذعر والانزعاج ، فقال : يا صاح ما الخطب ؟!

فجاءه صاحب الفندق عندما سمعه وقال : أيها السيد الغريب ! ارجع لغرفتك وأغلق عليك بابك أو إن استطعت أن ترحل الآن فارحل .

فقال جبل بقلق : قل ما الأمر ؟!

فرد الرجل قائلا : دعك من الفضول يا غريب .

فقال جبل لرجل يقف قريبا منه : ما الأمر يا رجل ؟!

فقال الرجل : معركة شديدة تدور في المدينة ! .. ألا تسمع صوت السيوف وصهيل الخيول ؟ فقصر السلطان قريب من هذا الفندق ، فحدثت فيه فتنة ، انقسم العسكر طائفتين ، فريق مع السلطان ، وفريق مع الوزير ، وهم يتصارعون ويتقاتلون ، وهذه نساؤهم قد هربن من القصور والدور بعدما قتل أو جرح أزواجهن أو أبناؤهن أو آباؤهن ، ولجئن للفندق حتى تنتهي هذه المجزرة ، فهذه هي الحكاية أيها الغريب .

ولزم الرجل الصمت ، فوضع جبل يده على منكب صاحب الفندق وهو يقول : اتبعني يا سيدي .

فتبعه صاحب الخان ، وهو يصيح في خدم الفندق : لا تفتحوا الأبواب لأحد ، يكفي ما لجأ إلينا .. احذروا دخول الجنود الهاربين .

وتقدمه جبل إلى غرفة الفرسان ولما جلسا قال له : أيها الصديق ما القصة لهذه الفتنة ؟!

فقال : ألم تسمع ما قاله لك الرجل ؟

قال : بلى ، سمعت ولكني لم أسمع أسباب هذه الفتنة .

فقال الرجل : إنك فضولي يا هذا !

فرد جبل فقال : يا هذا أنا عابر سبيل ، والإنسان يحب معرفة الأخبار والحقائق .. فلقد كنا ننوي المكث عندك أياما ؛ ولكن أمام هذه الفتنة قد نغادر صباحا..فهل تذكر لنا أسباب هذه الفتنة قد نساعد في إخمادها ؟

فقال : من أنت ؟!

أجابه جبل : لا يهم من أنا .. المهم أن تسمعني .

فاستسلم الرجل لرغبة الغريب وقال : سأقول لكم أيها الفرسان ..فاسمع ..هذه فتنة ومصيبة قديمة تثور بين الحين والحين ، الجند في مدينتنا انقسم إلى قسمين ، قسم يدعم ويؤازر السلطان ، والثاني مؤيد للوزير أبي المعالي ..فالسلطان كثير الظلم للرعية ، والوزير محبوب من الناس ، ويحاول بكل قوة منع ظلم السلطان وطغيانه ، فيتصادمان ، والسلطان لا يستطيع

عزل الوزير ؛ لأنه ذو شوكة ، وله أنصار بين الجند ، ويخشى السلطان على نفسه منهم ، وكلما تحدث مظلمة في المدينة يحدث بين عسكر السلطان وعسكر الوزير قتال ودمار أيتام وأرامل فالنهار الماضي اعتدى جنود السلطان على أحد الأسواق ونهبوها ؛ لأن جنديا قد اعتدى عليه بعض غلمان السوق ، فذهب لقائده شاكيا ، فغضب ذلك القائد على أهل السوق ، واستأذن السلطان بتأديبهم فأذن له ، فقام القائد وجنوده بتأديب السوق ، فهرب الناس والتجار إلى الوزير وشكوا له ظلم القائد والعساكر السلطانية ، فأمر الوزير بحبس القائد الغاضب لضرب جنديه ، فغضب أصدقاؤه وملكه ، وها هم يتقاتلون وفي الصباح ينتهي الصراع ، واعلم أن هذا الأمر متكرر بين الفترة والأخرى ، ويمكن أن أقول وأنا صادق ، ما يكاد شهر يمضي وخلا من مجزرة .

ثم انصرف الرجل فعادوا للنوم ، وحاول الفرسان النوم ؛ ولكنه استأذن وتركهم أيقاظا يتحدثون عن الضحايا والضعفاء وما يصيبهم من عسف الطغاة وحبهم للسلطة وشهوات الفتك ، وصباحا أحضر غلمان الفندق الطعام للفرسان في حجرتهم ، فسألهم الفرسان عن آخر أخبار المعركة فقالوا : انتصر جنود الوزير أبي المعالي ، وقتل من الفريقين حوالي خمسين رجلا ، وعدد كبير من الجرحى من الجنود والأهالي ..وكان أمر الوزير بإعدام القائد المحبوس الذي حاول أنصاره إخراجه من السجن وراء المعركة ، فجرت المعركة ، فكان رجال الوزير لهم بالمرصاد ، فقتل من قتل ، ورملت من رملت ، ويتم من يتم ، ورضخ مولانا السلطان لشروط الوزير ، وهكذا أيها السادة تمضي الحياة في هذه المدينة .. نسأل الله العافية .

فردد الفرسان آسفين لضحايا المعركة : آمين .

وخرج غلمان الفندق ، وأخذ الفرسان بالأكل ، وفجأة اقتحم عليهم الغرفة شاب ممزق الثياب دماؤه منتشرة على وجهه وملابسه ، وهو يستغيث : ساعدوني أيها الرجال ! لا أريد أن أموت ! .. ساعدوني .

فنهض الفرسان عن طعامهم قائمين ، وقد قبضوا على مقابض سيوفهم ، وقال جبل وقد

أغلق الباب وراء الجريح : من أنت ؟ وما أصابك ؟!

فقال الشاب وهو يجلس على الأرض من الارهاق والخوف : أنا مطارد يا سيدي ! العساكر تطاردني .. إنهم خلفي .. يريدون رأسي .

فربت الفارس على كتفه وقال : اهدأ أيها الأخ .. ذراعك تنزف دما ..

فتقدم ثعلبون وربط ذراع الشاب بخرقة ، وفعل بساقه مثل ذلك ، وأخذ يمسح وجهه بخرقة مبللة بماء ، ثم تفقد رأسه فوجد فيه جروحا يسيرة وسطحية ، وبينما هم يسعفون الشاب اللاجئ لحجرتهم طرق الباب بعنف ، فقال جبل بهدوئه المعهود : من الطارق ؟

فصاح قائد المجموعة المطاردة : افتح الباب ، لقد لجأ إليكم مجرم .

فقال الشاب الجريح بتوسل ورجاء يدمي الفؤاد : أرجوكم أنـقذوني لا أريد الموت .

فقال جبل وقد أشفق عليه وأخذ يمسح على رأسه : لا تخف أيها الشاب .

ثم فتح الباب ووقف أمام الجنود قائلا : أيها الرجال من أنتم ؟!

فقال قائد المجموعة بصوت حاد : أبتعد عن الباب وإلا قتلناك .

فرد جبل فقال : لقد استنجد بنا أيها القوم !

فصاح الرجل بصراخ وغضب : ابتعد أيها الغريب .. ودعنا نأخذ خصمنا الملعون إنه من رجال السلطان الظالم .

فرد جبل بكل هدوء : هو منكم من بلدكم من إخوانكم ! .

صمت القائد قليلا ثم قال : أيها الرجل المحترم دع العدالة تأخذ مجراها .

فعاد جبل يقول : ألا يكفي موت خمسين رجلا لتضعوا سيوفكم في أغمادها ؟!

فقال القائد وقد خفض صوته وراح يحد النظر في جبل : من أنت ؟!

فقال الفارس : أنا جبل بن مجدو النزيل في بلاد التين من فرسان الملك جبرون .. هذا هو أنا .

فقال القائد باضطراب : مرحبا بالفارس .. ألا تريد أن تسلمنا هذا المجرم ؟

رد جبل باسما فقال : طلب حماية الفارس .. وأنا بنفسي سأسلمه للوزير ليعفو عنه .. ألستم

من حصة الوزير ؟

رد الرجل فقال : بلى .. نحن بانتظارك لنذهب سوية .

قال جبل : أحسنتم .. بعض الوقت أيها الشجعان .

وأغلق الباب والتفت للشاب فقال : ما قصتك ؟!

فأجاب الجريح : يا سيدي الفارس حظي أنني من رجال السلطان .. فلما دارت المعركة ليلا شاركت مع رفاقي في المعركة وإلا قتلني رفاقي وادعوا أن جنود الوزير قتلوني ، فلما حلت الهزيمة بنا هربت إلى منزل ؛ ولكن صاحب المنزل غدر بي ؛ لأنه من أنصار الوزير ، فاستدعى الجنود فأحاطوا بي ، فدافعت عن روحي حتى تمكنت من الهرب منهم ، فلجأت لهذا الفندق ، وجند الوزير يركضون خلفي ، فأرشدني صاحب الفندق لحجرتكم ، فهذا ذنبي أيها الفرسان

قال جبل : لا بأس عليك ، سأشفع لك عند الوزير أبي المعالي .. تجهز يا ثعلبون للسير معنا وأنت يا هزبر ابق هنا للضرورة .

فلبس الفارسان سلاحهما وأخذوا الشاب ، وانطلقوا مع الجند إلى قصر الوزير سيرا على الأقدام ، وترك الشاب بحماية ثعلبون ، واستأذن على الوزير فأذنوا له، فعرف الوزير بنفسه وذكر حاجته ، فقبل أبو المعالي شفاعته ، ودخل ثعلبون والجريح والقائد على الوزير ، فسمعوا جبل يقول : مبارك أنت أيها الوزير ! أشكرك واعتبرني من أصدقائك .

وتقدم الجندي الجريح وقبل يدي الوزير وقال : يا سيدي الوزير ..ما أنا إلا عبد مأمور .. إن رفضت الأوامر قتلوني .

فقال الوزير بأدب جم : حسنا – أيها الجندي – قبلنا شفاعة الفارس جبل فيك .. فمعرفة فارس مثل جبل خير منك انصرف راشدا .

وأصدر أمره لأعوانه بالعفو عنه وعدم التعرض له ، والتفت للفارسين قائلا : أنتم ضيوفي .

قال جبل : قبلنا ضيافتك أيها الوزير ، ولن أنسى معروفك هذا .

ونزل الفرسان الثلاثة ضيوفا على الوزير أبي المعالي الذي تصالح مع الملك آخر النهار ، واتفق

الخصمان على دفع الدية لأولياء القتلى ، قتلى الوزير يؤديهم الوزير ، وقتلى الملك يؤديهم الملك ، ولما رجع الوزير لقصره وجد جبلا في انتظاره يسأله قائلا : يا سيدي الوزير أليس لديكم حل لمنع هذا التنازع المتكرر ؟!

ابتسم الوزير أبو المعالي ابتسامة عريضة وقال : الحل موجود ؛ ولكن السلطان لا يريده .

ـ لمَ ؟!

قال الوزير : نحن يا سيدي الفارس أهل البلد وسكانها الأصليين ..سكناها من مئات السنين وكنا ننعم ونرتع بنعم الله وفي رغد من العيش ، ولكن حدث حدث من قبل أن نرى نحن الدنيا ونولد ، وهو أنه قد جرى صراع بين الأسرة الحاكمة لهذه البلاد والقرى من حولها ، وتنازع أخوان على العرش والحكم ، فلجأ المهزوم إلى مملكة تبعد عاصمتها عنا مسيرة أيام قلائل ، فأرسل معه الملك شداد ملك تلك البلاد جيشا ، واسترد المهزوم الملك من أخيه وقتله أو قل قتله الغزاة برضا الأخ ، وكان الملك شداد قد اشترط على المهزوم الهارب إليه أن تخضع المدينة له ولحكمه ، وما هو الا مجرد نائب عنه ، وتدفع الجزية له كل عام ، ولما انتصر المهزوم واستقر على العرش ،حاول التخلص من قبضة الغزاة ، فغضب عليه شداد ونزعه عن الحكم الذي خان بلده من أجله وقتله وأكثر أسرته ، وخضعت البلاد من يومها للملك شداد خضوعا كاملا ، وجعل عليها ملكا من بلاده ، يتوارثونها كابرا عن كابر ، وبقيت الوزارة في أهل البلد الأصليين الذين أنا منهم ، طبعا سياسة لقمع المعترضين والثائرين ، فهذا السبب الحقيقي للصراع .. وفي هذا الزمن تسلطن علينا " فوندا " ، وهو ظالم يحب العنف والدم ، والناس يدفعون الضرائب المفروضة كالمعتاد كل سنة لجابي الملك " شراب " من أحفاد شداد الهالك ، ولكن فوندا هذا لا يكف عن الظلم والسلب ، والناس تتعاطف معي لأني منهم وأحب العدل ، وأحاول أن أخفف الظلم عنهم ، ولي أنصار بين الجند ، ولقد شكونا أمرنا لحفيد شداد مرات ؛ ولكنه لا يسمع .. فالسلطان فوندا إذا ترك الظلم تنتهي المشاكل ، ونعيش بسلام ، فحتى في حروب الملك شراب يذهب جنودنا للحرب معهم .. فالحل كما

ترى في يد السلطان والتمسك بالعدل والإحسان .

فقال جبل بأسف ومتذكرا بلاده أيام سيطرة ولاة الضبع عليها : سنعبر بلاد الملك شراب في طريقنا لمالك الهند ؛ فإذا تمكنت من مقابلته سأذكره بالظلم الواقع عليكم لعله يرفعه ويزيله أو يخففه .

فقال الوزير بحزن شديد : إنه يعلم بالألم الذي نعانيه ! وهو يحب ذلك ..كم من مظلوم ذهب إليه شاكيا باكيا ؛ ولكنه يظن بالسكوت عن ولاته تبقى المدينة ذليلة خاضعة .

وكان جبل وهو يسمع قصة الوزير وأهل النجمة الصغيرة ، يتذكر مأساة قومه وبلده مع الضبع ، فرأى الطغاة في كل مكان ، وسمع الوزير يتابع كلامه قائلا : لا تحزن كثيرا أيها الفارس ! لا عليك .. تعودنا العيش على هذه الظروف والحال .

فقال جبل : سنسافر قريبا – وأعانكم الله ورزقكم الصبر – هذه شريعة الطغاة .. القوي يسيطر على الضعيف ؛ ولكن للظالم يوم شديد إن لم يكن في الدنيا كان في الآخرة .

فقال الوزير بمرارة : هذا عزاء الضعفاء على كل حال !

وأمضى الفرسان ثلاثة أيام في ضيافة أبي المعالي ، ثم رحلوا باتجاه مدينة الملك شراب المسماة بلاد الملوك العظام ، فحطوا رحالهم فيها بعد أيام ، وفي خان كبير نزلوا ، وبعد أيام من الراحة والنزهات في هذه المدينة الكبيرة الواسعة الكثيرة الخلائق تبين لهم أنها مدينة جميلة واضحة النظافة كثيرة الحمامات والحدائق والأشجار حتى قال ثعلبون : إنها لمدينة جميلة نظيفة خضراء فشوارعها وطرقاتها مرصوفة بالحجارة الملساء الملونة !!.. فهل يعقل أن ملكها ظالم ؟!

فقال هزبر : هذا ما يثير عجب النفس .. هل تفكر يا جبل بلقاء ملكها ؟!

فرد جبل قائلا : أفكر بذلك ، ولسوف أقابل الوزير أو نائبه قد نخدم صاحبنا أبي المعالي .

كاتب الوزير

انطلق جبل وحده إلى ديوان الوزير آملا بأن يحظى بلقائه ، فكتب عريضة مبديا الرغبة في مقابلة الوزير ، فنقلها كتبة الديوان إلى كاتب الوزير الذي سمح لهم بإدخال هذا المتظلم عندما قرأ ما فيها من الشكوى والألم ، فلما أصبح جبل أمام كاتب الوزير ، خاطبه الكاتب – وهو يتفحصه ويتأمله – قائلا : أيّ ظلم لحق بك أيها الشاب ؟! .. إنك بحضرة كاتب مولانا الوزير ، وسوف تصل مظلمتك للوزير .. قل يا ولدي .. اسمك جبل بن مجدو كما قرأت في ذيل الصحيفة .

هز جبل منكبيه وقال : نعم يا سيدي هذا اسمي ! .. ومظلمتي أشرت لها في الكتاب الذي بين يديك ..وهي إنني كنت قبل أيام في مدينة فوندا ـ السلطان فوندا ـ فجرت فيها مذبحة بين نائب الملك شراب وأهل المدينة ، فقتل في المذبحة ما يزيد عن خمسين نفسا غير الجرحى ، وكذلك الأموال المنهوبة والمحروقة .. فلو يا سيدي أمرتم برفع الظلم ، وأمرتم نائب الملك بالعدل بين الناس والعطف عليهم ، وعدم إيذاء الخلق وإهانتهم .

قال كاتب الوزير : هل قتل لك قريب ؟ هل أصبت بعاهة ؟ هل حرق بيتك ومتجرك ؟ هـل سلب مالك ؟!

فقال جبل : لا شيء مما ذكرت يا سيدي ، لم يقتل لي قريب ، ولم أصب بأذى ، ولم يحرق لي بيت أو متجر ، ولم يسلب لي مال .. ولكن أصاب إخواني بني الإنسان كل ما ذكرت .. القتل والسلب والحرق والتلف والعاهات ، فلم ترض نفسي بالصمت والرضى بما جرى من أجل بني الإنسان .

فقال الكاتب وهو ينهض عن مقعده : ما دام لم يصبك شيء أيها الرجل ، فلم يعد بي حاجة لسماعك يا أخ جبل ! .

فقال جبل متجاهلا طرده : سيدي ! تذكر أن الظلم عاقبته سيئة ، والظلم ظلمات يوم الحساب عند الله رب العباد .

فرد الكاتب بضيق شديد : اخرج قبل أن أغضب عليك ، ما دام لم يمسسك ضر فاحمد الله ، وانصرف قبل أن أوذيك .

فقال جبل : سيدي الكاتب !! دعني أقابل سيدك الوزير لـعل شكواي تجد لديه أذنا صاغية .

فغضب الكاتب وقال بحدة : إنك رجل وقح ! أيها الجنود .. خذوه للسجن .

ودخل الحراس ، وقادوا جبلا إلى سجن من سجون المدينة ، فاستقبله السجناء وانهالوا عليه بالسوأل عن ذنبه وجريمته ، فاحتار بما يجيبهم ليريح فضولهم ، وعند الغروب دخل عليهم قائد السجن وأخبرهم أن الأميرة " ضميرة بنت الملك شراب " قادمة ؛ لتختار عددا منهم للعمل في قصرها وبساتينها .. فدهش جبل لهذا الكلام ، وقال لأحدهم : ما هذا الكلام ؟! أنا غريب عن بلادكم .

فرد المسئول بهمس : هذا هو الطريق الوحيد للخروج من السجن ، فمن دخل السجن أيها الشاب في بلادنا لا يخرج إلا بأعجوبة أو ينـقل للخدمة في قصور الأمراء أو الموت في السجن .. فكلما احتاج أمير أو قائد لعدد من الخلق للعمل في قصره وأرضه ، أقبل إلى السجن وأخذ ما يلزمه من السجناء ، فقد أصبحوا عبيدا له يتوارثهم الأبناء عن الآباء .

فقال جبل : حسبنا الله ونعم الوكيل .. لا حول ولا قوة إلا بالله .

وأتت الأميرة ضميرة للسجن يتقدمها قائد السجن ، فاختارت خمسة من المساجين للعمل عندها ، وكان فارسنا جبل بينهم مستسلما للأمر ؛ليرى نهاية هذه اللعبة ، وفي اليوم التالي جاء أمر من كاتب الوزير يطلب السجين جبلا ، فأطلع قائد السجن الرسول أن الأميرة ضميرة قد استرقته ونقل لقصرها ، فلما علم كاتب الوزير بذلك أصابته الدهشة ، وقال الكاتب لثعلبون : لقد تعقد الأمر أيها الفارس .. أنا ظننته من تلك المدينة اللعينة ! ولم أفكر بأنه عابر سبيل .. بل لم يخطر لي أنه ذلك الفارس المشهور الذي وصلت أخباره لهنا ..اترك لي العنوان الذي تسكن فيه وسأتدبر الأمر .

وتركه ثعلبون عائدا للخان ، وأطلع هزبرا على المأزق الذي وقع فيه جبل ، ثم قال : علينا أن

نغير مكان سكننا حذرا من الغدر .. فلنترك خيلنا هنا ونخرج كأننا ذاهبون لزيارة صديق .

فقال هزبر : الحذر واجب ..هذه ورطة نسأل الله أن يسلم منها .

وتظاهرا بالخروج لزيارة صديق ، وبفندق صغير باتا ليلتهما ، وفي الصباح ذهب ثعلبون لديوان كاتب الوزير ، فلم يجده ، وقيل له إنه غادر المدينة بمهمة ، وسيعود منها بعد أيام .

وأما صاحبنا جبل فسيق مع الأميرة إلى قصرها ، وبات ليلته الأولى مع الخدم ، وكان يقول لنفسه : سنصبر قد يكون في هذا الأمر خير لصاحبنا أبي المعالي !

وفي النهار التالي طلبته الأميرة ضميرة ، فلما دخل عليها قالت : لماذا يريدك كاتب الوزير ؟!

فأجابها : لا أعلم !.. هو الذي رماني في السجن .

فقالت : وهو الذي يسأل عنك !

فقص جبل حكايته مع الكاتب ، فقالت : أنت من أهل تلك المدينة ؟! لقد زرتها أكثر من مرة ، فأخت السلطان فوندا صديقتي .. هل ترغب بالعودة لمدينتك ؟

فقال : أحب أن يرفع الظلم عن أهلها .

فقالت : وما شأنك أنت برفع الظلم ؟

فقال :لا أحب الظلم يا مولاتي الأميرة .

فقالت وهي متجهمة الوجه : أنت سجين ، وأصبحت عبدا لي .

فقال : لا بأس أيتها الأميرة ! .. وروى لها قصة القتال في مدينة النجمة الصغيرة ، فلما انتهى ، قالت بغير مبالاة : لا تهتم إلا بنفسك وانس الآخرين ..أرجو أن أرى إخلاصك في العمل والخدمة لعلي أحررك وأعيدك لأهلك في تلك البلدة .

وأمرت قيم قصرها بأن يأخذه لعمله المعين له ، ويحترس من هربه واختفائه ، وبعد يوم أسر له غلام من غلمان القصر أمرا خفيا ، ولما انتصف الليل تسلل إلى باب من أبواب القصر الخلفية واخترق البساتين والحدائق يتبع الغلام الذي أسر له سرا خلال النهار حتى وصلا لباب خارجي للقصر ، فلما وصل إليه عاد الغلام واختفى ، فوجد جبل كاتب الوزير في انتظاره

ومعه ثعلبون وهزبر فقال الكاتب بعجلة : أعتذر إليك أيها الفارس ! .. وسأحاول أن أخفف الظلم عن صاحبك أبي المعالي ..وأرجو أن تغادروا الليلة الآن البلاد ، وإذا قدر لكم العودة لبلاد التين فاذكروني للملك جبرون ، فهو صديق قديم وقولوا له " يهديك السلام والتحية صديقك " أحمد بن طارق " " ، وركب الثلاثة على ظهور خيولهم ، وودعوا الكاتب وداعا حارا خارجين من المدينة قبل أن تدرك الأميرة ضميرة هرب جبل ، فاجتازوا قرى وغابات وديارا حتى أشرفوا على مدينة الجبال العالية مع الغروب ، وبينما هم مندفعون نحوها وجدوا في طريقهم شيخا كبيرا يركب حمارا أبيض يمشي رويدا رويدا ، وخلفه ثلاثة غلمان يلبسون ثيابا متشابهة وذات لون واحد ، فألقوا السلام عليه ، فرد التحية بأحسن منها ، ثم توقف وهتف : يبدو لي أيها الفرسان أنكم غرباء عن هذه البلاد ؟!

فقال أحدهم : نعم أيها الشيخ الجليل .. ما هذه البلدة ؟

فرد الشيخ : إيه !!.. إنها بلاد الجبال العالية لصاحبها الملك المعروف مالك بن حماد الأسناني فهل أنتم رسل قادمون على الملك ؟

قال هزبر : لا ، أيها الشيخ الجليل .

وقبل أن يكمل هزبر كلامه واعتذاره ، قال الرجل على الفور : أنتم ضيوفي .. اعتبروا أنفسكم ضيوفا عندي عند والدكم الشيخ خليل ..والتفت لأحد غلمانه وقال : مهران .. اذهب بهؤلاء الأسياد إلى بيت الاضياف حتى أقضي حاجة قريبة وأرافقكم .

اعتذر الفرسان للشيخ وشكروا له مرؤته ، فأقسم على ضيافتهم ، وتابع الشيخ رحلته ، وساق مهران الفرسان لبيت الأضياف الخاص بالشيخ خليل ، وأوصى الخدم هناك بحسن الضيافة لضيوف الشيخ خليل ، وانقضى الليل ولم يروا صاحب البيت ، فاستفسر جبل عن ذلك ، فقال أحد الخدم لدار الأضياف: نحن قلقون على سيدنا !..لقد علمنا مساء أمس أنه ذاهب لزيارة ابن عم الملك مستشفعا لأحد الناس .. فقصر ابن عم الملك يقع خارج أسوار المدينة ، وها هو قد تأخر ولم يأت ليلة أمس .

ومضت ليلة ثانية ولم يظهر السيد خليل وحتى غلاميه اللذين كانا بصحبته لم يظهرا ، فعندئذ طلب جبل من رئيس الخدم أن يأذن لهم بترك السكن ، فقال الخادم : لو خرجتم يا سيدي ورجع الشيخ ولم يجدكم سيغضب علينا ، فاصبروا حتى يتضح الأمر .



وكان الفرسان خلال اليومين الماضيين ، قد تفرجوا على المدينة ، واختلطوا بأهلها ، وفي صباح النهار الثالث قادتهم أقدامهم إلى شمال المدينة ، وهناك وجدوا أنفسهم يندفعون مع الناس إلى ميدان كبير ، والناس تتحدث بحماس شديد ، وهم متجهون لمشاهدة مصارعة الفرسان للأسود ، فقال جبل لصاحبيه : فلنمش مع هذه الجموع ، ونشاهد هذه المصارعة المتراكض إليها هؤلاء البشر .

ولما وصلوا للمكان ، وجدوا عددا هائلا من الخلق يملئون مدرجات ميدان الصراع ، وما زالت الناس تتزاحم وتتدافع إلى حلبة المصارعة ..مدرجات على شكل دوائر وفي وسطها ملعب يجري فيه الصراع ..وفي وسط الملعب المعد للمصارعة قفص من الحديد ، ولكنه قفص كبير كالسور والسوار ، وهو مكشوف السقف ، ويـقف حول هذا القفص المستطيل الشكل المرتفع الجدران بحيث لا يستطيع الأسد القفز عنه عدد من الجند ، بعضهم يحمل الرماح والسيوف ، وبعضهم يحمل الأقواس والسهام ، وفي إحدى جهات هذا القفص الحديدي الكبير أو ميدان المبارزة يوجد باب أو أكثر يدخلون منه الأسد والفرسان ، وبين القفص والمدرجات التي تجلس عليها الجماهير يوجد مضمار ؛ ليدور فيه الفارس بعد أن ينتصر على الحيوان أمام الناظرين ، ويبدأ الاحتفال بوصول الملك أو من ينوب عنه .. واختار فرساننا الجلوس قريبا من القفص على المدرجات السفلى ، ولا يفصلهم عن حلبة اللقاء سوى المضمار

الذي يحيط به الجند ؛ ليمنعوا الناس من الجلوس عليه ، وكانت منصة جلوس الملك والأمراء قريبة أيضا من القفص ، وحولها الحرس المدججون بالسلاح ، وبعضهم على ظهور الجياد ، ولم يطل الانتظار لبدء الاحتفال ، فقد أقبل الأمير " قوس بن جاد " ابن أخت الملك نائبا عن الملك هذا اليوم ، فلما جلس الأمير في مكانه بعدما حيا الجماهير ، نفخ في الأبواق برهة من الزمن ، ثم حيا المنظمون للحفل الأمير واستأذنوه ببدء المصارعات الرهيبة .



تقاليد غريبة

دخل القفص الحديدي شاب يحمل سيفا طويلا ، ويرتدي ملابس خاصة بهذه المصارعات الغريبة ، ويعلق على وسطه خنجرا طويلا ، ويعقد على رأسه عصابة حمراء ، وطفق يرقص ويركض أمام الجماهير ، وقد حيا الأمير والجماهير بكلتا يديه ، وكان يقف على أحد أبواب القفص عدد آخر من المتسابقين يتهيئون لدخول القفص ، ولما انتهى الشاب الفارس من رقصاته فتح باب القفص من جديد ، ودخل عدد من الرجال يحملون قفصا في داخله أسد جائع منذ أيام ، ووضعوه في ركن من أركان القفص الكبير ، ثم خرجوا وأغلقوا باب القفص الكبير ، وخيم الصمت على الجماهير وهم يشاهدون الشاب المصارع يتراقص وهو يتقدم نحو قفص الأسد وفتحه ثم ابتعد ، وفتح الباب كله برأس السيف الطويل ؛ ليخرج منه الوحش ؛ ليبدأ الصراع ، بعد برهة ترك الأسد قفصه ، وأخذ يحدق النظر في المكان ، وكانت الجماهير صامتة كأن على رأسها الطير ، ثم ارتفع صراخ الناس مع اشتداد زئير الأسد الغاضب ، وبدأت المطاردة بين الحيوان المفترس والإنسان العاقل ..حتى فقد الشاب توازنه فوقع على الأرض ، فانقض عليه الأسد سريعا فصرعه ، وقبل أن يبدأ الأسد الولوغ في وليمته ، قفز للميدان فارس آخر ، فتحول إليه الوحش وبدأت معركة أخرى من جديد ، وقد تمكن الأسد الهائج الجائع من سفك دم الفارس الثاني ، فدخل ثالث فلحق بصاحبيه ، فقال جبل لصاحبيه : تراودني نفسي باقتحام عرين هذا الأسد المتوحش وقتله .

ولما صرع الثالث دخل القفص فارسان ، وكانت معركة شرسة بين الأسد والرجلين ، فهجم الأسد على أحدهم فصرعه ، ولكن الشاب قد تمكن من طعن الأسد قبل سقوطه ، فترنح الأسد من الطعنة ، فقد أنهكت قواه ، ونزف دما غزيرا فوقع ، فهجم عليه الفارس الآخر وطعنه برمحه ، فزأر زئرة النهاية ثم خر ميتا ، فارتفع صياح الجماهير وبكاؤهم وتصفيقهم بالفوز على الوحش الذي قتل ثلاثة وجرح رابعا جرحا بليغا ، ولابد أنه قد ترك خدوشا على الخامس ، دخل عمال يحملون التراب فنثروه على الدماء ، وآخرون أخذوا القتلى والجريح

وجثة الأسد ، ثم دخلت القفص فتاة حسناء ، علقت في عنق الشاب المنتصر إكليلا من أزهار المدينة ، ثم غادر الشاب القفص متقدما إلى منصة الأمير قوس بن جاد وصافحه وقبل يده ، فقام الأمير ووضع على رأس الفارس تاجا براقا يسمونه " تاج الفرسان " ، وقلده سيفا وثوبا ذا تطريز خاص موشى بالذهب يشبه العباءة وربطه حول عنق الفارس ، وقدم له جوادا فقفز عليه الشاب الفائز ، ودار دورة واحدة في المضمار حول القفص الحديدي ، والناس تصفق له وتهنئه بالفوز على الأسد وعلى منزلة الفارس التي تحصل عليها ، ثم تقدم الفارس الجديد إلى مكان تتجمع فيه فتيات حسناوات يلبسن الثياب الزاهية ، وهن من بنات طبقة النبلاء في تلك البلاد ، وكن كأنهن في حفل عرس ، فخلع الفارس التاج الذي ألبسه إياه الأمير واختار إحدى الفتيات ، ووضع التاج على رأسها ، فأمسكت بيده فسحبها من بينهن نحو الجواد ، ورفعها على متن الحصان أمام تصفيق وفرح الناس ، ثم ركب خلفها ودار في المضمار مرتين ، ثم وقفا أمام الأمير ، فبارك لهما بالزواج ، ونفخ في البوق عدة نفخات ، ثم ارتفع صوت جهوري عال معلنا أن الشاب فلان من عائلة فلان قد أصبح فارسا نبيلا وزوجا لهذه الفتاة من بنات النبلاء ، وذكر اسمها واسم أبيها النبيل أمام النبلاء والناس ، فيرتفع صراخ الناس وصفيرهم وتصفيقهم في الساحة ، وهكذا امتزج الفرح والموت في هذا المكان ، وأصبح هذا الشاب الفائز من طبقة النبلاء في هذه المدينة ، وجلس الشاب وعروسه بمكان قريب من الأمير والنبلاء .

وبدأ الاستعداد لجولة أخرى من المصارعة ، فنفخ في البوق ، فدخل القفص هذه المرة شابان يطمعان أن يصبحا من طبقة النبلاء ، وبعد أن رقصا وحييا الأمير والجماهير المحتشدة لتنظر هذه المبارزات المتوحشة ؛ ولتشاهد هذا الصراع المخيف ، أدخل العمال قفصين في كل واحد منهما أسد جائع .. فقام الفارسان بفتح البابين لتنشب المعركة ، ومع زئير الأسدين يرتفع صياح الجماهير ، وكانت معركة ويالها من معركة ! كان كل شاب مشغولا بأسد يثيره إما بسيفه الطويل أو أحيانا أخرى برمحه ، وفي نفس الوقت على الفارس أن يحذر قفزة أو غدرة

من الأسد الآخر .. مطاردة مرعبة ! .. تمكن أسد من خصمه..والتف الأسدان على الواحد ، فهجم الشاب بقوة وسرعة بخنجره على أحد الأسدين وطعنه بعجلة ، وقبل أن يتمالك نفسه كان الأسد الثاني يرديه قتيلا ، ودخل الميدان على الفور فارسان ، وانتصر الشابان على الأسد وقتلوه ، وقضوا على الأسد المطعون ، وعلا صراخ وصياح الجماهير ابتهاجا وانفعالا بنصر الشابين المصارعين ، ودخل العمال فسحبوا الجثث كلها ونثروا التراب على الدماء ، ثم دخلت صبية حسناء ووضعت في عنق كل فارس عقدا من الأزهار البرية المنتشرة في المدينة ، ومشى الفارسان جهة الأمير وصافحاه وقبلا يده ، فنهض وألبس كل منهما " تاج الفرسان " وخلع عليهما ثياب الفرسان ، وقلدهما السيوف القصيرة ثم قدم لهما جوادين ، فركباها ودارا راكبين عليها حول القفص الكبير دورة واحدة وإلى موقع الحسناوات مشيا ، واختار كل واحد منهما فتاة وألبسها التاج ، وأركب كل واحد فتاته على جواده ، وداروا في المضمار دورتين أمام فرح الناس وتصفيقهم الحاد ، ثم تقدموا نحو الأمير ثانية ، فبارك لهم الفوز والعروس ، ونفخ البوق ثم ارتفع الصوت معلنا أن هذين الشابين أصبحا من طبقة النبلاء ، ثم جلسا بجوار الفارس الفائز قبلهما قريبا من مجلس الأمير .



ولما انتهى الاحتفال بالشابين بدأت جولة ثالثة ، فلقد دخل القفص هذه المرة ثلاثة فرسان ، ورقصوا الرقصة التقليدية أمام الأمير والجماهير ، وحيوا أميرهم والناس ، ثم أدخل الحلبة ثلاثة أقفاص للأسود الهائجة ، ولما خرج حاملو الأقفاص تقدم الفرسان وفتح كل واحد باب قفص ، وحدث الصراع المثير ، وهزمت الأسود الثلاثة البشر الثلاثة ، فتكومت جثث ثلاث تلفظ أنفاسها الأخيرة ، وقبل أن يدخل فرسان ثلاثة آخرون ..حدث أمر جلل ، وهو أن أسدا كان يقف قريبا من باب القفص الكبير حيث يدخل الفرسان ، فلما فتحوا الباب

ليدخل منه الفرسان زأر الأسد فجأة ، فاضطرب من يفتح الباب وابتعد للوراء وترك الباب مفتوحا مذعورا ، فخرج منه الأسد بسرعة وتبعه الآخران ، ودبت الفوضى بين الناس ، وحتى حملة الأقواس الذين مهمتهم الفتك بالأسد الهائج إذا تعذر الانتصار عليه ارتبكوا ولم يحسنوا التصرف ، فأصاب الجميع الذعر والهلع ، وأخذت الجماهير تتراكض نحو الأبواب والمدرجات العليا وتتزاحم فوق بعضها البعض ، وارتفع الصراخ والعويل ، وارتبك حرس الأمير لهذه المفاجأة ، فاستل الأمير سيفه ليدافع عن نفسه .. ورأى الفرسان الثلاثة جبل وثعلبون وهزبر المشهد المثير ، فما كان منهم إلا أن استلوا سيوفهم ، وهجم كل واحد منهم على أسد ، وكانت الأسود قريبة من بعضها البعض ، وما هي إلا دقائق خاطفة حتى كانت الأسود الثلاثة صرعى جثثا هامدة على الأرض ، فقد تمكن كل فارس من القضاء على أسده بضربة واحدة ..فضج وارتفع صياح الناس من الفرح ، ومن قوة هؤلاء الشباب وشجاعتهم ودهش الأمير قوس ومن حوله من الأمراء والنبلاء من شجاعة الفرسان وسرعة فتكهم بالأسود الغاضبة ، وسار الأمير نحوهم بحماس واضح وهو يقول : مرحى مرحى أيها الأبطال !! .. إنها شجاعة نادرة !!.. وعانقهم وضمهم لصدره وهو يتمتم بكلمات الإعجاب والثناء ، ثم قال : أود التعرف على ذواتكم أيها الأبطال !

فذكروا له أسماءهم ، وأنهم من بلاد الدب ومسافرون لبلاد الهند ، فرحب بهم ثانية وقال : عملتم اليوم ـ أيها الشجعان ـ عملا عظيما وكبيرا !

فقال جبل : نحن ننزل ضيوفا عند الشيخ خليل العابد .

فقال الأمير : أحسنتم أيها الضيوف الكرام .. لقد فعلتم أمرا عظيما ، إنها لكارثة ! وسأل أحد رجاله قائلا :كم أحصيتم من القتلى أيها الصاحب ؟

فرد الرجل : لم يقتل إلا خمسة أنفس وكثير من الجرحى والمصابين ، وأكثرهم بسبب التزاحم والتدافع يا سيدي الأمير .

وعاد الأمير مرة أخرى يرحب بالفرسان ، فقال : أيها الفرسان أرحب بكم في قصري .. وأنتم

ضيوفي .

وأمر بنفخ الأبواق معلنا انتهاء الحفل لهذا الموسم ، ومشى الفرسان بصحبة الأمير وحاشيته ، ونظرات الإعجاب من الناس تطاردهم وتتابعهم بدهشة وثناء وفضول .

وقد تعرف الأمير في قصره على الفرسان أكثر فأكثر ، ولما علم الغاية من سفرهم لبلاد الهند ذات الممالك الكثيرة والتي تخضع للملك الكبير فرهودا ، فذكر لهم قوس أن القائد الشهير " شهرون " من كبار قادة الخان الأكبر صديق له ، ويمكنهم الاستفادة منه لتحقيق غايتهم عند حسن خان وصهره علي خان ، وتناول الفرسان العشاء مع الأمير قوس ، ثم شكروه على حسن الضيافة والكرم ، واستأذنوه بالعودة لمنزل الشيخ خليل الذي كان في انتظارهم على أحر من الجمر ، فرحب بهم ترحيبا كبيرا ، واعتذر لهم أشد الاعتذار عن تأخره عن لقائهم ، وحدثهم عن سبب هذا التأخر قائلا : أيها الكرام عندما رأيتموني وأنتم داخلون إلى المدينة كنت ماشيا لقصر ابن عم الملك ابن حماد .. فلي جار تشاجر مع أحد النبلاء ، فقذفوه في السجن ، فلما علمت بالأمر ، انطلقت لابن عم الملك لعلاقة وصداقة قديمة كانت بيني وبينه فعندما قابلته وذكرت له شأن جاري وذاك النبيل .. تنكر لي ، وما كان منه إلا أن سجنني أنا وغلماني عنده في القصر تأديبا لي لإزعاجه بأمر تافه ، ولم يعف عني إلا اليوم عندما توسط لي أولادي لدى مولانا الملك فأطلقني ، فهذا سبب تأخري عليكم ، وما زال جاري صاحبي نزيل السجن .

فحدثه الفرسان عن المصارعة التي شاهدوها صباح اليوم ، وعن لقائهم بالأمير قوس بن جاد ووعدوا الشيخ أن يكلموه من أجل صاحبه السجين ، فشكرهم الشيخ وبارك شجاعتهم وأثنى على نخوتهم ، وقال : للأسف الشديد نحن بلد طبقي ، فهناك طبقة الأمراء من أسرة الملك وأقربائه ، ومن ضحكت له الدنيا ونكح منهم فيصبح من طبقتهم ، ثم طبقة النبلاء وهؤلاء أصحاب الأراضي والبساتين الواسعة وقادة الجيش والشرطة ، والطبقة الثالثة طبقة العلماء والأدباء ومن دار في فلكهم ، ثم طبقة العامة وهم أكثر سكان المدينة والأرياف ، ثم

طبقة العبيد والخدم والغلمان ، وقد ابتدع أحد أجداد الملك ابن حماد بدعة نقل أبناء هاتين الطبقتين الاخريتين العامة والعبيد لطبقة النبلاء والملاك الكبار بمصارعتهم للأسود .. ففي كل سنة تحدث فتنة الأسود أربع مرات في كل فصل مرة ..فيتنافس أبناء العامة والعبيد على مصارعة الأسود ، فمن حالفه الحظ وفاز وقتل أسدا أصبح فارسا ونبيلا ، وتزوج فتاة يختارها من بنات النبلاء ؛ ليصبح نبيلا لقتله الأسد فتشبه بالنبلاء ، وبزواجه اختلط دم أبنائه بدم النبلاء ، ويستطيع أن يخدم مع الفرسان في الجيش ، ويحق له شراء العقار وأن يقتني العبيد والغلمان ؛ لأن العامة ممنوعون من ذلك ، فليس لهم إلا المساكن التي يأوون إليها ويعيشون فيها ، وقد يسمح لهم بحديقة صغيرة حول المنزل ، ومع بداية كل فصل تبدأ هذه المصارعات القذرة والمرعبة ، ثم ظهرت فيما بعد طبقة سادسة قد تولدت واعترف بها بعد صراع شديد ، وهي طبقة كبار التجار والصناع ، لا هم من العامة ولا هم من النبلاء .. وأنا من هذه الطبقة أيها الفرسان ! فقد علقت التجارة منذ الصغر ، أخذتها عن أبي وأعمامي وأخوالي ، فسافرت شرقا وغربا ، ودخلنا بلاد الدب والعقرب والتين وغيرها من الممالك والمدن ، ورحلت لبلاد الهند التي ترغبون بالسير إليها ، ولي أصدقاء هناك من قدامى التجار ، وما بنيت هذا المنزل إلا لاستقبال الأصدقاء من التجار وأبنائهم ، ولسوف أذكر لكم أسماء بعض التجار في الهند إذا وجدتموهم على قيد الحياة قد يخدمونكم في تلك البلاد .

وفي الصباح صحبوا الشيخ إلى ديوان الأمير قوس ، فحدثه الشيخ عن قصة جاره ، وقبل الأمير شفاعة الفرسان فيه ، ثم ودعوه بعدما آذنوه بالسفر ، وكذلك أثنوا على مضيفهم الشيخ خليل ، وودعوه راحلين لمدائن الهند الذي قال لهم أثناء الوداع : إنه لم يبق بينكم وبين بلاد الهند سوى مدينة واحدة من المدن الكبيرة وهي المدينة المغلقة .

ممالك الهند

واجتازوا عدة مراحل ، ثم دخلوا على المدينة المغلقة التي تفصلهم عن ممالك الهند العديدة ، وعلى صديق من أصدقاء الشيخ خليل نزلوا ، فاستقبلهم أبناء ذلك الصديق أحسن استقبال نيابة عن والدهم المسافر في رحلة تجارية ، ثم استضافوهم ثلاثة أيام ، ثم تابع الفرسان السير والرحيل ، وبعد مسيرة أيام معدودات دخلوا بلاد الهند ، وقد كانت أول مدينة تواجههم من ممالك الهند مملكة حسن خان ، وجنوب منها تقع مملكة علي خان ختن الخان حسن ، وكلتا المملكتين خاضعتان لمملكة الخان الأكبر الملك الجبار " فرهودا " الذي عاصمة ملكه تقع في قلب القارة الهندية ، وقد علموا أن بلاد الهند الشاسعة كلها يحكمها ملكان كبيران متنافسان ، أحدهما الخان الأكبر فرهودا ، وتخضع لحكمه أكثر من عشر ممالك في غرب وجنوب القارة الهندية وبعضها في الشمال ، وفي أقصى بلاد الهند ملك كبير آخر تخضع له ممالك شمالية وشرقية وجنوبية وفي وسط القارة ، وهو الملك الأكبر "سرهوت " ، وهذان الملكان يتنافسان للسيطرة على كل بلاد الهند .. ومن حسن حظ الفرسان الثلاثة أنهم عندما دخلوا البلاد كان صراع كبير قد نشب بين تلك الممالك ، وقد كانت مملكة حسن خان وزوج ابنته علي خان من المالك الغربية لبلاد الهند ، وكلتا المملكتين ضمن مملكة الخان الأكبر فرهودا ، ولا تستطيعان الاستقلال عن قبضته القوية أو حتى الانضمام للملك سرهوت ؛ لبعدهما عن حمايته وعاصمة ملكه ؛ لوجود الكثير من الممالك تفصلهم عنه ، ومن بينها مملكة فرهودا نفسه ، وكانت الحروب مستمرة بين فرهودا وسرهوت ولا تكاد تقف ، فكل طامع بحكم الآخر ، ولقد كان من سياسة فرهودا أن كل مملكة تابعة لسلطانه وخاضعة لتاجه أن تمده كل سنة بعدد معين من جنودها ؛ للمشاركة في حروبه الدائمة ، ثم يرجع المحاربون القدامى ويأتي غيرهم ، وتمده المدن بالسلاح والعتاد والأموال المفروضة لتموين حروبه ، وهو يدعي بذلك أنه يدافع عنهم أمام عدوهم المشترك سرهوت ، ومن يتمرد على هذه الأحكام من الممالك الصغيرة يغزو بلاده وينهبها جنوده ، ويقتل من ناسها من يقتل ، وقد يقتل ملكها أو يعزله أو يحبسه ، فهذا هو

منطق القوة والبطش لدى فرهودا ، وتحدث في بعض السنوات الجافة وكساد التجارة وأحوال داخلية في المدن فيعجز الحاكم أو الملك التابع من جمع الأموال المطلوبة فتحدث مشكلة كبيرة بينه وبين الخان الأكبر فرهودا ، فتبدأ المفاوضات والمناورات حسب المصالح والأهواء والظروف .

فعندما دخل الفرسان الثلاثة مملكة حسن خان وعاصمتها مدينة العدل ، علموا من الناس أن هناك تحالفا من عدة ممالك متمردة على الملك الأكبر ، فقد رفضوا دفع الجزية المفروضة عليهم وأن الخان الأكبر سرهوت يدعمهم ويثيرهم على فرهودا ، ويعدهم بالحرية والاستقلال ، وهو يعد جيشا لغزو مملكة فرهودا والقضاء عليها ، وفرهودا غاضب عليهم ويحشد جيوشه الكثيرة والقوية لسحق هؤلاء المتمردين والعصاة ، وكان أحد وزرائه قد اقترح عليه تخفيف الجزية عن تلك المدن المتمردة أو حتى إلغائها ، فيفشل حلفها مع سرهوت الأكبر ، ولكن كبرياء ذلك الجبار وغروره كانا يمنعانه من الرضوخ لمثل هذا الاقتراح ، فقسم الممالك العاصية قسمين ، وطلب من قائدين كبيرين من قادته أن يتولّ كل قائد منهما قسما لتأديبه وسحق تمرده ويعيدهم للحظيرة رغم أنوفهم ويزيد الضريبة عليهم ، وأبقى ثلث الجيش لصد غدر غريمه سرهوت الخصم العنيد ، وللدفاع عن درة المدن عاصمة الملك الأكبر .

وعندما استقر الفرسان في المدينة ،كانت جيوش الملك فرهودا قد اقتربت منها وعسكرت في الجهة الشرقية لمدينة العدل ، وكان حسن خان قد أرسل لحلفائه بالتمرد يطلب منهم العون والمساعدة ، ويخبرهم بوصول القائد " مرهوب " لأطراف المدينة ، ودارت المناوشات بين الطرفين .. وفي هذا الأثناء وصلت جنود علي خان صهر الملك ونسيبه واشتد الصراع ، ولقد كان جبل ورفاقه ينزلون عند أحد التجار الكبار من أصحاب الشيخ خليل ، وقد أطلعهما التاجر " محسن " على أسرار ودوافع هذه الحروب ، وأخبر جبل مضيفهم عن أسباب مجيئهم لهذه البلاد ، وأبدوا استعدادا للقتال بجانب الملك حسن حتى يتحقق النصر أو الموت ، فنـقل محسن هذه الرغبة لأحد جلساء الخان حسن ورغبة الفرسان بالقتال والغاية من مجيئهم لهذه

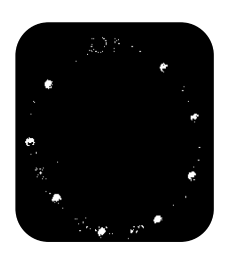
البلاد ، وحدثه عن فروسيتهم وشجاعتهم واستعدادهم لمقاتلة مرهوب وغيره للحصول على تلك الهدايا الثمينة التي قطعوا المسافات الطويلة من أجلها ، فقال له جليس الملك :سأعرض الأمر على الملك .. فلقد انتصرت جيوش فرهودا الأخرى على الممالك العاصية وعملت الفظائع في خمس ممالك ، وقد استسلم جنود تلك المدن ، والخان حسن في قلق شديد .. والقائد مرهوب يستعد لملحمة فاصلة لينافس صاحبه .. ونجدة سرهوت الأكبر لم تظهر بعد وعاد التاجر يقول للفرسان : وعدنا صاحبنا خيرا ..والحق أن جوهرة حسن خان جوهرة نفيسة ، يضرب بها المثل في هذه الديار .. أما أنها تمنع الفقر عن مالكها فقيل عنها ذلك لثمنها الضخم ولحسن صنعتها ولا يملكها عادة إلا الأغنياء والملوك ، فهؤلاء الناس لا يعرفهم الفقر بسبب كبر ثمنها عند بيعها .. ولا أدري هل يضحي بها الملك فيهبها أو يبيعها ؟! .. ومع ذلك فملكنا حسن سخي ومن أسخى الملوك الذين حكموا هذه البلاد ! .. وأما عقد ابنته فوهبه لها زوجها علي خان ، وسبب شهرته أيها الأصدقاء أن له حكاية ، فهو عقد من حبات اللؤلؤ الصغير اللامع جدا ، ورثه الملك علي عن أجداده القدماء ، فقد قيل إنه كانت زوجة لأحد أجداده ، قد صنعته لتحميه من السم والسحر اللذين كان يخشاهما ذلك الجد في تلك الأيام ، وأظن أن هذا كذب وإنما هي حيلة لعلاج الجد من خوفه الدائم من السم والسحر أو لمنع أعداء الملك من نساء القصر من سمه أو سحره .. فقيل ذلك عن ذاك العقد .

فقال ثعلبون : نرجو أن يوافق الملك على طلبنا وعرضنا .. مرهوب مقابل الجوهرة والعقد .

علم حسن الملك بقصتهم ، فأرسل وراءهم ، فشرح له الأمير جبل القصة ، فتعجب الملك منها ومن مطلب الفتاتين الغريب وقال : قد وصلت أخبار تلك الجوهرة لبلادكم والنساء تتحدث عنها ! .. الغلمان والرقيق هم وسيلة لنقل مثل هذه الأخبار ..إن هذا شيء عجيب ! وستكون لكم الجوهرة الخضراء بإذن الله إذا انتصرنا في المعارك ، ولسوف أكلم صهري وابنتي بشأن العقد العزيز .

والتقى الفرسان بالقائد الشهير " شهرون " في قصر الملك حسن ، فبين لهم أن الملك فرهودا

غضب عليه فهرب واختفى ، فلما نشبت الحرب لجأ لحسن خان ، فذكروا له لقاءهم بالأمير قوس بن جاد ، فوعدهم هو الآخر بالمساعدة على الحصول على العقد إذا كسروا جيوش فرهودا الظالمة .



ولقد وافقت ابنة الملك وزوجها عن طيب خاطر ونفس على إهداء الفرسان القادمين من الغرب العقد إذا ظفروا بمرهوب ، وتم النصر والفوز على الخان الأكبر ، فقال جبل : نحن جندك أيها الملك العظيم ! لقد غمرتنا بكرمك وجودك ، ونحن لا يطيب لنا الانصراف قبل أن تنتصروا على الملك فرهودا أو يقضى الله أمرا كان مفعولا .. واعلم أيها الملك أننا معكم ولو لم نأت لهذه الأشياء الغالية على نفوسكم ، فالحمد لله الذي جعل هذه الأشياء سببا للحضور لبلادكم والتعرف عليكم وعلى سخائكم .

والتحق الفرسان بالمحاربين أمام أسوار المدينة ، وشارك الفرسان بالمعارك الضارية التي نشبت بين الفريقين ، وظهر للعيان شجاعة وبسالة الفرسان ، وذات نهار طلب جبل مبارزة الأعداء فنزل إليه فارس فجندله وثاني أعدمه الحياة وثالث صرعه ، ثم اشتبك الجيشان حتى الليل ، وفعل هزبر في اليوم التالي ما فعله جبل في اليوم السابق ، وقلدهما ثعلبون في النهار الثالث ، ثم اتفق الجيشان على الاستراحة عدة أيام ، ثم تكرر القتال فطلب جبل مبارزة مرهوب ، وكان جبل قد اتفق مع قادة الفرسان والجيش على أنه إذا قتل مرهوبا أن يهجم الفرسان هجوما شاملا ، ولكن مرهوبا كان فارسا معدودا بين الفرسان ، فلم يتمكن جبل من القضاء عليه ، وعادت الجيوش لخيامها ، وتعهد الفارس أمام الفرسان بلقاء آخر في الصباح ، ولكن كانت في الصباح مفاجأة في انتظارهم ، فقد أصبحوا فلم يجدوا جيش خصمهم ، فقد وجدوا خياما فارغة ، فكأن الأرض انشقت وابتلعت مرهوبا وجيشه ، انسحبوا بدون أن يشعروا

بانسحابهم ، وفي آخر النهار تبددت حيرتهم عندما جاءتهم رسالة من الملك الأكبر سرهوت تطلب منهم الزحف لمحاصرة عاصمة ملك فرهودا الذي طلب عودة جيش مرهوب سريعا لأن البلاد في خطر ، ولقد تمت محاصرة عاصمة الخان فرهودا من الجهات الأربعة وبعد حصار محكم استسلم الخان فرهودا للخان سرهوت ، فنقل لمملكة سرهوت مكبلا بالقيود ومعه قادته ووزراؤه وخاصته ، ونصب أحد أبنائه الصغار مكانه ، وأخذت كل أموال البلد تعويضا للخسائر التي لحقت بسرهوت ، وضمت مدينته إلى مملكة سرهوت ، فأعلن الملك سرهوت نفسه ملكا وسيدا لكل ملوك وخانات الهند ، وقد منح الممالك التي كان يحكمها فرهودا الاستقلال على أن تبقى موالية لعرشه ، ورفع عنها الضرائب ، فتحررت مملكة حسن خان من حكم فرهودا ، وكذلك مملكة علي خان ، ومكث الفرسان الثلاثة ثلاثة أشهر أخرى في ضيافة حسن خان حتى هدأت الأوضاع واستقرت الأحوال ، وفي حفل جميل قدم الملك الجوهرة الخضراء هدية لهزبر من أجل عروسه جؤذر بنت سالم ، وقد أهدى الملك علي خان العقد الثمين للفارس ثعلبون ، ووهب جبل الهدايا الذهبية من الأمراء والفرسان الكبار ، ومكثوا أياما يسيرة بعد هذه الحفلة ، ثم غادروا الهند ظافرين بما جاءوا من أجله .



مـقتـل الفـارس

ترك الفرسان الهند فائزين ظافرين بالجوهرة الخضراء والعقد اللؤلؤي ذي الحب الصغير ، وكان يبدو لهم أن أمر العودة ميسور وسهل ، ولكنهم قبل أن يصلوا المدينة المغلقة ، وبينما هم يجتازون إحدى الغابات عرضت لهم عصابة كبيرة ، فحدثت بينهم معركة قوية ، ولما أدرك المهاجمون شدة الفرسان اختفوا داخل الأدغال ، فقال جبل : أرى أن الأمر يحتاج منا للحذر ، وعلينا أن ندور من حول المدينة المغلقة ونقطع الجبال والوديان حتى نصل مدينة الجبال العالية ونستريح فيها بعض الوقت .

فتركوا المدينة المغلقة فلم يدخلوها والتفوا من حولها قاصدين بلاد الأمير قوس ، ووصلوها بعد جهد وتعب شديد ، فاحتفل بهم الأمير وهنأهم بالسلامة ، ونقلوا له تحيات صديقه شهرون ، ومكثوا في ضيافته يومين التقوا فيهما بالشيخ خليل ، ونقلوا له سلام صديقه التاجر الهندي محسن ، فلما أخذت الجياد راحتها وتزودوا بالقوت تحركوا نحو بلاد الملك شراب ، وقبل الوصول إليها أدركهم الليل في إحدى القرى ، فنزلوا على شيخ القرية ضيوفا ، فرحب بهم وأنزلهم في دار الأضياف ، وهنا جرى لهم ومعهم حدث رهيب ، فبينما هم نائمون في غرفة الضيوف يستريحون من تعب الطريق بعد أن نالوا قسطا من طعام أهل القرية ، وقبل بزوغ الفجر سمع جبل صوت صهيل الخيل في الاصطبل ، وكان صهيلا مزعجا كأن الخيول تموت .

فأيقظ على الفور صاحبيه ، واستلوا سيوفهم من أغمادها وفتحوا باب الحجرة ؛ فإذا صحن الدار ممتلئ بالرجال ، وشيخ القرية يقول : إنهم هنا أيها الناس .. دعوني فأنا لا أعرفهم ..هم نزلوا علينا ضيوفا عابري سبيل .

فصاح جبل : دعوا الرجل .. من أنتم وماذا تريدون ؟!

فقال زعيم اللصوص : أيها الفرسان .. إنني أطاردكم منذ خرجتم من بلاد الهند .. أنا الزعيم المشهور " شمراخا "زعيم العفاريت والشياطين .. لقد علمت أنكم حصلتم على جوهرة

حسن خان وعقد علي خان .. أريدهما حالا .. لقد اعترضكم رجالي في أول الدرب ولكنهم فشلوا فتبعتكم بنفسي .. هاتوا هذه الأشياء أدع لكم أرواحكم ..واعلموا أن معي مائة بطل لا أظنكم تنتصرون عليهم .

فقال جبل : ولماذا تريدهما ؟!

فقهقه الرجل حتى شبع ثم قال : أتريدون أن تعرفوا أيها الفرسان ؟

فقال جبل : نعم ..ولماذا طاردتنا كل هذه الأيام ؟! فقط لتأخذهما .. بل لماذا لم تأخذهما من الملكين نفسيهما ..بدل أن أتعبت نفسك ورجالك بمطاردتنا يا شمراخا ؟!

عاد شمراخا للضحك الشديد مرة أخرى وقال : معك حق أيها الفارس ..السبب أنني ابن أخ الملك حسن .. فحسن خان عمي .. وهذه الجوهرة كانت لأبي ، فأخذها عمي من أبي رغم أنفه .. وقد طالبه أبي بها فرفض ، ثم تخلص من أبي حتى مات مقهورا ، فثرت عليه فحبسني فهربت من السجن ، فأمسيت مجرما قاتلا أبات في الجبال والمغارات المظلمة كالوحوش .. ثم رغبت بالزواج من فتاة جميلة ، فطلبت الجوهرة الخضراء مهرا ، فطلبت الجوهرة من عمي وأعلنت توبتي فحقرني وأذلني ، فأقسمت أن أملك هذه الجوهرة ، وماتت تلك الحسناء على يدي هاتين ـ وقبض على يديه وضغط عليهما بقوة ـ مقتولة لما أصرت على ذلك المهر .. إلى أن علمت أنكم حضرتم لبلادنا وحصلتم على تلك الهبات ، ورحلتم بها فصممت على الحصول عليها .. فهذا سبب مطاردتي لكم .

فقال ثعلبون : أنت قلت إن المرأة التي عشقتها قد ماتت فلم يعد بك حاجة لتلك الجوهرة .

فقال شمراخا بغضب : سأدفنها معها لعلها تسامحيني .. لا تكثروا الجدل .

تراجع الفرسان لداخل الغرفة وأغلقوا الباب خلفهم ، وطالب جبل بخلع النافذة والقفز للشارع ، فالشارع أوسع للقتال من البيت ، وفي حركات سريعة كان الفرسان يصارعون رجال شمراخا في الشارع ، فكانت مبارزات شيقة ثلاثة أبطال يقارعون مائة رجل ، وفزع أهل القرية على صياح الفرسان وصراخ الجرحى ، ولما تبين للناس الظالم من المظلوم صاح

الناس : أيها الناس .. إنهم ضيوفنا قاتلوا معهم .

فتحمس الناس للهتاف ، فأخذوا بقذف اللصوص بالحجارة والتراب ، وازداد حماس الناس مع شجاعة الفرسان الثلاثة ، وأمام هذه التطورات أمر الزعيم رجاله بالمغادرة والابتعاد وهو يعض على أنامله من الغيظ ، فسحبوا جرحاهم وتركوا قتلاهم ، وكان شيخ القرية ما زال بين يدي الزعيم كالرهينة ، فحذرهم جبل من أخذ الرجل معهم ، ولكنهم لم يكترثوا لتهديد الفارس ولا حتى إلى قسمه الذي أقسم فيه أن يبديهم عن بكرة أبيهم إذا لم يتركوا الشيخ ، بل لما ركبوا خيولهم وابتعدوا قليلا قتلوا شيخ القرية أمام أعينهم انتقاما من أهل القرية ، وانطلقوا مبتعدين نحو الجبال ، فندم أهل القرية على حشر أنفسهم في أمر لا يعنيهم ، فواسهم الفرسان وأقسموا أمامهم بالثأر لقتيلهم ، وأنهم لن يغادروا القرية حتى ينتقموا لهم .. واندفعوا نحو اصطبل بيت الاضياف ليركبوا جيادهم لمطاردة العصابة ؛ ولكنهم للأسف قد وجدوها مقتولة فأسفوا عليها أشد الأسف ، فقال جبل لأهل القرية : أعندكم خيل ؟

فرد أحد الناس قائلا : لا يا سيدي الفارس لا خيل في هذه القرية .

فقال جبل :كم تبعد عنكم مدينة الملك شراب ؟

فأجاب الرجل : نصف نهار .

فعاد جبل يسأل فقال : ألديكم حمار أو بغل ؟

فقال الرجل : لدينا حمار .

فقال جبل الغاضب : علينا به ؛ ليذهب أحدنا للمدينة لشراء ثلاثة جياد ؛ لنطارد هؤلاء المجرمين ، ويبقى معكم اثنان لحمايتكم وبث الطمأنينة في نفوسكم .

وتشاور الفرسان عندما مشى بعض الناس لجلب الحمار ، فقال هزبر : أنا أسير للمدينة فلا أحد يعرفني فيها إلا كاتب الوزير .

فقال جبل : امش على بركة الله .

فلما أحضر القروي حماره ، ركبه هزبر وسار جهة المدينة لشراء الجياد .. وأحضر الناس

للفارسين لبن الماعز ليشربوه .

ومضى النهار كله وهبط الظلام والفارس هزبر لم يعد للقرية ، فتسرب القلق والخوف لقلبي الفارسين ، وأمضيا الليل حول موقد النار وما ظهر هزبر ، ولما استيقظ الناس فجرا أقبل نحوهما رجل يصيح " إن جثة الفارس معلقة على شجرة في مدخل القرية الغربي ".. فتجمدت أقدام الفارسين وهما يسمعان النبأ ، وبعد حين هرع الفارسان ومن كان معهما ساهرا إلى مدخل القرية ، وعلى شجرة هناك كانت جثة هزبر معلقة تتأرجح في الهواء الطلق ، ففقد جبل صوابه وهو يحل الجثة ويهبط بها على الأرض ، وأغمي على ثعلبون لهذا المنظر المرعب ومن هول الحقيقة والصدمة ، واسترجع الفارس جبل وعانق الصديق الميت ، وبكى الفارسان عليه بكاء الثكالى ، وطفقا يناجيانه وهم في حزن وهم شديد ، ثم وارياه التراب ،



وحلف بالله جبل بأنه لن يرحم لصا أو قاطع طريق بعد هذا اليوم .. وأدرك الفارسان أيضا أن المجرم مصمم ومصر على سلب الجوهرة ليدفنها في قبر محبوبته المقتولة ، وتوقع جبل منهم هجوما على القرية ، فرسم خطة للثأر والانتقام ، ولكن قبل أن نتابع معكم نهاية هؤلاء اللصوص ، نبين لك أيها القارئ العزيز كيف قتل هؤلاء المجرمون أحد أبطال هذه الحكاية ؟! وهو الفارس الشجاع هزبر ، فلقد قتل هذا البطل بعدما خاض الفرسان معركة ضارية فجر أمس كما تعلمون ، وقد أنهكت هذه المعركة الفرسان ، وركب هزبر الحمار متجها للمدينة لشراء الجياد لمطاردة العصابة والقصاص لشيخ القرية القتيل ، فكان يسير هزبر وحده وكان شمراخا قد أمر بعض رجاله بمراقبة تحركات الفرسان ، فلما شاهده الراصدون أخبروا زعيمهم ، فأمر بعضهم بمتابعته ، ولما أخبروه أنه متجه للمدينة ، خشي الزعيم أن يكون ذاهبا لطلب نجدة ، فترك بعض رجاله لمراقبة القرية خفية ، وأسرع خلف هزبر بباقي الرجال ، فما

شعر الفارس إلا وهم يحيطون به ، وقد قفزوا عن خيولهم ، فحدثت معركة نادرة ، فارس واحد يقابله عشرات اللصوص ، واستبسل الفارس بالدفاع عن نفسه ، ولكن الكثرة قد غلبت الشجاعة ، فقتل هزبر مضرجا بدمائه على أيدي هؤلاء اللصوص ، وانتهت حياة هذا الفارس ، وأمرهم الزعيم بقتل الحمار حتى لا يعود للقرية بعد أن نقلوا جثة البطل عليه ، وفي الليل طلب منهم الزعيم التسلل لمدخل القرية لتعليق جسد الفارس على شجرة في مدخل القرية .

أدرك جبل أن مداخل القرية المعتادة مراقبة من رجال العصابة ..فلما أشتد الظلام على القرية تسلل الفارسان من طريق غير مطروق نحو مدينة الملك شراب سيرا على الأقدام ، وفي حذر شديد حصلوا على جوادين قويين عن طريق صاحبهم أحمد بن طارق كاتب الوزير ، وما أشرقت الشمس حتى كانا في القرية ، ووجدا حال القرية يرثى له ، فلقد داهمها المجرمون مرة أخرى عند الفجر ، وعاثوا فيها فسادا وأحرقوا بعض البيوت ليرغموهم على طرد الفارسين ، فدار جبل وثعلبون ومن تبعهم من الرجال حول القرية يبحثون عن وكر اللصوص والقتلة ، فلمحوا رجلا يركض نحو الجبل أمامهم ، فهمز جبل جواده وانطلق خلفه ، فأدركه وهو يصعد الجبل ، فقفز عن الجواد وأمسك به فتدحرجا على الأرض قليلا ثم توقفا ، ووضع جبل الخنجر على عنقه وهو يقول بحدة : أين قومك أيها الحقير ؟

فأشار الرجل إلى الجبل ، فلما وصل إليه ثعلبون والناس ربط يديه من الخلف ، وأمره أن يسير أمامهم ، واعتلى جبل جواده ، فمشى الرجل أمامهم معتقدا أن العصابة إذا شاهدوه خلصوه ، فلما رأى المجرمون أن جبلا وثعلبون وعددا من أهل القرية صاعدون إليهم أمرهم الزعيم بالهجوم ، فبدأوا ينحدرون تباعا جهة الفارسين ، فقتل جبل الأسير سريعا ، وتلقى المجرمين برمحه قبل أن يتجمعوا حولهم ، ولم تمض ساعة من الزمان حتى كان أكثرهم بين قتيل وجريح فجبل عندما يعتلي صهوة الجواد فارس لا يشق له غبار ، ثم صعد الجبل ومعه ثعلبون حيث اتخذت العصابة وكرا وفتكوا بمن وجدوه فتكا ذريعا ، ولم يبق منهم حيا إلا الزعيم ، وقد

قبض عليه جبل وحمله بين يديه كالفرخ أو الحمل وألقاه يتدحرج على صفحة الجبل ثم تبعه ـ وقد أمر ثعلبون والأهالي بالفتك بجميع الجرحى من غير رحمة ولا هوادة ـ فأدركه في بطن الوادي يئن ويصيح من الألم ، ولما انتقم أهل القرية من كل المجرمين ، قاد جبل شمراخا إلى القرية وعند الشجرة التي علق عليها هزبر علقه جبل حيا أو قل فيه بقية الروح ، ثم سفك دمه بيده ، ثم أمر أهل القرية بدفن جثث القتلى حتى لا تفزع الوحوش على رائحتها ، وقضوا أياما في القرية حتى اطمأنوا على الناس من بقايا العصابة ، وقد ذرفوا خلالها الدمع الغزاز على صديقهم الفارس البطل هزبر ، ثم لملموا خيول العصابة وأموالهم من سيوف وخناجر ووزعوها على أهل القرية حتى هدأت نفوس الناس بعد هذه الأحداث المثيرة ، وكتب جبل رسالة لكاتب الوزير شرح له فيها الأحداث ويوصيه على أهل القرية وبمساعدتهم عند الضرورة وفي حالة تعرضهم لمن نجا من رجال العصابة ، واعتذروا له عن عدم دخولهم المدينة خشية الوقوع بين يدي الأميرة ضميرة التي هرب جبل من قصرها .



ضيغم السجين

حل الفارسان ضيفين على الوزير أبي المعالي ، وفرح بلقائهم ، وحزن على مقتل الفارس هزبر وعزاهم أحر العزاء ، وبين لهم أن سياسة الملك شراب نحوهم قد تحسنت بعد لقائهم بكاتب الوزير ، واستراحوا عنده بضعة أيام ، ثم ودعوه منطلقين إلى بلاد التين فدخلوها فأمضوا ليلتهم الأولى بفندق ، وعند الضحى اتجهوا لقصر وديوان الملك جبرون الذي سر سرورا لا يوصف عند رؤيتهم وبعودتهم ، فحمد الله على رؤيتهم ثانية ، وهنأهم الأمراء والقادة على سلامتهم ، وفي عيونهم سؤال " أين هزبر ؟!" فقد لاحظوا غياب الفارس هزبر ، ولكنهم لا يجرئون على السؤال لمَ لمحوه من الحزن المخيم على ووجوههم ، ثم تجاسر الملك المتهيب فقال : أيها الفرسان إني ألمح الحزن يرتسم على وجوهكم .. وإني لأستحي أن أسأل ؛ فإن قلبي يحدثني بمصاب كبير أصابكم .. أين هزبر البطل ؟!

فتساقطت الدمعة المتجمدة في عيون الفارسين ، وسالت الدموع وارتفع النشيج ، وبكى الفارسان بكاء غزيرا ، فذرفت دموع كل من كان في المجلس تأثرا ببكاء الفارسين ، وأدركوا أن الفارس قد مات ، فترحموا عليه وتأسفوا لمهلكه ، واختصر لهم جبل الرحلة الطويلة التي امتدت أكثر من سنة ، وبعد أن انتهى جبل من رواية الرحلة ومقتل الفارس هزبر أثناء العودة وبعد الظفر بالجوهرة ، دفع رسالة للملك من حسن خان ، ووضع الجوهرة الخضراء والعقد اللؤلؤي أمام الملك على مائدة صغيرة ، فانشغل الملك جبرون بقراءة رسالة ملك الهند التي تؤكد وصول الفرسان لبلاده ومشاركتهم في حروب ممالك الهند ، وفيها الثناء العظيم على الفرسان الثلاثة وشجاعتهم ، ويبارك لهم بهبته لهم بالجوهرة والعقد ، وتمنيه لهم السعادة بزوجاتهم ، ولما انتهى الملك من قراءة الخطاب الطويل أبدى الملك ثناءه على جبل وثعلبون وترحم كثيرا على الفارس هزبر وقال : لقد خسرنا فارسا عملاقا .. ولكن الموت مشيئة مالك الأرواح والأجساد ..والصبر محمدة عند الشدائد .. ورحم الله الفارس هزبر رحمة واسعة !

ثم تأمل الملك الجوهرة والعقد ، ثم قدمها للأمير سالم الذي ما زال الدمع في عينيه ثم قال

للملك : إنها ساعة ضعف عندما استسلمت لأفكار البنات !

فقال الملك : خذهما أيها القائد .. إنها مشيئة الرب ، ولا مفر من قدر الله وأمره .. إنا لله وإنا إليه راجعون .

وأمام إصرار الملك تناول القائد سالم بن قنبرة الهدايا وهتف قائلا : مولاي الملك .. إن صاحب الجوهرة قد هلك .. فليس لنا إلا العقد .

فقال جبل بحزم : معذرة أيها الملك وأيها السادة ! هما للبنتين .. واعلموا أيها السادة أننا لن نأخذ هذه الهدايا فهن هدايا للبنتين .. وقد طلب مني صديقي ثعلبون يا مولاي الملك أن اعتذر لكم عن هذا الزواج .

فاستغرب القوم فقال ثعلبون : أقسمت أن لا آخذ هذه العطايا أيها السادة العظام ، وإنني أعتقد بعد مقتل صديقي العزيز لا أستطيع إسعاد الأميرة .. ولا أحب أن أظلمها بصحبتي .. فهل ترضون لي كلما أرى الأميرة أن أتذكر أخي هزبرا ؟! فهو صديقي وأخي منذ الطفولة المبكرة .. ولا أحب الظلم للفتاة ولا لنفسي .

وأجهش الفارس بالبكاء من جديد .

فقال الملك جبرون وقد اقتنع بكلام ثعلبون واعتذاره فرد : لا بأس عليك أيها الفارس سننظر في اعتذارك .. الأيام دواء للجراح وللآلام .. وهزبر لا شك أنه عزيز عليك أكثر منا ، ولا يمكن نسيانه بين عشية وضحاها .. إيه يا ولدي ! كم فقدنا في هذه الحروب من الأحبة والأبناء والاخوة ؟!.

وأصدر الملك أمرا بمنح الفارسين قصرا بالأثاث والخدم ، فلزم الفارسان المنزل الذي وهبهما إياه الملك ، وكان يقوم على خدمتهم غلام وجارية ، ولما استيقظا من نومهما آخر النهار من ذلك اليوم الذي التقوا به بالملك جبرون ورجاله وجدا أن الخدم قد أعدوا لهما الطعام ، فأكلا ما قسم الله لهما ، وأرسل الأمير جبل الغلام إلى قصر سالم بن قنبرة يسأل عن صديقيه ضيغم وجدار .

فأتاه الغلام بأخبار مزعجة ، وهي أن الأمير سالم قد أمر بحبس ضيغم منذ شهور في سجن المدينة ، وأما جدار فهو في زيارة لأمه في بلاد العقرب ، فانزعج جبل وثعلبون لحبس ضيغم ، واستفسرا من الغلام عن سبب رميه بالحبس ، فقال الغلام : الصواب لا أعلمه ؛ ولكن صديقي "رمح" أحد غلمان القائد سالم أسر لي بكلام قد يكون هو الحق !

فقال جبل : أخبرنا ما قال لك رمح هات ما عندك .. أسمعنا أيها الغلام الذكي ؟

فقال الغلام بصوت منخفض : أخبرني رمح صاحبي – وهو خادم الأميرة الصغيرة ابنة القائد سالم – قال لي : إن ابنة الأمير تعشق الشاب ضيغما ، وإنها كانت تلتقي به سرا .. وعرفت الأم بالأمر من الفتاة التي كاشفتها بذلك ، وأبدت لها رغبتها بالزواج منه .. فرفضت أمها وغضبت منها ومن الغلام ضيغم ، وكشفت الأمر للأب ، فرمى به في السجن .. هذه هي القصة التي أسرها لي رمح ، بل طلب مني إخبارك بها يا سيدي الفارس .

فقال جبل مفكرا بما سمع : أحسنت يا غلام ! .. أبلغ صاحبك رمح هذا أنني راغب بلقائه فأتنا به .

رد الغلام بحماس : غدا ليلا سيكون عندك يا سيدي الفارس .. فهو لا يستطيع في النهار مغادرة القصر .

ولما غادرهم الغلام قال جبل لثعلبون : لم يخبرني ضيغم بهذا الهوى ؟!

فقال ثعلبون باسما : لا تنسى يا صاحبي أنه لنا أكثر من سنة خارج البلاد .

قال جبل : صدقت يا ثعلبون .. حب حدث بعد رحلينا .

فقال ثعلبون : المهم أن لا يكون الشاب قد تعلق قلبه بالفتاة ، فمن الصعب والشاق أن يتم هذا الزواج ، فلا أظن أن الملك جبرون يرفض شفاعتنا فيه ويخرجه من الحبس ، ولا حتى الأمير ابن قنبرة نفسه .

قال جبل : هو ما تقول .. المهم أن لا يكون المسكين أحب الآنسة ..فإني أحببت هذا الشاب منذ رأيته أول يوم في قصر الأمير سالم .. وهو يبادلني هذه العاطفة النبيلة يا صديقي ! وكأننا

أصدقاء منذ عهد بعيد .. ثم سكت لحظات وتابع قائلا : واعلم أيها الصديق أن هذا الشاب إذا تبين لي حبه لابنة ذلك القائد سأساعده .. وسنعلم مدى وفاء هؤلاء القوم لنا .

فقال ثعلبون متضاحكا : قد يوافق سالم هذا ويشترط عليه مهرا يورده المهالك كما اشترط علينا .

فقال جبل : معك حق !!.. ولكن يبدو لي من كلام رمح لغلامنا أن الفتاة نفسها تعشق الفتى فلن تفعل ما فعلت أختاها .

فقال ثعلبون بعدما تنهد بعمق : رحمك الله يا هزبر ! ..ما كان له رغبة بالارتباط بامرأة ؛ ولكني ضغطت عليه رغبة بالاستقرار في هذه البلاد وحياء من الملك جبرون الذي كان يلح علينا بهذا المطلب ..لا إله إلا الله .

فتـنهد الفارس أيضا وهو يقول : لا إله إلا الله .. رحمك الله يا هزبر ! لقد كان نعم الصديق والأخ .. ونعم البطل بين الأبطال .. آه ! كم كنت أطرب لضرباته وصولاته وزعقاته في القتال .. آه ! ولكن الموت نهاية كل حي يتنفس فوق الثرى .

قال ثعلبون كأنه حالم : أذكر البداية يا جبل ! عندما كنا في مدينة الدب ندب على أرضها معا ، وعندما أذهب معه إلى الحقول التي يملكها والده ..ونأكل من ثمارها ونشرب من ماء بئرها .. ولقد رأيتنا نبكي على تلك الرياض الجميلة بعد أن دخلتها جيوش الضبع الوحش الضاري .. فجعلتها خرابا ، وقتل والد هزبر أثناء الاجتياح الوحشي لبلدنا الهادئ الوديع .. لقد كنا فتية صغارا ..آه .. كم كرهنا الغزاة وحقدنا عليهم ؟! .. مات أبوه مقتولا بأيديهم ..وقتل أبي بعده بقليل .. فأمسينا أيتاما ، وكبرنا وكبر الحقد معنا .. ولكن لا حول لنا ولا قوة .. ثم التقينا بك عندما كنت تتمرن في القلعة ، وجندتنا للعمل والتدرب مع رجال الحامية – ضحك وقال – لنكون من جنودهم ، ولكن سبحان الله غدروا بمجدو الساحر صانع الخبز وأشهر خباز ببلاد الدب ..حزنّا للغدر الذي أصابه ! وكم سعدنا لغضبك وبغضك وحقدك عليهم ؟! وعادت بنا الذكريات لسنوات اليتم الأولى .. لقد كان الانتقام حلمنا الأكبر كم

ملئت نفوسنا فرحا وحبورا وغبطة ونحن نقارع رجال الضبع ؟! ..وكم تعجبنا من الأقدار عندما صرنا سادة المدينة ؟! .. وعجبنا من نبلك وشجاعتك عندما خلعت نفسك عن الحكم بعد أن أصبحت السيد الكبير في البلاد !.. فازداد حبنا لك يا جبل ! فصرت لنا الأخ والأب والصديق والسيد .. وكم فتنت بك وأنت تصرع السبع العادي ورجاله لجرحهم لهزبر ؟! .. أوه !!..حظه مع اللصوص سيئ ! .. لقد كان عملك يومها سريعا وجريئا لا تعطي الخصم فرصة للحوار والمجادلة .. ذكريات كثيرة تتراءى لي أيها الفارس منذ مقتل هزبر .

فقال جبل متذاكرا تلك الصور الماضية : أيام أمضيناها معا ..لنا ما يزيد عن عشر سنوات في هذه الأهوال ..كم من الدنيا رأينا !..كم من مدينة تركنا فيها ذكر فروسية لم نكن نحلم بها ؟ ولكن خسارتنا بهزبر كانت فظيعة !!

كانت الدموع تتساقط مع كل ذكرى وموقف حتى استسلموا للنوم من جديد ، وما استيقظا من نومهما إلا على صوت الغلام وهو يعلمهما بمجيء زائرين ؛ فإذا هم مجموعة من فرسان الملك والأمراء قدموا لتعزيتهم .. ومضى النهار وهما يستقبلان ويودعان الأصدقاء ورجال الحكم ، ولما سكنت الأنفاس ورقد الناس على فرشهم ، ولم يعد يسمع إلا صوت نباح كلب ونهيق حمار ، دخل رمح غلام القائد سالم حجرة الفارسين ، فرحبا به ، وأزالا عن نفسه الخوف والرهبة ثم قال له جبل : أخبرنا يا رمح عن القصة بتفاصيلها دون أن تخفي عنا شيئا حتى نستطيع أن نخدم صديقنا ضيغما ؟

فقال رمح : أشكركما !.. فضيغم صديقي كما هو صديقكم ..فمنذ أن دخل القصر وعمل معنا في الخدمة الداخلية ونحن نحبه ، ولقد كان محسنا متقنا لعمله ، ولم يطلب منه شيء إلا نفذه على خير ما يرام ..ولقد كان من ضمن عمله أن يسمح له بالدخول إلى مساكن النساء ، يدخل على الأم الكبيرة زوجة الأمير ، وعلى أخواته وقريباته ، وكذلك على بناته ، وهو شاب مهذب خجول ، ومن ثم وسيم فارع الطول ، وقد نال رضا نساء القصر يا سيدي .. ومضت الأيام هادئه حتى أصبح ضيغم يدخل ويخرج كما يشاء .. فكان من سوء حظه أن الأميرة

الصغيرة ابنة القائد الأميرة " ريم " وقعت في هواه وعشقته ، وهذا علمته من جارية لها أطمع بأن أتزوجها كما وعدتني سيدتي زوجة الأمير سالم .. أحبت الفتاة الصغرى ضيغما المسكين الغافل عن هذا الحب .. وبدأت تهتم به وتثيره ، وهو في غفلة من أمرها ولا يعيرها أدنى اهتمام للبون الشاسع بينهما .. عبد وإن كان حرا وابنة قائد من كبار قادة الملك جبرون .. لم تصبر الصبية على تجاهله فصارحته بحبها له .. فاعتذر لها الشاب أشد الاعتذار عن هذا الغرام .. وظن أنها قبلت عذره وتابع عمله كالمعتاد ، ولكنه في النهاية استسلم للهوى وتناسى الفارق الطبقي بينهما ، وهذا حدث وأنتم خارج البلاد ، فأصبحا عاشقين ويخلوان معا ، ولا يعلم بسرهما إلا جاريتها الخاصة .. ولكن الأمر خطير بالنسبة لضيغم فطلب منها أن تساعده في الوصول لحل ، فاعترفت لأمها فغضبت عليها وكرهت الشاب وأبعدته عن قصر النساء ، وأمام إصرار الفتاة على الاقتران بالفتى المعشوق كشفت الأم القصة للقائد فغضب غضبا شديدا من وقاحة ابنته ، وأمر بحبس ضيغم في السجن لتقطع الأمل منه .. فهو فيه منذ شهور أربعة ، ولما علمت الفتاة بعودتكم من بلاد الهنود ، طلبت مني أن أروي لكم القصة .. فضيغم صديقكم لتساعدوه وتخرجوه من أعماق السجن .

قال جبل متأسفا وراثيا : مسكين حقا يا ضيغم !..بل مسكين الضعيف في هذه الدنيا ! .. لقد تطاول على الأسياد .. كيف يهوى العبد أو الغلام الحر الأميرة أو الآنسة من بنات هؤلاء القادة والأمراء ؟! .. وإن بحثت ودققت يا ثعلبون في جذور هذه الأسر لوجدتها قد كانت أسرا معدومة ، وربما كانت رقيقا في يوم من الأيام الماضية .

فقال ثعلبون : هكذا الدنيا أيها الصديق !.

فقال جبل : أتذكر مدينة الجبال العالية يا أبا الوفاء ؟

رد ثعلبون فقال : نعم ، أذكر .. مدينة الأسود !

فقال جبل : أتذكر يوم الأسود وصراع أبناء الطبقة الفقيرة للأسود ؛ ليصبحوا نبلاءويتزوجوا بنات النبلاء ؟ أرأيت كم تفتك الأسود بهؤلاء الشباب ؟! ولكنهم يصرون

على مقاتلتها .. إنها فكرة قاسية ؛ ولكنها وسيلة لتحقيق تطلعات الطبقات الكادحة الفقيرة لرغبتهم في العلو والسمو كباقي بني الإنسان!

فقال ثعلبون : معك حق فكرة ذكية من ملوك تلك البلاد .. ماذا سنفعل لهذا المسكين ؟! .. فليس هنا أسود ليصارعها ضيغم ليصير نبيلا .

فقال جبل : يا رمح .. أترغب سيدتك فعلا بالزواج من الشاب الوضيع ضيغم ؟!

ـ إنها يا سيدي منذ حبس ضيغم لا تأكل إلا البلغة ، ولا تخرج للبساتين كعادتها الأولى بل هي منزوية في حجرتها ، وقد أصابها الوهن .. فهي ترغب رغبة أكيدة بالاقتران بذلك الشاب النبيل .

فقال جبل : قل لها لتهتم بصحتها وتخرج للبساتين ولتصبر ، وقل لها إن الفارسين جبلا وثعلبون يسعيان في أمرهما بإذن الله ، فعليها بالصبر والتحمل حتى يقضي الله أمرا كان مفعولا فسر رمح مم سمع وانطلق مسرعا نحو قصر القائد سالم ، فوجد الأميرة الصغيرة في انتظاره فقص عليها ما جرى ، ثم ذهب لفراشه حيث يرقد فنام .



زار الملك جبرون وبعض قادته الكبار الفارسين في قصرهما ، وقدموا له التعزية والمواساة ، وأخبرهما الملك أنه ذبح ألف خروف صدقة عن الفارس هزبر ، وأمر بتوزيعها على الفقراء والأيتام والأرامل ، فشكره الفارسان على تعاطفه وجوده ، ثم أثنى الملك وقادته على الفرسان الثلاثة ، وأعادوا ذكر كثير من محاسن الفارس الميت ، وانتقل الحديث أن الحزن على الأموات مهما ارتفع حبهم لهم ، فعلى الإنسان أن يهتم بالحياة وعمارة الكون ، فشكر جبل الملك على وده

وصداقته ومحبته ثم قال جبل : يا مولاي .. وأنا في بلاد الملوك العظام التي يحكمها في هذا الزمان الملك شراب التقينا برجل يعرفك حق المعرفة يدعى أحمد بن طارق .. وقد خدمنا خدمة جليلة ، وهو يعمل كاتبا للوزير هناك ، وأرسل لك سلاما وأشواقا .

فقال الملك محاولا التذكر هيئة وذات الاسم المذكور : وعليكم وعليه السلام .. ولكن من هو أحمد بن طارق هذا ؟! وردد الاسم مرارا ، ثم قال : قلت يعمل كاتبا للوزير ، عمره كم يا ترى ؟!

فقال جبل مؤكدا ما نقل : هو يعرفك حق المعرفة وقال " إنه لك صديق منذ عهد قديم وهو من عمرك كما أرى "

وأخذ الملك جبرون يتذكر ويتذكر حتى تذكر فقال : نعم ، نعم ، تذكرت من هو صاحب هذا الاسم ؟! نعم ، هو من أصدقاء الطفولة .. أبوه طارق بن بدر .. هذا رجل كان من فرسان أبي منذ عهد بعيد ، وكان له ولد يدعى أحمد .. وقد جرى بين طارق هذا وفارس آخر من فرسان أبي – رحمه الله – شجارا كبيرا ، أصلح بينهم الملك الوالد ، وأمر والدي بنفي طارق هذا من البلاد .. فخرج هو وأسرته وبعض أقاربه من البلاد ، ويبدو من كلامك أنه استقر في تلك المدينة ، ومنذ ذلك العهد لم نعد نراهم أو نسمع أخبارهم .

رد الفارس فقال : هو ما تقول أيها الملك !.. ولما علم أننا من أصحابك ورجالك ساعدنا وأخرجنا من ضيق قد ألم بنا في تلك المدينة ، والحق أنه رجل عنده وفاء !

فقال الملك : جزاه الله خيرا .. أرجو أن أراكما في ديوان الحكم غدا كفاكم حزنا .

فقال جبل : سوف نفعل يا مولانا الملك ؛ ولكن لي طلب عند مولانا الملك .

فقال الملك متبسما : طلبك نافذ قبل أن أسمعه .

فقال جبل بخجل : بوركت يا مولاي ! ولكني أحللتك مما قلت حتى تسمع طلبي .

ضحك الملك وقال : قل ما هو طلبك الذي أحللتني منه ؟!

قال جبل : لي صديق يوم أن كنت خادما سائسا في قصر سيدي القائد سالم بن قنبرة ، فلما

عدت من رحلتي وجدته طريح الحبس والقيد ، وفي نظري ما فعل ذنبا كبيرا ليقذف به في السجن .

فدهش الملك وقال : كيف ذلك ومن هو ؟!

فقال الفارس بهدوئه المعهود : صديقي ضيغم عشقته - يا مولاي- ابنة القائد الكبير سالم ، فرغبت بالزواج منه ، فرفض الأبوان ولهما الحق في ذلك ؛ ولكن ليس لهما الحق بحبسه كما أظن كان طرده أحكم وأعدل أليس كذلك يا مولانا ؟!

فقال الملك : من ضيغم هذا ؟

رد جبل قائلا : كان معي أسير عندما دخلنا هذه البلدة ، فهو أحد أسرى حربكم مع الضبع . وذكر له بعضا من قصة ضيغم وأسره ، فقال الملك على أثر سماع القصة : أيها الفارس لأني أحبك وأقدرك سأفعل من أجل صاحبك ما أستطيع ، واعلم أن قانون بلادنا يسمح للقادة الكبار بتأديب غلمانهم ومواليهم بالسجن .. سأكلم ابن قنبرة .

فقال جبل متشجعا من تعاطف الملك معه : مولاي !! وما ذنب الشاب إذا تعلقت به الفتاة ؟! وروى للملك ما شاهده في مدينة الجبال العالية ، وحدثه عن نظام الطبقات ومصارعة الأسود ، فوعده الملك بإخراج صاحبه من السجن وقال : أما الزواج فاعلم أني لا أستطيع إرغام أو حتى الطلب من قائدتنا الكبير ذلك .. دع ذلك للأيام .

وخرج الملك من بيت جبل وهو يتمتم لنفسه " له في عنقي دين ، لقد أنقذ ولدي ، وقاتل عدونا ، وخسر صاحبه من أجل فتاة منا ، لابد من العفو عن ضيغم " فلما وصل لديوانه وجد القائد ابن قنبرة جالسا مع الحاضرين فتشفع لديه للغلام ضيغم ، وذلك عن شفاعة الأمير جبل فقال القائد : افعل ما تراه مناسبا يا مولاي .. هو والحق يقال شاب مخلص وخادم طيب ؛ ولكن الفروق التي بيننا تمنعنا من تزويجه بابنتنا ، وحبسته لتقطع الأمل من اللقاء به .

فقال الملك : أنا لا أتحدث عن زواج يا قائدنا هذا شأنك .

فأمر الملك بإخراج ضيغم من السجن ، وإرساله إلى قصر الفارسين جبل وثعلبون

واستقبل الفرسان ضيغما بالعناق والالتزام وهنئوا بعضهم بعضا ، ولما علم الشاب بمقتل هزبر بكى وأسف وأظهر حزنه العميق عليه ، ثم روى لهم قصته مع الأميرة ريم ، فلم تزد على ما قاله رمح وختم اعترافه قائلا : سوف أرحل عن هذه البلاد ؛ لعلي بالبعد أسلوا عن حبي لهذه الفتاة ..فأنا أعرف من أنا ؟ .. وأنا أعرف من هي ؟! .. صدقوني أنني قاومت هذا الغرام بكل قوة ؛ ولكني ضعفت وغلبني الهوى فهمت بها .

فقال جبل متأثرا من ضعف ضيغم : أيها الإنسان .. سأبدأ بتعليمك الفروسية لتصبح منا .. واعلم أنني تأكدت أن الفتاة تحبك وترغب بك بعلا لها .

فقال ضيغم بحسرة وغصة : أعلم هذا يا سيدي ! وأنا أتمنى أن تكون من نصيبي ؛ ولكن كما تلاحظان فإن الأمر ليس سهلا ميسورا .. فالابتعاد خير لي وخير لها .

فقال ثعلبون مازحا : أتصبر على الفراق أيها العاشق ؟

فرد ضيغم وهو يتنهد بعمق وألم : لقد صبرت أكثر من ثلاثة أشهر في السجن ، ولولا تدخلكم لمكثت فيه العمر كله ..من يفكر بي ؟!من يسأل عني ؟ .. فماذا فعلت لي ؟؟ ولكن فكرة تعليمي الفروسية قد ترفع من مقامي في المستقبل عند هؤلاء الناس .

فقال جبل مشجعا : أحسنت .. اصبر قليلا يا ضيغم ! ثم نفارق هذه المدينة سوية .. ولا

تيأس من اللقاء بها في يوم من الأيام ، وسلم الأمر كله لله .

فقال ضيغم : متى يبدأ الدرس الأول يا سيدي الفارس .

قال جبل : صباح الغد إن شاء الله .



ومكث جبل شهورا ثلاثة في بلاد التين بعد عودته من بلاد الهند ، ثم استأذن من الملك بالرحيل ، فتعجب الملك ورجاله من هذا الطلب ، فقال جبل : مولاي ! لا أنسى كرمك وحبك لنا .. واعلم أنني سأبقى جنديا من جنودك أيها الملك ، وعندما أعلم في أي وقت أنك في قتال مع العدو سأكون مع جيشك الباسل .. ولن يهدأ لي بال حتى أتخلص من الضبع فقدر علينا أيها الكرام الترحال بين مدن الدنيا .

وبعد جدل طويل اقتنع الملك بأفكار جبل ، وقال لهم مودعا :اعلموا أيها الفرسان ..أن المنزل سيبقى لكم ، وهو في انتظاركم في أي وقت حللتم فيه هذه المدينة .

وغادر الفرسان بلاد التين ، وقبل المغادرة وصلت لضيغم رسالة من ريم تعده فيها بالصبر والانتظار ، وأنها لن تتزوج إلا منه مهما طال الزمن ، وسار الفرسان نحو البحر الكبير ، وكان جبل يرى أن النصر على الضبع لا يتحقق إلا بهجوم قوي من جهة البحر وهجوم آخر متزامن معه من جهة البر ، وقد سيطرت هذه الفكرة الصعبة على قلب الفارس ، فهو سائر للبحث عن حليف بحري ليغزو به بلاد العقرب ، وقد تفاهم على ذلك مع ملك بلاد التين ، وصل الفرسان إلى مدينة القمر مدينة تقع في الشرق وجنوب بلاد التين ، ومنها مشوا إلى ميناء تابع للمدينة ، واتفقوا مع ربان سفينة كبيرة مسافرا إلى جزيرة النمور بأن يحملهم إليها مع جيادهم

فوافق وقبض أجرته ، وبعد عشرة أيام تجهزت السفينة وأخذت حمولتها من الركاب والبضائع واستعدت للإقلاع ، ولما جلس الفرسان في أماكنهم في جوف السفينة علموا من القبطان أن الوصول لجزيرة النمور يحتاج لسبع ليال في أحوال جوية طبيعية ؛ وإذا ساعدتهم الرياح قد يصلون في خمسة أيام ، وتحركت السفينة الضخمة في هدوء إلى الجزيرة ، واستمتع الفرسان بهذه الرحلة البحرية ، ومضت الرحلة هادئة حتى رست على ساحل جزيرة النمور بسلام ، وهبط الفرسان وعدد من الناس وبعض التجار وصعد آخرون ، وعلم جبل من الربان أن كل نصف شهر ترسو سفينة من بلاد القمر على سواحل جزيرة النمور ، وأخبره أن هناك مراكبا صغيرة تنتقل بين المدينتين ، وبعد استراحة يوم أو أكثر تابعت السفينة سفرها إلى جزائر أخرى ، كانت جزيرة النمور جزيرة واسعة وفيها الجبال والأنهار الصغيرة والغابات ، وعدد سكانها كثير ، ويحكمها ملك كبير في السن لما وجد فيها جبل ورفاقه ، وكان قصره بعضه في البحر ، وأكثره في البر ، والأمن والعدل والهدوء ينعمون بهم أهل تلك الجزيرة ، ويتبع لها عدة جزر صغيرة ، ولا يخلو منزل من منازلها من مركب كبير أو صغير ، فأغلب سكانها يعملون في صيد البحر ، وفي حي قريب من أحد سواحل الجزيرة استأجر الفرسان بيتا واسعا ، ومن ثم اشتروا غلاما وجارية للقيام على خدمتهم ، ولما استقر الفرسان في الجزيرة درسوا أوضاع الجزيرة ، وأخذوا يتعلمون العوم والغطس تحت الماء ، وتملكوا قاربا صغيرا يدخلون به البحر ، وكان جبل في نفس الوقت يتابع تدريب ضيغم ، ويعلمه فنون القتال بالسيف والقفز على الجواد والكر والفر ، ويساعده ثعلبون في ذلك ، ومضت عليهم سنة في الجزيرة وهم ينعمون بالهدوء والحياة المستقرة ، فصار على أثرها ضيغم فارسا من فرسان السيف والسنان ، فقد أتقن فن المبارزة والمطاردة والعوم .

وانتشر فجأة في الجزيرة الهادئة عصابة تعيث في الأرض فسادا ، وقد قتل بعض الناس ، فانزعج الملك الشيخ مروان بن أسد ، فطلب من رئيس شرطته التحرك بسرعة للقضاء على المفسدين ، فقد تكدر الناس لهذه الجرائم الغريبة على أهل الجزيرة المسالمة الوادعة.. فلما

حدثت جريمة أخرى اضطر الحاكم لعزل رئيس الشرطة وتعيين رجل آخر مكانه للقيام بمهمة القضاء على العصابة ، فأعلن الرئيس الجديد مكافأة مجزية لمن يرشد على هؤلاء المجرمين الذين أخلوا بأمن وهدوء الجزيرة ، وانشغلت البلد بهذه الجرائم التي دهمت الجزيرة وكثرت الاشاعات المرعبة ، وبينما القوم منشغلون بذلك الهم احتل جيش من الغزاة أحد سواحل الجزيرة ، فاضطربت البلاد لهذا الحديث ، وأدرك الحاكم ووزيره أن هذه الجرائم دبرت لاشغال الناس عن الجيش الغازي ، وأن هذه العصابات كانت تمهد لنزول واحتلال الساحل من غير أن ينتبه الناس لهم .

فقد هبط ما يزيد عن خمسة آلاف محارب على ساحل البحر في منطقة خالية من السكان والحراسات كانت تحملهم سفن كبيرة ، فذعر أهل الجزيرة للحدث ، فطلب الحاكم من قائد الجيش وحرس السواحل بالاستعداد والتحرك العاجل لميدان القتال لصد الغزاة وطرد الأعداء ، وقبل خروج الجيش جاءت رسالة للحاكم من الملك الغازي يطلب منهم أموالا وأنعاما وعبيدا وإلا الحرب ، وعلى الفور رفض الملك مروان بن أسد مطالب الملك " شهلب " ملك جزيرة النمر الأحمر ، والتقت جيوش الجزيرتين ، وظهر للفرسان الثلاثة الذين يتابعون الأحداث أن جند الجزيرة لا يصلحون للقتال والدفاع عن جزيرتهم ، وأدركوا أنهم لا صبر لديهم على الحرب وويلاتها ، وسوف يرضخون للغاصب ، فقال جبل لرفيقيه : إنها فرصتنا لنتدخل في شأن هذه الجزيرة !!

فذهب لقصر الحاكم مروان وعرض عليه سيفه بجسارة ، ووجدت هذه الجسارة ارتياحا لدى الحاكم ، ووعده الملك خيرا كثيرا إن استطاع دحر العدو ، فصحبهم الوزير لميدان القتال ، فوجدوا أن قائد الجيش قد أرسل وفدا للتفاوض مع الملك شهلب على التسليم والرضوخ لشروطه ومن غير علم الملك ، فغضب الوزير ، وأخبر القائد بعزله ، وأرسل وراء الوفد بالعودة وقطع المفاوضات ، فقال القائد مبررا ضعفه : إنهم أقوى منا ولا قدرة لنا على الاستمرار في الحرب ، فنسالمهم على بعض المال أحسن من أن نخسر الأنفس والأموال كلها !

فلما سمع جبل الفارس الشجاع كلام وتعليل قائد الجيش للمصالحة تدخل بحنق خفيف وقال : أأنت قائد جيش ؟! إني أراك مع عدوك ؟!

وأخبر الوزير قادة الجند بأن الفارس الأمير جبل بن مجدو قد أصبح قائدا للجيش حتى تنتهي هذه المعركة ، فعليهم طاعته وتنفيذ خططه ، فاستغرب الأمراء والقادة لهذا الرجل الغريب ، ولم يروه إلا في هذه اللحظة ، فتابع الوزير قائلا : بعد الانتصار على العدو ستعلمون من هو الفارس المشهور بابن الخباز جبل .

فسخر قائد الجيش المعزول وبعض القادة مما سمعوا وضحكوا وقال : سنرى ما يفعل فارسك أيها الوزير ؟! ..من هو جبل هذا ؟!

فبادر جبل بالكلام فقال بصوت قوي : أيها الرجال ! .. لماذا أنتم جيش ؟ لماذا أنتم قادة ؟ أليس من أهم واجباتكم حماية البلد من العدو والدفاع عن الملك والناس في هذه الجزيرة ؟!.. فالجندي الحقيقي عليه أن يقاتل حتى يموت قائده ورئيسه ، وفي تلك اللحظة إما أن يموت الجندي متأسيا بقائده أو يستسلم ..فهذا ملك غازي يطمع في أموالكم ومتاعكم ، ولن يكف عن غزو بلادكم إن لم يجد صدا ودفاعا قويا .

وأخذ جبل ينفث في روعهم الحماس والاستبسال ويهيجهم على الحرب ، ثم قال في النهاية : من يحب أن يقاتل معي أعداء بلاده فليبق ؟ ..ومن أراد أن ينسحب فليتبع قائد الجيش المعزول ؟ .. فلا أريد أن يبقى معنا إلا من أحب الموت والنصر

فانسحب قائد الجيش وعدد كبير من أعوانه ، ولم تمض ساعة على خطاب جبل حتى خلا الميدان ، ولم يبق مع الفرسان إلا ما يقارب ألف مقاتل ، فقال الوزير : ماذا فعلت أيها الفارس ؟!

قال جبل بحماس وثقة : هؤلاء هم الجنود الحقيقيون أيها الوزير .. فأرسل رجالك إلى المدينة يستصرخون الناس ويناشدونهم من أحب أن يدافع عن نفسه وماله وعرضه فليلحق بالجيش واعلم أيها الوزير لو ظل هؤلاء في الجيش لخذلوه وقت الشدة .

فبعث الوزير مستسلما لارادة جبل مساعديه للمدينة ينفذون طلب الفارس ومناشدة الناس للدفاع عن شرفهم وجزيرتهم ، وفي هذه الأثناء طلب جبل مقابلة الملك شهلب ، فلما التقيا قال له : أيها الملك ماذا تريد من هؤلاء الناس المسالمين ؟!

فرد عليه الملك شهلب : طلبنا بعض الأموال وبعض الخيل والأنعام والعبيد والإماء ؛ فإن رفضتم فلن نغادر الجزيرة هذه قبل أن نأخذ مطالبنا .

فقال جبل : أيها الملك !! ولكن هذا ظلم وجور ، ولا يجوز أكل مال الناس بالباطل .

فقال الملك : هذه مطالبنا .

فقال جبل : ما رأيك أيها الملك بغير ذلك ؟

فقال : تكلم ؟

فقال جبل : إنني اعرف بلادا تسمى بلاد العقرب ، وهي مطلة على ساحل البحر ، وفيها من الأموال والأشياء الكثير الكثير.

فقال شهلب : أتريد أن تصرفني عن بلادكم إلى بلاد بعيدة ؛ لتتخلص مني وتهلكنا ، فهذه حيلة لا تنطلي علينا ادفعوا أو دافعوا ؟

فقال جبل : ولكني سأحارب معكم .. إن ملك تلك المدينة ظالم طاغية لا يعرف الرحمة .. فنحن بمحاربته نخلص الأرض من شره ونكسب أمواله .

فقال شهلب : من أنت ؟!

فقال جبل : أنا أحد الذين صارعوا ذلك الجبار من جهة البر قبل مجيئي لهذه الجزيرة ، ولولا قلة جيشي وحصانة مدينته لحطمته وسحقته ومزقت مملكته تمزيقا . تفوه جبل بكلماته الأخيرة بعنف وشدة وحقد وقوة .

فقال الملك شهلب : دعنا من أفكارك وأحلامك وأحقادك الآن .. فلنتبارز فإن فزت عليّ أفكر بما عرضت عليّ .

فقال جبل : أخشى أن تغضب عليّ إذا فزت عليك .

فقهقه الملك وقال ساخرا : تغلبني أيها الفارس ! أنت لم تعرف يا مغرور شهلب .

فقال جبل : فإن كان ولابد .. فلينزل لي أقوى فرسانكم ؛ فإن انتصر عليّ أقر لك بالغلبة ، وإن هزمته اتفقنا على الصلح .. وإني أرغب بأن نكون أصدقاء .. ونغزو في البحر معا .

فقال شهلب : راق كلامك لي ..وسيبارزك أشجع فرساننا لنرى غرورك .

فركب جبل جواده وأشار لثعلبون بالاقتراب ، وأطلعه على جلية الأمر ليخبر الوزير ، واستدعى الملك أبرع فارس عنده شبورة ، وتناطح الفارسان ، فشبورة من الأبطال المعدودين عند الملك شهلب ، ولكنّ جبلا فارس عنيد ومجرب ، وقد خاض مئات المعارك ؛ لذلك خلال دقائق كان سيف شبورة يفارق يده ، وتطاعنا بالرماح وفي وقت يسير تخلى شبورة عن رمحه ووقع عن جواده ، فقفز جبل عن ظهر جواده وتشابك الفارسان بالأيدي ، ثم بطح جبل خصمه ، ووضع الخنجر على عنقه لحظات ثم تركه ، وهو يقول : معذرة أيها الفارس .. اذهب لمولاك وقل له كيف رأيت طعنات الفارس ؟

وكان الملك يراقب المبارزة فدهش من قوة جبل وسرعة حركته فصاح : اثنان أيها الفارس ؟

فأجابه جبل وهو يرفع يده متحديا : أرسل أربعة .

فأحاط به أربعة فرسان ، فقال لهم : كل من طار سيفه من يده يعتبر مهزوما .. ومن سقط عن حصانه يعتبر مهزوما كذلك..لا أرغب بقتل أي فارس منكم .

فهزوا رؤوسهم بالموافقة ، والتقت السيوف ، فبان للعيان أن جبلا فارس الهيجاء وبطل المعارك المجرب ، وما هي إلا دقائق حتى كان كل فارس يذهب لالتقاط سيفه المحلق في الهواء ، فصاح الملك : عشرة يا جبل ؟!

فقال جبل : عشرة !

فاندفع عشرة فرسان بإشارة من الملك ، فوضح لهم جبل شروط الصراع ، فكان الفارس ضربة واحدة إما أن يطير سيفه في الفضاء أو يقع عن ظهر جواده ، وانتصر البطل على عشرة ، فقال الملك المتعجب والمنبهر من قوة جبل الباهرة : أمثلك كثير ؟!

فأشار جبل لثعلبون أن يتقدم ، فقال ثعلبون للملك بعدما حياه : أنا مستعد لملاقاة فرسانك .

فقال الملك المبهور لفرسانه : أين صروفة ؟

فأجاب صروفة : سيدي !

فأشار له الملك لمبارزة ثعلبون ، وطلب جبل من ثعلبون ألا يقتله أو يجرحه وتبارزا ، وثعلبون لا يقل عن جبل فروسية وخبرة ، ففاز على الفارس بسهولة ، فنزل اثنان فلحقا صاحبهما ، فتحداه عشرة فغلبهم ثعلبون ، فعقدت الدهشة الملك وفرسانه لقوة هذين الفارسين ، فقال لمن حوله : لابد أنهم من الجن !

فقفز الملك عن جواده وتقدم نحو الفارسين مستسلما ومعجبا من بأسهما وعانقهما بحرارة ، فقال جبل : ما ترى يا صاحب التاج ؟

فقال الملك : يجب أن تعلمنا هذه الفنون أيها الشجاع .. إنكم والله من سادة الفرسان ! .. كنت أظن أنه لا يوجد لنا مثيل في الدنيا ..فأنا أقر لكم بالهزيمة .. وهذه أول مرة أشاهد مثلكم في حياتي !

فلقد تركت الشجاعة أثرها على قلب الملك فانجذب للفارسين ثم قال : كيف لم تنتصر على ذلك الملك الذي حدثتني عنه .. الملك الظالم ؟!

قال الفارس : جيوشه كبيرة ، وقلاعه حصينة ومتينة ، فلا يمكن دخلوها إلا من جهة البحر ، ومن أجله جئت لهذه الجزائر أريد جيشا قويا لأغزو به ذلك الملك الطاغية .

فقال الملك شهلب : أمرك غريب ! ولابد من سماع قصتك .. ما العمل الآن ؟

قال جبل : تتصالح الجزيرتان ونذهب إلى الملك مروان وتتحالف الجزيرتان وبعدها نغزو بلاد العقرب فهناك الخيرات الكثيرة والكنوز العجيبة التي يجمعها الضبع بجبروته وظلمه وبطشه

وكان جبل قد أشار للوزير وزير الملك مروان بالمجيء ، وقد لبى نداء جبل فأقبل مسرعا وهمس في أذن جبل : أقبل الناس وهم يحملون المدى والحراب والعصي .

فقال جبل : أرأيت حب الناس لوطنهم ؟!.. على كل حال انتهت الحرب .. وسننظم جيش

البلاد المهلهل الضعيف .. لقد رضي الملك شهلب بالصلح والسلام بين الجزيرتين .

فتقدم الوزير من الملك شهلب وصافحه ، وصافح وزيره ومن معه ، ورحب بهم ضيوفا على البلاد ، فأخذ الناس بالهتاف للفارس جبل والترحيب بالملك الغازي ، وفرح الناس للصلح ، وتقدم وفد مع الملك بصحبة الوزير والفرسان ووجوه أهل المدينة إلى قصر الملك مروان ، وعقد الملكان صلحا بين المدينتين ، واعتذر الملك شهلب عن إساءته لأهل الجزيرة ، وتعهد بدفع ديات الذين قتلهم رجاله والتعويض على من أصابهم ضرر ، ولما تم عقد السلام بينهم ، وهب الملك مروان الفرسان الثلاثة ثلاث جواهر باهرة الجمال والحسن ، وأهدى للملك ورجاله هدايا قيمة ، وصنع لهم وليمة عظيمة ، وبعد أيام ثلاثة غادر الملك الغازي والفرسان بصحبته الجزيرة إلى جزيرة النمر الأحمر ؛ ليضعوا خطة ذكية يحتلون بها مملكة الضبع ، فكانت الخطة هي تكوين جيش قوي من رجال الجزيرتين ، يعدهم الفرسان الثلاثة لخوض حرب قوية مع التحالف التام مع الملك جبرون والملك سليل ، هؤلاء من البحر وأولئك من البر ، ثم قال جبل بعد أن بسط خطته : الخطوة الأولى صناعة عدد من السفن الكبيرة لتحمل الجنود والخيل والطعام ، وصناعة المئات من المراكب المختلفة الأحجام ، وإعداد بحارة محترفون لهذه السفن والمراكب .. ثم تابع فقال : وسأعد عددا من الفرسان ؛ ليقوموا هم بإعداد الفرسان الذين سوف يشاركون في المعركة الفاصلة .. وخلال سنوات ثلاث أو أربع أو خمس تجهز السفن والجنود وتنطلق الحملة الكبرى التي حلمت بها منذ سنوات .. بعد أيام سأعود واتفق مع الملك مروان ، واشرح له تفاصيل الخطة .

وشرح جبل للملك شهلب وحاشيته قصته مع الملك الضبع وبلاد العقرب ، ثم اتفق جبل مع صناع السفن المهرة على صنع سفينة كبيرة كل سنة وما استطاعوا من المراكب ، وذلك في كل جزيرة ، وقام جبل وثعلبون بتدريب مائة فارس في كل جزيرة ؛ ليقوموا هم بدورهم في تدريب وإعداد الفرسان للحملة المطلوبة ، ولما دخل الشتاء طلب جبل من ضيغم بالمسير لبلاد التين وبلاد الدب ليأتيهم بأخبار المدينتين ، فتنكر ضيغم وسافر برفقة غلام لهم .

ضيغم في بلاد الدب

فلنترك جبلا وثعلبون يعدون جيشا بحريا قويا لغزو بلاد العقرب الأحمر ، ونسير مع فارسنا الجديد ضيغم ، ففي أول سفينة سائرة إلى مدينة القمر أخذ ضيغم والغلام مكانا لهما ، وبعد أسبوع وصلوا إليها فاستراحوا فيها يومين آخرين ، ومنها ساروا نحو بلاد التين ، والتقى ضيغم بصاحبه جدار ، ومكثا فيها نصف شهر ، فعلم أن معركة عنيفة حدثت بينهم وبين الضبع ، ثم عادوا للصلح الهش ، وعلم ضيغم أن أحد قادة الملك جبرون قتل في الحرب الأخيرة ، وأن الملك جبرون أقسم على غزو بلاد العقرب مطلع الصيف القادم ، ولم ينس صاحبنا ضيغم غرامه في هذه البلدة ، فاتصل بصديقه رمح ، فعلم منه أن فتاته ما زالت على الوعد والعهد ، ولقد راودته نفسه بالسعي للالتقاء بها ؛ ولكن صاحبه جدار حذره من ذلك الاندفاع خشية الوقوع بين أيديهم ورميه في الحبس من جديد ، وقد وافق جدار على مصاحبته في رحلته لبلاد الدب ، فتخلص جدار من خدمة الأمير سالم ، وقبل الرحيل كتب ضيغم رسالة للأميرة المحبوبة بث فيها أشجانه وأشواقه ، وأنه ما زال على العهد ، ولابد أن تتغير الأحوال والعقبات ، ولابد من اللقاء بمشيئة الله ، وفي يوم مغادرتها دفع جدار الرسالة لرمح ولما قرأت الأميرة الرسالة طلبت من رمح مساعدتها للقائه ، فأخبرها أنه غادر البلد ، فكانت بين الفترة والأخرى وكلما تخلو بأحلامها ونفسها تقرأ الرسالة ، وما خطه العاشق من كلمات الهوى والغرام والأمل ، فتملأ نفسها بالحياة والحب ، حتى أن أمها لمحت هذه اللمحات الخاطفة في حياة ابنتها الكئيبة ، فتابعت الأمر ، فوقعت بين يديها الرسالة ، فقالت لنفسها بعدما قرأتها : لقد أسأت لك يا ابنتي بمنعك من الزواج منه ؛ ولكن أنت أميرة بنت أمير وقائد ، وهو عبد رقيق كيف يكون هذا الزواج ؟! .. وأبوك الآن مريض لو أطلعته على هذه الرسالة قد يموت من الألم والقهر .

وحاولت معرفة الطريقة التي وصلت بها الرسالة للأميرة فلم تصل لشيء ، وتحرت عن ضيغم فثبت لديها أنه ترك المدينة منذ زمن بعيد ، ولم يرجع إليها فركنت للصمت ، وأنها دخلت إلى

القصر عن طريق العبيد ، ولما علمت ريم أن الرسالة عند أمها زاد حنقها وجفاءها لأمها ، وأصرت على عودة الرسالة إليها ، فاستسلمت الأم لرغبة الفتاة وأعادت الرسالة وهي حائرة في الخطوة الصحيحة لمعالجة أمر هذه الفتاة التي خرجت عن تقاليد الأسرة وتعلقت بشاب خادم لهم حتى انتشر هواهما في كل المدينة .

وكان ضيغم وجدار والغلام برمو قد ابتعدوا عن بلاد التين متجهين إلى بلاد الدب القطبي التي وصلوا إليها من غير عقبات تذكر ، فلمسوا على الفور أن المدينة ما زالت في حالة حرب وتوتر وكثرة الحرس على الأسوار ومداخل المدينة ، وتغلق أبوابها مبكرا مع غروب الشمس ، ولا تفتح في الليل البتة ، فقال ضيغم لرفيقيه : سنمكث هنا زمنا مناسبا .. فهذه المدينة ولد فيها الأمير جبل والأمير ثعلبون ، وفيها تعلموا فنون القتال .. وأصبح صديقي جبل أميرا لها بعد أن طرد الغزاة عنها .. وهو قد أسس جيشها القوي .. فلنسكن في فندق جميل في قلب المدينة .

ولما حل عليهم الظلام ولم يغادروا المدينة أخبرهم صاحب الفندق أن رجال الشرطة يطلبونهم لأنهم من الأغراب ..فقادهم شرطي إلى مكان مراقبة ومتابعة الأغراب ، وهناك سألهم قائد الموقع عن سبب تواجدهم في المدينة ، فذكروا له أنهم قادمون من بلاد التين ، واعترف لهم جدار بأنه كان يعمل في قصر القائد سالم بن قنبرة من كبار قادة الملك جبرون ، واعترف ضيغم بأنه كان غلاما للأمير سالم ، وأن الأمير أعتقهما فغادرا البلاد ، وأن الشاب الثالث غلام لهما ، وهم يرغبون بالحياة في هذه المدينة ، فقال القائد : سوف نتثبت من هذه المعلومات ، واحذروا أن تكونوا من جواسيس الضبع فعقابكم السجن إلى الأبد إذا ثبت عليكم ذلك . وأخلى سبيلهم .

فأدرك ضيغم أن الأمور متوترة ، وهناك حذر شديد من الغرباء ، وأن أصحاب الخانات والفنادق يتعاونون مع رجال الشرطة ، فقال ضيغم لأصحابه : علينا الحذر في تصرفاتنا ، فهم يعيشون في قلق دائم من الملك الضبع .

وبعد أيام قد قضوها في الفندق استأجروا بيتا صغيرا ، وذات مساء قال الغلام " برمو " : سمعت الناس يتحدثون عن مبارزات ومسابقات ستقوم غدا بين الفرسان فما رأيكم بالفرجة عليها ؟

قال ضيغم : لا بأس .. ذكرنا بذلك صباحا .

وسار الأصدقاء ضحى إلى ميدان المسابقات ؛ فإذا هو مكان فسيح معد للمبارزات ومسابقات الخيول ، والناس تتوافد لمشاهدة فوج جديد من الفرسان قد أكملوا تدريبهم ، فلما حضر أمير الجيش القائد قيس دخل الفرسان للميدان يستعرضون ما تعلموه أمام قائد الجيش ، فيتبارز فرسان قدامى مع فرسان جدد ، ثم جرى سباق على ظهور الخيل بين المتنافسين ، ويستمر الاستعراض حتى العصر ، ثم يثني الأمير على المشاركين ، وينصرف الجميع فرحين بانضمام فوج جديد من الفرسان للجيش ، وعلم ضيغم أن التدريب مفتوح لكل سكان المدينة فقال لصديقه جدار وهم عائدون للبيت : ما رأيك أيها الصديق بتعلم الفروسية في هذه المدينة ؟! فأنت تنضم لسلك الفرسان ، وأنا أختبر نفسي وأتاكد من التدريب الذي تلقيته من الفارسين .

فقال جدار : فكرة جديرة بالاهتمام .. فلنلتحق بمدرسة تدريب الفرسان .. فجارنا سعيد مدرب فيها فلنتحدث معه ، قد أصير فارسا مثلكم ؛ ولكن ألا نتأخر بالعودة على الفارس جبل ؟

فقال ضيغم همسا : الفارس غير مستعجل على رجوعي ؛ لأنه يقوم بمهمة كبيرة تحتاج لسنوات .

فقال جدار : إذن على بركة الله أيها الصديق الطيب .

والتحق الشابان النزيلان بمدينة الدب بمدرسة إعداد الفرسان بشفاعة من جارهم المدرب سعيد ، وجرت لهما الاختبارات اللازمة ، فلما اجتازاها رخصوا لهما بالالتحاق بالتدريبات الخاصة بالفروسية ، واكتشف ضيغم خلال فترة التمرين والتدريب أن تدريبات جبل

وثعلبون أقوى وأشد ، وبعد مضي شهور ستة أخبرهما مدربهما أنهما يستطيعان المشاركة في العرض القادم للفرسان ، وبين المدرب لضيغم أنه فارس متقدم على أقرانه ، ففرح ضيغم بهذه الشهادة .. وجاء يوم الاستعراض المنتظر ، وعلى جواد التدريب الذي قدمه له المدربون استعرض ضيغم مهارته أمام الأمير قيس والناس حتى شك مدربه أنه هو الذي دربه ، وأما جدار فقد قدم عرضا متواضعا ، ثم أتى دور المبارزة والمصارعة ، فقد تفوق ضيغم على عدد من الفرسان القدامى ، مما دفع قيس أن يقول لمدربه : هذا فارس بارع يا أبا مالك ؟!

فرد المدرب قائلا : هو ما تقول يا سيدي الأمير ! ..حركاته وطعناته تذكرني بفارسنا القديم جبل بن مجدو مدربي الأول ..وهذا الشاب نزيل على بلادنا فأصله من بلاد التين ، وقد كان غلاما عند القائد سالم بن قنبرة هو وصاحبه جدار ، وقد تأكدنا من ذلك أيها الأمير ..فلما أعتقهما من الرق قدما لهذه المدينة .

فقال قيس : أخشى أن يكونا دسيسة ؟!

قال أبو مالك : اطمئن يا سيدي الأمير لقد تأكد لقائد مراقبة الغرباء أنهم من بلاد التين .

فقال قيس : على كل حال هو فارس جيد ومع ذلك احذروه حتى نتأكد من وفائه لهذا البلد .

فقال المدرب : سوف نكلفه بمهمة تظهر لنا إخلاصه من غشه .

وتقدم القائد للجيش قيس ، وهنأ الفرسان الجدد على همتهم ونجاحهم ، ورحب بالتحاقهم في الجيش وانتهى الاحتفال .

وبعد أيام من هذا الإنجاز في حياة ضيغم وجدار علموا أن الشرطة قد قبضت على عصابة جواسيس تابعة لبلاد العقرب ، ومن ثم تم إهلاكهم أمام أعين الناس ، فعذر الصديقان القوم في شدة متابعتهم للأغراب، وكان هذا الحدث يتردد في مجالس أهل المدينة الصامدة ، وبينما هما في زيارة لجارهم المدرب سعيد الذي ساعدهم بالانتساب لمدرسة تدريب الفرسان يهنئونه بولادة حفيد من ابنه الأصغر ، أتاهم رسول من مدربهم أبي مالك بصحبة الغلام برمو ، فانطلقوا إليه مسرعين فرحب بهم وهدأ من روعهم وقال : اتبعوني إلى قصر الأمراء وقلعة

الحكم .

فمشوا نحو القلعة الضخمة والمحصنة والمكتظة بالجند والفرسان المهرة ، وأدخلهم إلى قاعة واسعة ، وهناك قال لهم أبو مالك وهو يشير لضيغم : أيها الفارس .. لقد أثبتّ أنك جدير بحمل السيف الذي تضعه على جنبك ، وأثبتت بأنك الفارس الجدير بالاعتلاء على سرج الجواد .

كان الفارسان حائرين وخائفين من هذه الدعوة العاجلة ، فما زالت الحيرة ترتسم على وجهيهما رغم تطمينات المدرب لهما في الطريق ، فهم يخشيان وشاية ضدهم تغرقهم في محنة قاسية ، فبعد أن أثنى المدرب على فروسيتهما ، قال المدرب : الحق أن الذي أشار عليّ بالاستفادة من بسالتكما ولترتفع مكانتكما في البلاد الأمير قيس أمير الجيش ..فسترافقان سرية من الفرسان لتنفيذ مهمة ملكية .

فارتاحت أعصابهما للكلمات الأخيرة ، وقال ضيغم : ما هي هذه المهمة ؟!

أبو مالك : هل أنتم مستعدون للعمل مع فرساننا من أجل بلادنا أم تخشون على حياتكم ؟

فقال ضيغم : أيها القائد سوف ترى من إخلاصنا وتعاوننا ما يسرك ويؤكد لكم أننا صرنا منكم .

فرد المدرب فرحا بما سمع فقال : هذا ما أكدته للقائد قيس ..والآن فاعلما أن قافلة كبيرة لنا تحمل تجارة لمدينتنا تعرضت لسطو من قطاع السبل .. بالقرب من جبل الرعب ، فقد داهم المجرمون القافلة وقتلوا الحراس ، وقد سلب اللصوص الأموال والجمال والبغال والغلمان والتجار ، ومن نجا وهرب وصل ليلة أمس ، وهم في وضع مؤلم .. فمولانا الملك يريد إرسال حملة من مائتي فارس لغزو الجبل المرعب وإنقاذ ما يمكن إنقاذه من الناس والأموال ..هذه هي المهمة التي نرغب بمشاركتك بها أنت وصاحبك جدار ، وهي مهمة خطيرة يحفها الهلاك تذكر ضيغم صديقيه جبلا وثعلبون ومغامرتهما مع وحوش ذلك الجبل وقتلهم لزعيم الجبل ، ورد على القائد المدرب بحماس ودون تردد : أنا أرحب بالمهمة ، فما تقول يا صاحبي ؟

فقال جدار بحماس : أنا معك أيها الصديق أين ما تحل وترحل ؟.

وأخذهما المدرب بعد رضاهما إلى أمير الجيش قيس ، فرحب بهما وأثنى على نخوتهما ومرؤتهما ، ووعدهما بحسن المكافأة وبالمحافظة على غلامهما برمو ، ومنحهما جوادين ، وعين ضيغما مساعدا ونائبا لقائد الحملة الفارس العملاق شهاب ، وانتشر خبر الحملة بين الناس فسعدوا لذلك وارتاحت نفوسهم لها ؛ لما أصابهم من الألم بخسران القافلة وسرقتها من رجال العصابات والجبال .

اجتاز فرسان الحملة الجبل العملاق المحيط بالمدينة ، وتابعوا السير إلى جبل الرعب أو جبل الخوف الذي مر ذكره في أول القصة ، فقطعوا إحدى الغابات بدون حوادث تذكر سوى مرض بعض الفرسان ، وعندما اقتربوا من الجبل والوداي المخيف أرسل قائد السرية مع غلامه رسالة شفوية لرجال الجبل يطلب منهم القافلة والأسرى أو الحرب .



جبل في المعركة

وعاد الرسول ومعه بعض رجال العصابة ، فقال أحدهم : يا رجال مدينة الدب ينصحكم الزعيم لهب الليل سيد هذا الوادي بمغادرة هذا المكان قبل فوات الأوان ..هل سمعتم ؟!

فأجابه قائد السرية شهاب : لقد سمعنا أيها الرجل ! ونحن لن نغادر هذا المكان قبل أن نسترد أهلنا وأموالنا أو الموت .. ننتظر لصباح الغد ؛ فإذا لم تعيدوا ما سرقتموه سندخل عرينكم ونقاتلكم حتى النصر أو الموت .

فصاح رسول لهب الليل : أنتم مصممون على القتال ؟

فصاح رجال السرية : نعم ، وألف نعم .

فقال مهددا ومخوفا : احذروا أيها الموتى ، لا تدرون متى ننقض عليكم ؟

وعاد رجال العصابة أدراجهم إلى قلعتهم في قمة الجبل ، وأمر شهاب رجاله بالحذر والتهيؤ لدخول وكر الثعلب .

ولما ظهر الصباح وأشرقت الشمس بنورها الوضاح وملأ النور الفضاء ، كان رجال الجبل يعسكرون قرب فرسان مدينة الدب وعلى رأسهم الزعيم لهب الليل الرجل الأعرج الذي طعنه جبل في صدره ولم يقتل للبسه يومئذ الدرع ـ كما يذكر القراء لهذه القصة الممتلئة بالفرسان ورجال السيف ـ وعرض عليهم الزعيم الانسحاب مرة أخرى ، فأبوا وقال عنهم شهاب : لن ننسحب ولن نستسلم أيها الجبناء ؛ فإن كان لابد من الموت فمن الذل والهوان أن يموت الإنسان جبانا .. إلى الموت يا فرسان الملك سليل بن شامة .. إلى الموت أيها الرجال البواسل !

وتصايح الفرسان ودارت معركة بين الأشراف وبين الأنذال ، وسقط القتلى من الطرفين ، ولقد بذل شهاب وضيغم جهدا متواصلا ، ولكن كان عدد اللصوص يفوق رجال السرية ، وهم مقاتلون مهرة ؛ لأن كثيرا منهم فرسان منفيون أو حاقدون على ملوكهم ، وثائرون على بلادهم فاندمجوا في حياة الجبل ، وما أشرفت الشمس على المغيب حتى استسلم كثير من أحياء

مدينة الدب من هول وشدة المعركة رغم مناشدة شهاب لهم بالصبر والثبات والقتال حتى الموت ، وظل شهاب وضيغم وجدار وعدد قليل يقاتلون بشجاعة وجلد ، ثم أطبق عليهم رجال الجبل ، فمنهم من قتل ، ومنهم من جرح وسقط عن جواده كجدار ثم مات ، ومنهم من جرح وأخذ أسيرا كشهاب وضيغم ، وانتهت المعركة بهزيمة لفرسان مدينة الدب ، فأمر لهب الليل بلم وجمع الغنائم وحرق الجثث وقيادة الأسرى والجرحى إلى قصر الجبل .

فلندخل القلعة وقصر العصابة .. فهو قصر يقع على قمة جبل من تلك الجبال ، وهو قصر ضخم ضمن أرض واسعة ، فيه أكثر من مائتي حجرة ، ويصعد إليه بسلم صخري يزيد عن خمسمائة درجة ، وجنب السلم منحدر تسير عليه الخيول وغيرها ، وخلال صعود السلم تجد هناك عددا من الكهوف يتمركز فيها رجال لحماية الدرب ، وهم يحملون الأقواس الكبيرة ، وفي الدرب محطات استراحة يوجد فيها الماء والفواكه .. وحول القصر أو القلعة الأسوار العالية ، وهناك الأشجار العالية والكثيرة وعين ماء وحدائق وبساتين وخدم وغلمان وكلاب حراسة شرسة ، وحراس منتشرون على الأسوار ، فالمكان قرية صغيرة فوق الجبل ، فقاد رجال العصابة الأسرى والمستسلمين إلى ذاك القصر ، وهم في حالة يرثى لها من الذل والهوان والتعب ، فعندما وصلوا باب القلعة واجههم باب من الحديد الصلب ، وفتح لهم الباب ، ولما أدخلوهم أغلق الباب الضخم ، فسيقت الخيول للحظائر ، وقيد الأسرى إلى غرف خاصة وذهب رجال العصابة إلى حجراتهم للاستراحة من عناء المعركة ، ومن كان جريحا قام طبيب القلعة بمداواته والعناية به ، فهؤلاء الضحايا قد يصبحون عمالا في أرض القلعة أو سقاة ماء ، أو ينضموا لرجال العصابة ، ومن يحاول الفرار عادة يقتل سريعا ، والغلمان والجواري يبقون لخدمة رجال ونساء العصابة ، ويزعم الناس أن هذه القلعة كانت قديما لأحد الملوك ، ثم هجر الموقع ، ثم عرفه المطاريد والهاربون من ملوكهم وأسيادهم حتى تزعم هؤلاء السبع العادي فرمم القصر ، وأعاد بناء الأسوار بواسطة أسراه ومساجينه فأصبح قلعة صعبة المراس على الحكام ، فعجزت عنها الجيوش ، ومل الملوك عن محاصرتها والنيل منها ،

وكبرت العصابة بعتاة المجرمين من بلاد شتى ، ومن رجال الحكم الحاقدين والفارين ، وكان السبع العادي قد ملأ الدنيا رعبا بقسوة قلبه وشدة فتكه بالناس ، حتى كان بعض الأمراء يتفادون شره بالمال أو يستعينون به في تصفية خصومهم ويدفعون له الأموال والعبيد ، فلما قتل هذا المجرم على يد الفارس الشهير بابن الخباز ، استلم الزعامة لهب الليل وهو صديق السبع العادي الحميم ، وكان ذراع السبع القوي ، وكان شرسا عنيفا قويا ولا رحمة في قلبه ، فكان رجال العصابة كلهم يهابونه وينفذون أوامره بحذافيرها ، فكان السيد المطلق في تلك القلعة ، وحوله حرس خاص لا يغفل عن عيونهم لحظة واحدة من أصحابه القدماء ، وفي اليوم التالي للمعركة أرسل لهب الليل وراء الأسرى ؛ لينظر في شأنهم ويوزعهم على الواجبات التي تحتاجها القلعة بعد مقتل ما يزيد عن مائة رجل منهم في الملحمة الأخيرة ، فجمعوهم له في ساحة ، فخرج إليهم يحف به رجاله الأشداء ، فطفق يمعن النظر إليهم دقائق ، ثم أخذ في توزيعهم ، فمنهم من يختاره للعمل في البساتين ، ومنهم للحراسة في أطراف القلعة ، ومنهم للخدمة في نقل الماء ، ومنهم من رشحه للعمل مع رجال العصابة في تنفيذ المهمات ، وهؤلاء يخضعون لتدريب ؛ ليرى مدى إخلاصهم وولائهم لرجال الجبل ، ولما جاء دور ضيغم ، قال له لهب الليل : أيها الشاب ! لقد كنت قويا ومحاربا شديدا .. ولمحت براعتك في السيف والدفاع والهجوم .. ما اسمك ؟

كانت ذراع ضيغم قد تعرضت لجراح بليغة أكثر من باقي جسده ، وقد لفت بخرقة ، وكان يمسح عليها عندما سأله لهب الليل عن اسمه فنظر إليه وهزّ رأسه وقال : ضيغم .. هذا اسمي فقط ، ولا أعرف اسم أبي .

فقال الزعيم بصوت خشن : ضيغم هذا اسم مخيف ! .. انتظر هنا حتى أرى ما يناسبك من العمل معنا يا ضيغم .

ثم أشار الزعيم لشهاب الجريح أيضا قائلا : أنت قائد السرية ؟.

فهز شهاب رأسه بحزن قاتل وقال : هذا حق ، وما عليّ إلا طاعة ملكي الملك سليل وقائده

الأمير قيس ، ولا أظن أيها الزعيم إلا أن يأتيك الملك بجيش جرار لإنقاذنا .

فضحك الزعيم وقال : قد يفعل أيها الجندي الباسل ! ..ولكن عدوكم الضبع قد يستغل الفرصة أو أرسل إليه رسولا يخبره بترككم المدينة ...

وقبل أن يتابع الزعيم كلامه مع شهاب ، تذكر ضيغم في هذه اللحظة الأمير جبلا ورسالته لرجال الجبل ، فقطع استرسال الزعيم فجأة وقال : أيها الزعيم ! أحب أن أذكر أمامك أمرا قبل فوات الأوان ...

فصفعه أحد رجال العصابة القريبين منه على خده صفعة طار لها صواب ضيغم وقال : يا كلب !.. لا تتكلم قبل أن يأذن لك الزعيم أيها الحقير .

وضع ضيغم يده على خده المصفوع ، وقد طفرت الدموع من عينيه المحمرتين من شدة الغضب ، وقال وهو يضغط على شفته من الغيظ والقهر : لن أغفر لك هذه الصفة يا جبان آه يا سيدي ! يا جبل بن مجدو .. أين أنت لترى ما يفعل بي هؤلاء الجبناء ؟!

وكان الرجل يهم بصفعه مرة أخرى ؛ ولكنه لما سمع اسم الفارس جبل بن مجدو يخرج من بين شفتي ضيغم توقفت يده فجأة في الهواء ، ونظر في عيني الزعيم فوجده مبهوتا مثله ، وقد ملأ الفزع نفوسهم ، فقال الزعيم بعد صمت قد طال لضيغم : ويحك !! .. أتعرف أنت الفارس جبل بن مجدو الشهير بابن الخباز ؟!

فرد ضيغم وقد أدرك ما فعل اسم الفارس جبل بهؤلاء الوحوش الضارية فقال : هو أخي وصديقي ومدربي على ركوب الخيل واللعب بالسيف .. ابن الخباز حبيبي ، ولن يغفر لكم ما فعلتموه معي .. فعندما غادرت بلاد الدب مع هذه السرية أرسلت له خادمي برمو أيها الأنذال ولسوف يأتي بمشيئة الله .

فقال لهب الليل : ويحك .. لمَ لم تذكر لنا ذلك قبل هذه المعركة ؟! .. فجبل صديقنا وبيننا وبينه عهود !.

فدهش الأسرى ما أحدثه ذكر جبل في هذا المكان ، فعاد ضيغم يقول وهو يتذكر ما عرفه من

أخبار جبل مع هؤلاء القوم : أنت وأنتم تعرفون ما فعله جبل وثعلبون بالسبع العادي ، وما أصابك أنت منه يا لهب الليل ، ولولا الدرع التي كانت على صدرك لكنت من سنوات تحت الثرى ولابد أنكم ما زلتم تذكرون تلك الرسالة عندما خطفتم ابن الملك جبرون وزوجته ؟

فقال لهب الليل والنار تتأجج في صدره : ويحك إنك تعرف كل شيء !.. أين جبل الآن ؟

فقال وقد فطن للرعب الذي أصابهم من الحديث عن الفارس جبل : لقد التقيته في بلاد التين وعلمني الفروسية والشجاعة .. وسوف يأتي إليكم عندما يخبره غلامي برمو بموتي ، فهم الآن يعتقدون موتنا .. وهو هذه الأيام في جزيرة النمور إحدى جزر البحر الكبير ؛ ولكنه سيجىء .

فقال لهب الليل كأنه مواسيا نفسه : إنها بعيدة !!

فقال ضيغم : ليس على الفارس شيء بعيد .

فاعترف لهب الليل صراحة أمام الجميع فقال : ما خشيت أحدا من الناس في هذه الأرض خشيتي هذا المخلوق ! فهو مرعب سريع الطعن مع ذكاء حاد ، سأكرمك أيها الشاب وأعفو عنك إكراما له ..لقد توعدنا هذا الرجل وحذرنا من عودته لهذا الجبل ؛ وكأني أحس أن نهاية هذا الجبل ستكون على يديه .. سأعفو عنك وعليك الرحيل إليه عاجلا لتمنعه من المجيء إلينا وتعتذر له عن خطأنا نحوك .

فقال ضيغم بشجاعة : أرجو أن لا يكون الوقت قد فات ..

فقال لهب الليل : عليك بإصلاح الأمر

فقال ضيغم : وهؤلاء الأسرى بل والقافلة التي سلبتموها ، ألم تعلموا أن الفارس من بلاد الدب ؟! وأن الأميرة التي تعرضتم لها قديما الأميرة حظوظ هي أخت ملك بلاد الدب الملك سليل بن شامة .. وهؤلاء الفرسان الذين قتلتموهم بعضهم أصدقاء وتلاميذ جبل بن مجدو الساحر ؟

فقال لهب الليل : ويحك أيها الصعلوك !! ..لم نفطن لذلك إلا الآن ، لقد نسينا أن جبلا فارس

تلك المدينة ..والمهم الآن لدينا أن تنجو بنفسك .

فقال ضيغم : وماذا أقول لسيدي الأمير ؟! .. أأقول له نجوت بنفسي ؟! فاسمعوا أيها الأسياد .. إما أن أبقى معكم حتى يعلم الفارس بأمرنا ، وإما أن نخرج كلنا ، وسأشفع لكم عند الفارس في دماء القتلى فقط .

فأمر الزعيم الحراس بأخذ الأسرى إلى حجرهم ، ودخل القصر ليتشاور مع جماعته ، وقال لهم : أكثركم تعرفون بسالة الفارس جبل .. وبسالة هؤلاء الناس ، لقد قاتلوا لآخر لحظة ، وقتلوا منا مائة محارب ؛ فإذا أتانا اللعين وسرية منهم سنهلك .

فقالوا : افعل ما تراه مناسبا أيها الزعيم !

فقال : سوف أفعل .

وكان من نتيجة الاجتماع أنهم استدعوا ضيغما مرة أخرى ، فقال له الزعيم : اعلم أيها الشاب أننا صدقنا أنك صديق وتلميذ للفارس الشجاع ابن مجدو ، واعلم أنني لو علمت أنك خدعتني ، ولا علاقة لك بجبل ، فلسوف آتي بك ولو كنت في عنان السماء أو في بلاد الهند عند الملك سرهوت ..سننسى ما جرى بيننا وبين بلاد الدب إكراما لصديقنا الفارس وللعهود التي بيننا ، وسنعيد الأموال والبغال والجمال والأسرى ونرضى بالهزيمة من أجل ابن الخباز فقط !.. وبين له احترامنا له واعتذارنا عن الخطأ الكبير الذي وقعنا فيه .. وأننا ما زلنا على العهد .

وصدرت الأوامر من لهب الليل بالعفو عن أهل مدينة الدب ، ورد أموالهم إليهم كلها ، وأخلى سبيلهم تجارا وفرسانا ، فهبطوا الجبل سائرين نحو بلادهم ، وهم يلهجون بذكر فارسهم القديم جبل المخيف ، ويتعجبون من أمر ربهم ، ويتحدثون عن الرعب الذي أصاب هؤلاء القوم من اسم جبل فقط ، وهم في غاية الغرابة من الرهبة والخوف الذي في نفوسهم من الفارس جبل بن الخباز مجدو ، وكانت الغبطة والفرح تملأ نفوسهم ، وكان الجميع يمدح جبلا ، ويتذكرون بطولات جبل محررهم من حامية الضبع ، ويشكرون ضيغما على شجاعته

وإيثاره وتصميمه على الإفراج عن الجميع ..وبينما هم سائرون جهة بلادهم التقوا بجيش كبير ؛ فإذا هو جيش مدينتهم زاحف للثأر لهم ، فحدثهم شهاب بما حدث ، فقفلوا عائدين وهم يلهجون بمدح فارسهم الشهير ، ويشكرون ضيغما أيضا على بسالته ووقوفه أمام العصابة بثبات وقوة ، فقال له بعض الناس : لماذا لم تفعل ذلك قبل القتال ؟!

فقال : والله ما كنت أعلم أن اسم الأمير يؤثر فيهم هذا التأثير ، وهو على بعد آلاف من الأميال عنهم ، فالفارس الآن يحيا في جزيرة النمور ، وإلا يا قوم ما خسرت أخي جدارا ولقد كنت أرى أن فرساننا سينتصرون عليهم ، وأثناء تحاور الزعيم اللعين والقائد شهاب تذكرت جبلا ، وقبل أن أتحدث عنه صفعني ذلك الحارس اللعين كفا ، فرددت اسم صديقي الأمير متمنيا وجوده ، فجرى الانقلاب الذي شاهدتموه بعد ذلك !

فقال المدرب أبو مالك الذي قدم مع الجيش : عندما كنت أمرنك يا ضيغم كنت ألمح فيك حركات الفارس جبل ؛ ولكني استبعدت لقائك بك !



الأمير حريف

كان لعودة القافلة بما تحوي من مال ورجال ، وعودة من نجا من الفرسان صدى كبيرا في المدينة ، وكان الاعتزاز بابن مدينتهم ابن الخباز أثرا كبيرا بتخفيف المصاب عن نفوس المفجوعين بفقد عزيز وحبيب ، ولما سمع الملك سليل الحكاية استغرب ، وقال متمنيا عودة الفارس : ليت الفارس ظل عندنا ! .. أريد أن أرى الفارس ضيغما يا وزيرنا العزيز ..لنسمع منه ونسأله عن صديقنا جبل .. والله ما كان لنا أن نسمح له بمغادرة البلاد ؛ فإذا اسمه يفعل هذا الفعل في هؤلاء القساة الأفئدة ، ويجب تخليص الناس من شرهم .

فقال الوزير ليث بن أحمد : ليس لهذه المهمة الجبارة إلا البطل الشجاع جبل بن مجدو .

وقد انتقلت أخبار جبل وضيغم للملكة الأم جملة بنت يوسف وابنتها حظوظ التي كانت في ذلك اليوم من أسعد البشر ، فهي ما زالت متعلقة بالبطل وتنتظر عودته للوطن ، فكانت تخاطب أمها بسعادة وبشر ظاهرين على محياها الجميل ، فهي منذ عهد بعيد لم تسمع عن الفارس شيئا ، فقد قالت وكلها غبطة : أرأيت يا أماه ؟! .. من هو الفارس جبل ؟! .. إنني مازلت أذكر تلك الأيام التي عشتها مع هؤلاء العتاة .. ثم أتى الفارسان وحدهما من غير جيش أمام تلك العصابة الكبيرة من السفاكين والسفاحين ، وقلما ينجو إنسان من شرهم إذا أخطأ الدرب ومر بالقرب من واديهم ، بل يغيرون على المدن من حولهم ، ويثيرون الرعب والفتك فيها ويختطفون الأطفال من ذويهم .. أذكر جبلا عندما وقف كالأسد الهصور يهتف عندما طعن زعيمهم ، ولم يمت من طعنته لارتدائه درعا " أوه لم تمت بعد ! .. وهل أنتم أشراف حتى أتعامل معكم بالشرف أيها المجرم الحقير ؟ .. وتسلبون الناس وتقطعون السبل فأيّ شرف لكم ؟! " وكان من جملة كلامه يا أماه أن حذرهم من عودته ثانية للجبل ، وها هم لما سمعوا باسمه وخشوا من مجيئه تركوا الأسرى والأموال .. أماه أريد أن أرى صديق جبل .. أريد أن أسمع منه أخبار البطل الكبير جبل ..

قالت الأم متأثرة بكلام ابنتها ومما سمعت عن البطل : ما زال هواه في قلبك يا ابنتي رغم مرور

كل تلك السنين ..سأنسى أن أباه خباز كان يعمل بجوار القلعة من أجلك يا حظوظ .. لقد أنقذ حياتك وشرفك وأعادك إلينا ، ومن قبل أعاد لنا التاج المسلوب بعد أن طرد حامية الضبع ، وها هو اسمه الساحر أعاد للناس الفرحة بعد أن خيم عليهم الحزن الشديد .. الرجال بأعمالهم وأفعالهم وليس بنسبهم فحسب !!.. إنك تحبينه يا بنيتي منذ أن عدت من مدينة اللؤلؤ وأنت تهوينه ، لقد أدركت ذلك منذ الوهلة الأولى .. وكذلك من شدة إصرارك على رفض الزواج .. فأسأل الله صدقا أن يكون قدرك وحظك .. سأكلم الملك لتري الشاب ضيغما ..كم أود أن أراك زوجة يا حبيبتي !

قالت الأميرة : سيأتي يوما ما ـ أماه ـ إنه وعدني أنه لن يتزوج حتى أتزوج قبله .. إنه كريم شجاع .. كان يرى أنه جبل ابن الخباز ، ويراني حظوظا ابنة الملك شامة .

كانت تتكلم عنه بوله وهوى ، وقد اشتهر اعجابها ورغبتها بالفارس منذ عادت للبلاد ، ويحق لها ذلك فهي قد لمست شجاعته بنفسها ، فإن الشجاعة فخر النساء

في الأولين والآخرين ، وما زالت النساء تعشق الفرسان والشجعان والشجاعة .

استقبل الملك سليل والأمراء الفارس ضيغما أحسن استقبال ، وأنعم عليه الملك بوسام الشجاعة ، وروى للقوم قصته مع رجال لهب الليل ، وختم القصة قائلا : والذي دفعني للجوء إلى ذكر الأمير جبل أمامهم أني تذكرت حادثة ، وهي أن ابنا للملك جبرون وقع في أيدي هؤلاء المجرمين ، فكتب إليهم الفارس رسالة ، فأخلوا سبيله من غير تردد أو تأخير .

فقال الملك : إيه يا ضيغم أنت شجاع ! فقل لنا أين البطل جبل هذه الأيام ؟ بل كيف التقيت به وعرفته وتعلمت منه الفروسية ؟

قال ضيغم وهو يتذكر الأيام الأولى له مع جبل : التقيت به ـ يا مولاي ـ في بلاد التين في قصر القائد الأمير سالم بن قنبرة ، ثم أصبحنا أصدقاء ، فعلمني على الفروسية ، ثم غادرنا إلى جزيرة النمور ، فهو يتردد الآن بينها وبين جزيرة النمر الأحمر .

فقال الملك باستغراب : وماذا يفعل هناك ؟!

تلفت ضيغم إلى الحاضرين وقد احمر وجهه وهو ينطق و يجيب : الأمر سر خطير ـ يا مولاي ـ يمكنني أن أقوله لك ولوزيرك وللأمير قيس .

فأشار الملك للقوم بالانصراف ما عدا الوزير وأمير الجيش ، فقال ضيغم :الحق يا مولاي أن الأمير جبلا يخطط ويدبر للقضاء على مملكة الضبع .

ذهل الثلاثة وصعقوا لما سمعوا وقالوا بدهشة كبيرة : ماذا تقول ؟!

قال ضيغم : ما بكم ؟!

ابتسم الملك واسترد هدوئه وقال : لقد قلت أمرا عظيما يا ضيغم !!. . فنحن حلمنا الأكبر أن نرتاح من الضبع ، فلنا عشرون سنة نحارب ونقارع هذا الملك اللعين .. أفصح عما أجملت ؟

فقال ضيغم : الذي أعرفه أن الفارس جبلا جذره من هذه المدينة ، وقد هلك أبوه فيها من قبل رجال الضبع .

فقال الملك : نعرف هذا .

فتابع ضيغم الكلام : الفارس الشجاع جبل يحقد حقدا هائلا على الضبع ، فيريد صديقي تدمير مدينة العقرب ، فحارب مع جيوش الملك جبرون ردحا من الحين ، ثم تبين له أن جنود بلاد التين وحدها لا تحقق النصر الكامل على بلاد العقرب الأحمر ، وكان الفارس قبل مسيره لبلاد التين قد دخل بلاد العقرب ودرسها شبرا بشبر ، فوجد أن أضعف نقطة لاحتلال المدينة هي غزوها من جهة البحر ، فلجأ لبلاد النمور لإعداد جيش قوي يغزوها من جهة البحر ، وبالتعاون مع جيش الملك جبرون من البر ، وقد سمعته يقول لثعلبون " بأنه قد يتعاون معكم في المعركة النهائية " ، فمن أجل هذا رحل الفارس لجزيرة النمور .

وبعد فترة صمت ووجوم قال الملك المذهول من طموح جبل وصبره : إنه فارس جبار ! هكذا الرجال المخلصون لبلادهم يا أبا الهيثم !

فرد الأمير قيس : إي والله ! إنه لفارس عملاق يا مولاي !.

ودعا الأمير ليث فقال : بارك الله في همته ومرؤته !

فقال ضيغم : لذا يا سيدي الملك أرجو أن لا يتسرب هذا الأمر حتى لا يصل للضبع فيقوي تحصيناته البحرية ، فهو لا يتخيل مثل هذا الهجوم في يوم من الأيام ، ولا يتخيل أن يهاجمه أحد من البحر والماء ، هكذا يتحدث الفارس الشجاع أيها الأسياد !

فأظهر الملك بعد هذه الأسرار ثناءه ووده على ضيغم ثم قال : ولماذا تركت صاحبك وجئت بلادنا ؟!

فقال ضيغم : طلب مني الفارس أن أسكن بلادكم لحين ، فهو يتابع أخبار حروبكم مع الضبع ، ومنذ فارقكم وعينه عليكم ، وهو ما زال الآن في طور إعداد السفن الكبيرة والفرسان ، فقال لي انزل بلاد التين وبلاد الدب وأتنا بأخبارهما مع الضبع .

فقال قيس : بما إنك فارس وتلميذ جبل فلماذا التحقت بمدرسة التدريب ؟!

تبسم ضيغم وقال : أنا في الأصل - يا سيدي ـ عبد فقدت أهلي قديما وصغيرا ، وكان لي سيد في بلاد الشرق ، وقتل في معركة بين الملك الضبع والملك جبرون ، ووقعت أسيرا عند القائد سالم بن قنبرة ، وهناك التقيت بجبل وجدار ، فأصبحت غلاما للقائد سالم ، وقد ذهب الفارس جبل وصديقاه هزبر وثعلبون لبلاد الهند ، ولما عادوا وجدا القائد الكبير قد غضب عليّ وألقاني في السجن ، فتشفع لي جبل وأخرجوني من السجن ، وعلماني الفروسية ولم اختبر بعد ، ولم أشارك في معركة كفارس ، فوجدتها فرصة للتثبت من تدريبات جبل ومن قوتي ، فنجحت عندكم ؛ ولكنني فشلت عند رجال الجبل ، ولم أكن كجبل بن الخباز .

فقال الملك : بل أنت شجاع وقوي !!.. لقد ذكر لنا القائد شهاب أنك قاتلت ببسالة لأخر لحظة ، وكان لديك قوة مخاطبة لرجال الجبل .

فقال ضيغم : أشكره يا مولاي ! وهو أيضا قاتل حتى الموت .

فقال الملك متحمسا ومبتهجا : أمام هذه الأخبار والحقائق يا ضيغم سوف نعد جيشا لليوم المنشود .. متى أنت مسافر للقاء الفارس ؟

قال ضيغم : لم يحدد لي الفارس وقتا للعودة ؛ لأن الحرب التي يعد ويخطط لها جبل تحتاج

لسنوات من الإعداد ..على الأكثر خمس سنوات ؛ فإذا مللتم مني سافرت .

فابتسموا لمداعبة ضيغم وقال ليث : أبدا أيها الفارس ما دام جبل صديقك فأنت صديقنا ، وها هو وجودك بيننا قد أفاد البلاد والعباد .

وأكد الملك ما تفوه به وزيره فقال : أنت صديقنا يا ضيغم ، فمتى شئت فاحضر مجالسنا ؟ ولن ننسى أنك مواطن صالح ، ولا يذهب معروفك وفضلك على هذا البلد سدى .

فقال ضيغم بخجل وحياء : الشكر لكم الشكر لكم .. واعلموا وثقوا أن جبلا الفارس الشهم يحب هذا البلد حبا كبيرا ، ويريد أن يفعل من أجله المستحيل .

فقال الملك : نحن نعرف جبلا وإخلاصه ، ولقد لمسناه ؛ ولكنه اختار تركنا لأسباب خاصة ، يكفي هذا منك الليلة يا ضيغم .. وسنلقاك مرة أخرى لتحدثنا عن رحلة جبل للهند .

اطلع الملك على رغبة أخته حظوظ بالحديث مع ضيغم ، فقص عليها القصة ، فقالت : أريد أن أراه ، ولسوف أسأله بعض الأسئلة عن الأمير جبل بن مجدو .

فتبسم الملك وقال : ما زال هواك مع الفارس يا أختاه !.

ورخص لها الملك الشاب الالتقاء بضيغم ، وبعث رسولا خاصا يخبر ضيغم برغبة الأميرة حظوظ بالحديث معه ، ففرح ضيغم من هذا الطلب ، وكان يرجوه ، فقد أوصاه الأمير جبل بأن يأتيه بأخبار الصبية التي احتلت موقعا حسنا في قلب الفارس ، فقد حدثه جبل عنها عندما رآها أول مرة في بلاد اللؤلؤ ، ولولا غربته وترحاله الدائم لتزوجها ، فقد جاءت الفرصة للحديث مع الفتاة التي يهواها صاحبه ، فهو يعرف الهوى ولواعجه ، فما دخل الليل حتى أسرع إلى القصر ملبيا رغبة الملك ، فوصل إلى قصر النساء ، ووجد خادما من خدم القصر في انتظاره ، ثم سار به الخادم نحو غرفة كانت تجلس فيها الملكة الأم والأميرة حظوظ ، فأوقفه الخادم حتى يستأذن له بالدخول ، فأذنت له الملكة وتهيأت لاستقباله ، ففتح الخادم الباب مشيرا له بالدخول ، فدخل ضيغم وهو يلقي السلام ، وأغلق الخادم الباب ووقف عنده ينتظر أي أمر ، فلما رأت الملكة ضيغما وتبينت هيئته وسمعت صوته قفز قلبها في صدرها

وازداد اضطرابه ، وحدث مثل ذلك لحظوظ التي أحدقت النظر في هيئة الشاب الجميل الذي اهتز قلبها لمرآه ، وحتى ضيغم نفسه خفق قلبه بشدة وأحدق النظر في الأميرة والملكة الأم ، وبدأ عليه الارتباك والاضطراب المفاجيء مع تعوده الدخول على الاميرات عندما كان خادما في قصر ابن قنبرة ، فقالت الأم وهي تحاول السكينة : اجلس يا بني .

فخرجت كلمة " يا بني " لذيذة دافئة من أعماق قلبها ، ثم تابعت بدون أن تدري أو تعي : يا بني لقد حن إليك قلبي .. كأنك عشت في أحشائي !

فقالت حظوظ : أماه ما تقولين ؟!

فاقتربت الأم من أذن ابنتها وهمست قائلة : أحس أيتها البنت كأنه ابني حريف .

فقالت حظوظ بهمس : والله يا أماه إن هذا الشعور قد راودني كأنه أخي المفقود !

فقالت الأم : معذرة أيها الفارس .. أهلا بالبطل ومحرر القافلة المكلومة والجند .. مرحبا بالفارس ضيغم ابن .. وسكتت .

فقال ضيغم : مرحبا بمولاتي الملكة ، أنا لا أب لي ، قصدي أنني لا أعرف إلا أن اسمي ضيغم أما من هما أبواي فكل ذلك مجهول عندي .

فقالت الأميرة : نأسف لإحراجك ؛ ولكن أين ولدت يا ضيغم ؟

فقال ضيغم : يا مولاتي الأميرة ! صدقيني لا أدري ؛ ولكني أذكر أنني عشت طفولتي في مدينة يقال لها الشرق .

اضطربت الأم وابنتها مرة أخرى وقالت حظوظ : مدينة الشرق .. الشرق !!

فقال : نعم كنت غلاما عند تاجر ، ثم مات ، فورثني الورثة ثم باعوني لامرأة ، ولما ترملت وتزوجت آخر وهبتني لابن لها من زوجها الأول يسمى داود ، فهذا ما أذكره من طفولتي القاسية .. غلام رقيق يتنقل من أسرة لأخرى .

فقالت الأميرة : ألا تذكر يا ضيغم أن لك اسما آخر ؟! لا تستغرب من هذه الأسئلة .. أكيد ذكر لك الملك سليل أننا سنتحدث معك عن الفارس البطل جبل .. ولكن بعد حين سنقول

لك سبب هذه الأسئلة .. ولما لزم الشاب الصمت عادت الأميرة تقول : ألا تذكر أنك كنت تمشي مع ناس وأنت صغير ؟ وفي شدة الظلام هجمت عليكم عصابة وخطفوك بشدة وعنف وكانت معك فتاة صغيرة مثلك وحملوكم إلى مدينة الشرق .

سكت ضيغم طويلا قبل أن يرد وكان يعصر ذاكرته ثم قال : إي والله ! إن هذا المشهد المرعب يكاد لا ينسى .. ليلة مظلمة .. نمشي .. نمشي .. نمشي وفجأة انقض علينا رجال ملثمون ..صراخ .. إني أذكر هذا المشهد ، صرخت بكيت ، وكانت جواري فتاة تصرخ وناس يصيحون ويركضون .. أيتها الأميرة كأنك كنت معي .. إنني أتذكر تلك المشاهد المرعبة الباكية ..

فقالت الأميرة بارتباك وانفعال عنيف : ألا تذكر أنهم كانوا ينادونك باسم حريف حريف ؟!

فصاح الشاب دهشة واضطرابا : والله .. إن هذا اسمي الضائع !.. الاسم الذي أبحث عنه ولم أجده .. هذا اسمي وأنا طفل صغير جدا ..إنه محفور في قلبي .

فصاحت الأميرة بلهفة وقوة وهي تنهض قائمة عن مقعدها : أماه !! .. أماه !! .. إنه أخي المفقود .. إنه حريف يا أماه ! .. أنا أختك وهذه أمك! .. أنا حظوظ التي كانت معك يوم داهمتنا العصابة ، وفرقوا بيننا وباعونا رقيقا وكم بكينا عند الفراق .. ؟!

كان ضيغم مبهوتا مذهولا ، وكان يرى الحادث الباهت القديم قويا ثم صاح : أجل .. أجل يا أختاه ! واحتضن الشاب أخته وهو يقول : لقد خفق قلبي لمرآكم عندما رأيتكم للوهلة الأولى !

وترك أخته واحتضن أمه وعانقها بحرارة وشوق ، والدموع تنساب من العيون المحمرة ، وتصعد التنهدات الحارة من الصدر وهو يهتف : أماه ! وهي تقول : ولدي حريف !

وتبكي بحرارة ، ودخل الخادم على صوت التنهدات والزفرات ، فشاهد الأم تحتضن الشاب الضيف وهي تبكي ، فاستغرب وأسرع إلى حجرة الملك ، وأسر له بالأمر ، فأتى الملك مسرعا وهو في حيرة مما سمعه من الخادم ، فدخل ورأى السعادة والدموع فقال بحيرة : ما الذي يقوله الخادم ؟!

فصاحت الأم المذهوله من المفاجأة الكبيرة وهي تشير لضيغم وتبكي : سليل .. هذا أخوك الضائع حريف .. هذا أخوك المسروق .

فبهت الملك وارتبك وهو يتمتم : ماذا ؟ ماذا ؟!

واحتضن أخاه وهما يبكيان ويقول : ضيغم أخي ! ..أمس عندما حدثني أنه لا أهل له خفق له قلبي وتذكرت أخي حريفا .. يا الله ! ما أعجب قدرتك ! أماه هذا أخي !!

فقالت الأم : نعم يا ولدي .. اكشف عن إبط أخيك الأيسر ستجد شامة بنية صغيرة حولها شعرات صفراء .

فمزق حريف القميص على الفور ، ورفع يده اليسرى إلى أعلى ، فأحدق الملك في الشامة التي حولها الشعرات الصفر ، ثم أخذ يصيح ويرقص : حريف حريف حريف يا الله !

وانتشر الخبر في القصر ، فهرعت الأميرات جميلة وقسمة وأخوات الملك شامة وبناتهن والأمراء ، فامتلأ قصر النساء بالرجال والنساء الأقارب ، وكانت ساعات وأيّ ساعات .. لحظات من السعادة محملة بالدموع العزيزة .. دموع اللقاء .. دموع الفرح .. دموع الذكريات فجأة تجد نفسك ابن ملك من ملوك الدنيا .. إنها لحظات مثيرة .. ومن خلال هذه الدموع العزيزة والغزيرة كان ضيغم يرى الأميرة ريما فيقول لنفسه " لقد أصبحت كفئا لك يا ابنة قنبرة !.. ماذا أقول لصاحبي جبل ؟ .. يا لك من دنيا .. الحمد لله على فضله .

أمضى الأمير حريف الليلة في حجرة أمه وهم يتحدثون عن حلاوة اللقاء والذكريات.. وما وجد من الشقاء وهو يتنقل من سيد إلى سيد ، ثم قال : وما أحسست بحلاوة الحياة إلا عندما التقيت بسيدي الفارس جبل بن مجدو !.

ونظر لأخته التي احمرت وجنتاها من غمزه فقالت : ما أكثر ما تلهج باسمه !.. واعلم أن أرسلنا وراءك لتحدثنا عنه فحدث ما حدث .. يبدو لي أنك تحبه كثيرا يا أخي ؟!

فسكت هنيهة ثم همس قريبا من أذنها ، وقال : وأنت ألم تحبيه جدا ؟! .. فمن عرف الفارس أحبه بسرعة .

ازداد احمرار وجنات الأميرة ، ونظرت لأمها واتبعتها بأخرى للملك ولأختيها جميلة وقسمة ، ثم قالت : إنك لجريء مثل صاحبك يا أخي الصغير ..كم بكيت لفراقك ؟ حتى أن المرأة التي اشترتني ندمت على شرائي من كثرة البكاء ، وفكرت بالتخلص مني أكثر من مرة .

فقال الملك : هنيئا لنا عودتك أيها البطل ! ونشكر الله على هذه المنة العظيمة ، وعلينا يا أماه أن نصلي شكرا لله .

فقالت الأم : هذا يوم سعادة كبيرة لي ولكم ؛ ولكن الأمل في هذا اللقاء لم يخبو في صدري منذ ضياعه ، وسأصلى شاكرا لله وأتصدق على الفقراء والمساكين .. اللهم لك شكرنا ولك المنة .

ثم أمرت الجواري بتجهيز غرفة للأمير وتهيئة الحمام لاغتسال الأمير ، وأخذ الأمراء والأميرات بالعودة إلى حجراتهم ومنازلهم ، وقالت الأميرة حظوظ بعد انصراف عماتها وخالاتها وأختيها لحريف : أترغب بالنوم أم السهر ؟

فنظر لأمه وأخيه وأجاب قائلا : بل نسهر الليل كله ، إنني مشتاق لكم .. مشتاق .. كيف ننام وقد جمع الله شملنا بعد ضياع طويل ؟! .

فنظر الملك لزوجته وقال : أما نحن نستودعكم الله .. فالأيام بيننا إن شاء الله .

وغادر المكان تتبعه الزوجة ، فهمس حريف في أذن الأميرة : إن الفارس لم يتزوج بعد .. إنه يحبك أيتها الأميرة ؛ ولكنه يكابر نفسه ، ولا يرى أنه كفء لك ، فأنت ابنة شامة وهو ابن الخباز مجدو الساحر .

فقالت بصوت مسموع لأمها : ويحك .. أحدثك جبل بهذا الحب ؟! ثم ارفع صوتك فأمي تعلم رغبتي بالاقتران بصاحبك جبل .

فالتفت حريف نحو أمه فسمعها تقول : إنها ترغب به منذ أن أنقذها من مجرمين الوادي .

فقال حريف باسما : وها هو اسمه قد أنقذني يا أمي .

فقالت : حق هذا !!.. فقد زادت مكرمات الفارس علينا .

فقال حريف : يا أمي قد رفض الفارس الزواج من بنات الأمراء ، فكم ألح عليه الملك

جبرون بالزواج ؟ وأصر هو على الرفض ؛ لأن قلبه خفق مرة لفتاة وهي جارية في قصر من قصور الأمراء ، ووعدها متى نوى الزواج أن تكون حليلته إذا ظلت من غير بعل ؟ .. والله لو طلب الفارس ابنة الملك جبرون لوهبها له جارية ، ولكن الفارس وعد وعدا ووعد الفارس دين .. فقد أرسل الملك جبرون عندما أراد أن يزوج جبلا رسولا خفيا لبلادكم ليرى هل تزوجت الأميرة حظوظ ؟ فوجدها الرسول لم تتزوج بعد .. فاقتنع الملك بتزويج ثعلبون وهزبر ، فخطب لهما من بنات الأمير سالم بن قنبرة ، وأرادت الفتاتان الدلال والفخار على فتيات المدينة ، فطلبت الصغرى من خطيبها هدية جوهرة حسن خان ، وطلبت الكبرى عقد زوجة علي خان من ملوك بلاد الهند ، فذهب الفرسان الثلاثة لبلاد الهند وأحضروا تلك الأشياء ، ولكنهم وهم عائدون فرحون من بلاد الهند ، عرضت لهم عصابة مجرمة ، وكان هزبر المسكين وحده في مهمة فغدروا به وقتلوه ـ ودمعت عينا حريف على هزبر وهو يتحدث عنه ـ ثم قتلهم الفارسان جميعهم انتقاما لصديقهم .

فقالت الأميرة بحزن فهي تعرف الفارس هزبر : هل مات الفارس هزبر ؟!

فقال حريف وهو يمسح الدمعات المتساقطة على خده : نعم يا أختاه ! غدر به اللصوص رحمة الله عليه .. أتعرفينه ؟

فقالت بحزن : إيه يا حريف .. لقد دافع عني بواد الرعب حتى سقط عن جواده مضرجا بدمائه عندما وقعت بين يدي عصابة الوادي ؛ ولكنه لم يمت وقد أسعفه ثعلبون الشجاع .. يا سبحان الله ! ها هو يقتل مرة أخرى على أيدي المجرمين .. رحمك الله يا هزبر .

أكمل حريف باقي القصة ومغادرتهم بلاد التين إلى جزيرة النمور ، وحدثهم عن أحلام جبل للقضاء على مملكة الضبع ، وحثهم على إخفاء الأمر عن الناس ، فعلقت الأم قائلة : إنه رجل مبارك !! ما زال يعمل من أجلنا .. أحسن الله إليه ، ونحن نرغب بزيارته لبلادنا لنزوجه من أختك الأميرة يا حريف .. طال الانتظار

فقال الأمير وهو سعيد بما يسمع :سآتي به ـ إن شاء الله ـ قريبا ، ونخطبه للأميرة التي ما زالت

تنتظر الفارس الجميل على حصانه الأبيض ليطير بها إلى عنان السماء .. وأيّ فارس جبل ! إنه سيد الفرسان ، قلبه قُد من الصخر يا أماه ، إنه لا يهاب الموت يقاتل بضراوة ويحب أصدقاءه يفرح لهم ، ولي قصة في بلاد التين ، وكيف أخرجني الفارسان من السجن ؟ وروى لهما حكايته مع الأميرة ريم ابنة القائد سالم ، ثم عاد للحديث عن جبل فقال : بعد أن أخرجت من السجن تعهد جبل بأن يعلمني ضرب السيف وركوب الجياد ومقارعة الأبطال .. وفعل ذلك

فقالت الأم مازحة : أرى أنك تحبه يا ولدي أكثر من أختك ؟

فضحك الأمير وقال : حب الأخ لأخيه والضعيف للقوي العزيز .

وقالت الأميرة : نفهم من قصتك أنك عاشق ولهان لابنة سيدك سالم إذن أيها الأمير .

فقال : أحبتني الأميرة الصغيرة فهي أصغر بنات القائد الخمس .. فأحببتها وظننت أن الزواج منها ميسورا ، فغضبت عليّ الأم ثم الأب وطرحوني في السجن ، فلبثت فيه شهورا يسيرة ، فلما عاد الفارسان الصديقان من سفرهما وعلموا الحكاية ، تشفعا وعفا عني الملك سريعا .. ولكن كيف العبد الغلام ضيغم يتزوج ابنة القائد الكبير ؟!

فقالت الأم : عليك أن تعذر القائد سالم وزوجه ، فالأمر صعب يا ولدي .. وعادات الناس الخروج عنها ليس بالأمر الهين .. أما زلت ترغب بتلك الحسناء الأميرة ؟

فقال : بالتأكيد يا أمي .

فقالت الأميرة : ستبذل أمك الملكة جهدها لتحقيق رغبتك يا أخي الصغير .

فقالت الأم : سأحدث الملك سليلا أبا شامة ؛ ليرسل وفدا يخطبها أيها الولد العزيز ..وأنا الآن قد نعست سأقوم للنوم ، لا تنسى الحمام يا ولدي ! فقد أرسل لك سليل ثيابا تليق بك .

وأحضرت الجارية لهم الطعام فأكلوا جميعا ، وودعوا الأم وانتقلوا إلى حجرة الأميرة ، فلما جلسا قال : اعلمي يا أخية أنني منذ التقيت بالفارس وهو من أحب الناس إليّ ، وأتمنى من أعماق قلبي أن يكون من نصيبك ، وإن كنت أتمناه له وأنا ضيغم ؛ فإنني أتمناه الآن أكثر ..فهو رجل الوفاء ، لقد حدثني الأمير ثعلبون عندما عرضت نفسك عليه يوم الوادي العصيب ،

ومع حبه لك لم يستغل الموقف والأثر الذي تركه عليك بإنقاذه لك من هؤلاء العتاة المجرمين فقالت الأميرة وهي تتذكر تلك اللحظات : لقد كان زعيمهم يريدني سرية أمة له ، والله ـ يا حريف ـ إني وهبته نفسي عندما أنقذني من العار والخوف والهلاك في ذلك اليوم الموحش ، لقد كنت في يأس شديد من العودة للحياة الدنيا ..فكنت عاجزة عن الشكر والامتنان للأمير .. ومع ذلك اعتذر الفارس وقال " أن لا وقت لديه للزواج " .

فقال حريف متأثرا بما سمع ، فهو يدرك ما هو وادي الرعب : لم يرد إحراجك .. فهو يعلم من هو وأنك ابنة ملكه ؟..وخشي أن يكون إعجابك به في لحظة ضعف أمام ذلك المشهد البطولي .

قالت : يا الله ! .. إنه مرهف الحس شديد الذكاء والفطنة .

فقال الأمير معجبا بصديقه الفارس : لقد تبارز مع عشرة فرسان أمامي وانتصر عليهم !

وأمضت حظوظ وحريف ليلة خالدة من ليالي العمر حتى سمعت الأميرة كل الأخبار والمعارك التي خاضها جبل بن مجدو فارس الأحلام ، ثم ذهب حريف للاغتسال ، وقامت الأميرة للنوم لتحلم في الساعة التي تلتقي فيها بالبطل المنتظر .



نهاية جبل الرعب

لقد عم الفرح الأسرة المالكة وأهالي مدينة الدب بظهور الابن الضائع ، ولما كملت مشاعر الفرح ، عقدت الأسرة الحاكمة اجتماعا للنظر في أمر حريف والأميرة ريم ، فقال الملك سليل مخاطبا أخاه الأصغر : ما خطوتك القادمة ؟

فرد حريف : أفكر الآن بالانطلاق إلى الأمير جبل وأطلعه على الأمر .

فقالت الأم : أتريد أن تبتعد عنا يا ولدي ؟

فقال مؤكدا ما تفوه به آنفا : لابد من الذهاب بنفسي للفارس - يا أمي ـ لأحدثه بما سرني ، لقد قال لي ذات ليلة " إنك يا ضيغم لم تولد رقيقا ..إني كلما أحدق النظر في عينيك اللامعتين أراك أميرا من صلب أمير ؛ ولكن .. ولكن .." ثم يسكت ، وأنا كنت أعتقد لحظتئذ أن كلامه لمواساتي ولوعده لي بنيل الأميرة ريم .

فقال الملك : أرى ـ يا أخي ـ أن نرسل وفدا يطلب يد الأميرة قبل سفرك للقاء الفارس .. ربما تكون الفتاة قد تزوجت أو خطبت .

فقال حريف : سوف أكتب لها رسالة وأحدثها عن نسبي ، وأحثها على الصبر حتى ألتقي بالأمير جبل والأمير ثعلبون .. هذا ما أراه مناسبا .

فقال الملك : افعل ما تشاء يا عزيزي الأمير !

فكتب الأمير رسالة للأميرة ريم ، فصل لها فيها التطورات الأخيرة من حياته ، وأرسلها مع غلامه برمو إلى بلاد التين قائلا له : ثم انتظرني في مدينة القمر .. فندق الديوك الثلاثة .

وبعد رحيل برمو بأيام ودع الأمير أخاه الملك وأهله ، وحثهم على تقوية الحراسات والمزيد من التدريب للفرسان والجنود ، وبشرهم أن النصر قريب ، وأن النصر مع الصبر ، ولابد للطغاة من يوم يزولون فيه ، وأوصى أخاه على أمه الغالية ، وودع أخواته ، وركب جواده منطلقا لمدينة القمر وبرفقته ثلاثة فرسان لحمايته ، وفي فندق الديوك الثلاثة التقى الأمير بغلامه برمو ، فأعلمه أنه سلم الرسالة لرمح ، ثم استأجر لهما مكانا في سفينة ، ولما سافرت السفينة

بها عاد الفرسان لبلادهم ، وبعد مسير سبعة أيام بلياليها رست السفينة على ساحل جزيرة النمور ، ثم استأجرا عربة لتنقلهما لمنزل الأميرين ، ولكنّ الأميرين لم يكونا في البيت ، فهما في قصر السلطان ، وبينما الأمير يتحدث مع الخدم ، ارتفع صوت مرتفع ينادي معلنا عن وفاة ملك جزيرة النمور مروان بن أسد ، وأخذ المنادي يعدد ويذكر بعض مناقب ومحاسن السلطان على العامة المتجمعون حوله ، ثم يغير مكانه ويعيد الخبر على مسامع الناس من جديد ، فترحم الأمير عليه وقال : أعدوا لي غرفة للنوم ، وعند حضور الأمراء أيقظوني ، فأنا متعب من ركوب البحر .

وكان جبل وثعلبون ضمن الأمراء والقادة في قصر السلطان ساعة وفاة الملك الذي كان يحتضر منذ أيام ، ولما خرجت الروح لبارئها بدأ الاستعداد لدفن الميت ، وقد بايع الأمراء ابن أخ السلطان ملكا على البلاد والعباد السلطان أمجد بن بلال بن أسد ، فالملك مروان لم يكن له ولد يخلفه ، وكان أمجد هذا أكبر أبناء اخوة الملك الميت ، وهو في العقد السادس من عمره ، ثم تقرر دفن الملك مساء ، فاستأذن الفارسان القوم عندما حضر أحد الغلمان وأخبرهما بعودة ضيغم ، وتعانق الفرسان وقد لاحظوا البشر على وجه حريف ، وعلى مائدة الطعام حدثهم الأمير حريف بكل ما جرى ، ولما علموا أنه الأمير حريف المفقود يوم سقوط مدينة الدب في يدي الضبع أصابتهم الدهشة ، وعادوا للعناق من جديد ، ثم همس جبل وهو يتذكر أول لقاء له بحريف : ألم أقل لك يا حريف مثل هذا الكلام ؟! .. اعلم يا سيدي الأمير عندما رأيتك أول مرة ، ونحن سائرون إلى قصر القائد بن قنبرة لمحت فيك دم الملك شامة .. فهناك شبه بينك وبين الأميرة حظوظ لا يلحظه إلا المدقق الخبير ، فأنت بعيد الشبه عن الملك سليل لذلك كنت أشعر هذا الشعور الخفي ؛ ولكن الأحداث لم تسعفنا للوصول للحقيقة .. والآن نقول مبارك عليك الأميرة ريم .

وقال ثعلبون : الحمد لله على فضله أنك عرفت عشيرتك وأمك وأباك ، وأنك من نفس موطننا ومن أكابرنا .

وكان حديثهم عن الحنين للوطن ، وأنه قد طال غيابهم عنه ، ثم قال جبل : ولكنه وطن مهدد من الأعداء ، مهدد من الحاقدين ، يحتاج منا إلى بذل المزيد من الجهد والعرق لإبعاد الخطر عن الوطن إلى الأبد أيها السادة والفرسان .. الحمد لله على نجاتك من رجال الجبل أيها الأمير الصديق ، ولتفرح الأميرة ريم بهذه الأخبار .. هل فعلت شيئا من أجلها ؟ ورحم الله الصديق جدارا .

فبعد أن ترحموا على الصديق جدار ، قال حريف : أراد الأهل أن يخطبوها .. فأجلت ذلك حتى أراك وأنظر رأيك ، فأنت سيدي وأخي الأكبر ومعلمي ؛ ولكني أرسلت لها خطابا مع الغلام برمو أخبرتها بحقيقة أمري .. وأنا انتظر أوامرك ، فأنا لا أنسى الأيام التي عشتها بصحبتكم ، ولا أنسى اللحظات التي فعلها اسمك في عتاة وطغاة الجبل .

فقال ثعلبون : أصيل يا ابن الأجواد !!.. وحمدا لله على سلامتك ، ورحم الله صديقنا جدارا .

ثم قدم حريف الهدايا التي أرسلتها أخته الأميرة للفارسين ، وقال : هما من الأميرة حظوظ ، وهي تهديكم السلام ، وتترحم على الفارس الصنديد هزبر .. وإنها ما زالت تذكر يوم الوادي وتتذكر وعد الفارس .

فتأمل جبل الخاتم الهدية مليا ثم قال : ما أخبار الأميرة يا أخا الأميرة ؟

فقال حريف : تحيا بحمد الله ، وعندها الأمل بعودة الفارس يوما ما .

دهش جبل وقال : ماذا قلت ؟!

رد حريف فقال وهو يتبسم : الأمل .. تنتظر الفارس ابن الخباز لتقترن به .. الكل هناك في انتظارك أيها الفارس .. قل شيئا يا ثعلبون .

فقال جبل : أنا سعيد بما أسمع منك ، وأشكرك يا ضيغم عفوا الأمير حريف .. وأتمنى أن أكون عند حسن الظن بي .

فقال حريف : أشفق على قلبها يا أخي .. لا تريد من الرجال في هذه الدنيا إلا الأمير جبل .

فقال جبل : عندما نقضي على بلاد العقرب أحزم أمري في موضوع الزواج أيها الصديق الوفي

لقد ظلمت الفتاة معي ؛ ولكنك يا حريف خبرت حياتي لا استقرار في مكان .
فقال ثعلبون مشجعا : لما تظلمها يا سيدي الفارس .. امرأة خفق قلبها بحب الفارس الكبير .. وإنها لتستحق أن تعشق أيها الصديق .. وأنا أعلم وحريف يعلم أنك تحبها وتتمنى وصالها.

فقال حريف :إن جبلا من الرجال القلائل في هذا العهد ، يا سيدي عليك أن تنسى أنك ابن خباز ، فأنت اليوم فارس الهيجاء قاهر الأعداء بل أنت كنت أمير بلاد الدب قبل عودة الملك سليل .

وقال ثعلبون : والأميرة اختارتك وأهلها يرحبون بهذا الزواج ، وها هو أخوها الشجاع يدعوك للاقتران بها ، ولا تنسى كما قال أخونا حريف إنك سيد وأمير وفارس ، وكم من ملك منحك هذا اللقب في بلاده ؟! .. لقد كنت كما قال الأمير حاكما لبلاد الدب أثناء المحنة التي مرت بها المدينة ، ومنحك الملك سليل منزلة أكبر الفرسان في بلادنا .. والملك أحمد بن خالد فعل مثله ، والملك أسعد ، ثم الملك العظيم جبرون ، وملوك الهند وملوك الجزر ، فأنت سيد الفرسان وناصر الضعفاء وقاتل اللصوص والسفاحين .

وقف الفارس فجأة وهو يضرب برأسه وقال : لقد نسينا جنازة السلطان مروان أسرعوا !
وأمر الغلمان بإعداد الجياد للمشاركة في دفن السلطان ، ولما آذانهم الغلمان بأن الخيول جاهزة ، تقدم جبل رفاقه نحوها ، فلما وصل للحصان وأراد أن يضع قدمه في الركاب لمح شخصا مندفعا نحوه بخنجر ، فألقى نفسه بخفة على الأرض ، ومن تحت قوائم الجواد نهض سريعا ، فأصابت طعنة الرجل جنب الحصان ، وبخفة الفهد كان جبل يقبض على عنق الغادر ويطرحه أرضا ، ويضع قدمه على صدره ، وقد لاحظ هروب شخصين فقال بانفعال وصوت متوتر : ثعلبون أسرع وراءهما .

حدثت هذه المحاولة لاغتيال الفارس بسرعة ، وعلى الفور قفز ثعلبون على جواده منطلقا خلف الفارين اللذين كانا يركضان في أرض البستان المحيط بالمنزل ، وقد قفزا عن سوره

المنخفض ، وأرسل جبل أمرا لحراس الميناء بإغلاقه ، ولما هدأت أعصابه رفع قدمه عن الغادر وقد استل خنجره عن وسطه وقربه من عنق خصمه ، وقال بهدوء يشوبه اضطراب خفيف : لمن تتبع أيها الغادر ؟

فقال الرجل وهو يرتجف من الخوف : العفو يا سيدي الفارس ! ..صدر لي الأمر بقتلك ، ولا أستطيع أن أرفض وإلا قتلني هذان الرجلان الهاربان .

فصاح جبل : قل من أرسلك يا جبان ؟

فقال الرجل : أعطني الأمان يا نادرة الزمان .

رد جبل بغضب : لا أمان لك .. تكلم نفد صبري .. من الذي كلفك بهذه المهمة القذرة يا نذل يا جبان ؟

فقال الرجل : العفو عند المقدرة يا سيدي الفارس ! .. أرسلني لهب الليل زعيم الجبل .

فتمتم جبل وكرر اسم لهب الليل مرات ثم قال : لهب الليل .. يا لها من مفاجأة !!

فعاد رجل العصابة يقول : أيها الفارس .. لقد ضاق زعيمنا بك ذرعا ، والخوف منك يملأ قلبه وقلب رجاله الأشداء ، فلما سقط صاحبك هذا أسيرا بين أيدينا ـ وأشار لضيغم ـ علمنا منه أنك نزيل جزيرة النمور ، فقرر الزعيم التخلص من الرعب المتمثل بشخصك ، فوقع الاختيار عليّ لتنفيذ رغبة الزعيم ، ولا أستطيع القول لا .. فإذا رفضت قتلوني فورا .. بل أرسل معي هذين الرجلين حتى لا أهرب ، وإن نكست قتلاني .

فقال جبل الغاضب : ويلك ولو جئت إليّ لخلصتك من ذلك !

فقال : يقتلونني سريعا .

فقال جبل : حسنا أيها الغادر سأرسلك الآن للسجن !

فجاء رجال الشرطة وقادوه إلى سجن الجزيرة ، وانطلق الفارسان للمشاركة في الجنازة ، وبعد الدفن رجعوا مع القوم للقصر ، وتمت المناداة بالملك الجديد أمجد بن رباح ملكا على الجزيرة ، وخرج المنادون يعلنون ذلك للأهالي ، ولما هنأ الأميران السلطان الجديد قفلا عائدين

للبيت ، فوجدا ثعلبون قد أمسك بالرجلين بمساعدة الأهالي ، وهما مقيدان ، وهو في انتظارهما ، فلما شاهدهما جبل قال : أرسلكما لهب الليل ؟!

فأقرّا بالمؤامرة ، فقال جبل : لماذا لم تحاولوا الهرب ؟!.. لماذا لم تلجئوا إلينا ؟! فأنتم تعرفون قدرتنا على حمايتكم .

فقال أحدهم : لا نستطيع يا مولانا يده طويلة ، وكم شاهدنا ما حل بالذين تمردوا أو حاولوا الهرب من الجبل ؟!..ثم لم يعد الزعيم يطيق ويحتمل الخوف الذي تسببه له فظن بقتلك العلاج لمرضه .

فقال جبل مهددا ومتوعدا : حسنا أيها الأوغاد ! سوف أنفذ ما وعدته به ، وآن الأوان أن أريح الخلق من شر الجبل ومن يسكن الجبل .

وأرسلهما للسجن وأوصى قائد السجن بالمحافظة عليهما ، ونبه وحذره من هربهما ، ومن حاول ذلك فأمره بقتله بدون هوادة ، فهم من أشرار الخلق ويستحقون الموت مرات ، وأمر بفتح الميناء أمام حركة السفن والمراكب ، ورحل إلى جزيرة النمر الأحمر ، والتقى بالملك شهلب ، وتفقد مكان صناعة السفن والمراكب ، وكان قد تم إنجاز سفينة ضخمة تسع أكثر من مائتي فارس بخيولهم وطعامهم وسلاحهم ، وما زال العمل قائما على قدم وساق لصناعة المزيد من السفن والمراكب ، ثم تفقد مكان تدريب الرماة المهرة والفرسان ، ولما اطمئن أن الأمر يسير كما خطط له ، ومكث أياما في ضيافة الملك شهلب ، ثم أخبره بمحاولة اغتياله من بعض أعدائه رجال لهب الليل زعيم جبل الرعب ، وهو يريد غزو الجبل والقضاء التام على مجرميه ، فانزعج الملك من محاولة قتله ، ورحب وتحمس لفكرة غزو جبل الرعب ، ثم أصر الملك شهلب على صحبة جبل في هذه المعركة ، وبعد جدل عقيم رضخ الأمير لرغبة الملك ، فجهز الملك مائة فارس وحملتهم السفينة الكبيرة الجديدة ، وركب الملك وجبل سفينة الملك الخاصة مع حرسها الكامل ، وابحروا إلى جزيرة النمور ، فنزل الملك شهلب ليعزي الملك الجديد بوفاة عمه مروان ثم يبارك له بالملك ، وكانت السفينة التي أنشأتها هذه المدينة أيضا

للحملة المخطط لها تجهزت ، فقد سبق ثعلبون وحريف الأمير جبلا عندما أراد الملك شهلب مرافقتهم بنفسه ، فأعدوا السفينة والبحارة وانتخبوا مائة فارس ، فلما وصل جبل بصحبة الملك ركبوا السفينة ، وكان جبل قد طلب من ثعلبون وحريف بعد تجهيز السفينة وإصدار الأوامر للبحارة الذهاب لبلاد الدب لإعداد مائتي فارس والالتقاء به عند خربة تسمى " قرية الماء " قرية قريبة من جبل الرعب أو الخوف ، وودع الأمير جبل السلطان أمجد ، وتحركت السفينتان وبعض المراكب الصغيرة ، وخلفهما سفينة الملك شهلب إلى ميناء مدينة القمر ، وبعد سبعة أيام وصلوا الميناء فرست السفن والمراكب فيها ، وركب الفرسان خيولهم وساروا إلى مدينة القمر نفسها ، ومنها اشترى جبل جمالا وبغالا وأحمالا ثم ساروا إلى قرية الماء ، وكانوا قد تركوا البحارة وبعض الحراس عند السفن والمراكب ، فاستمروا يقطعون الجبال والوديان ومن ثم اجتازوا النهر الكبير الذي يقع جنوب بلاد التين ويصب في البحر الكبير بعدما يجتاز بلاد العقرب ، فلما وصلوا قرية الماء نصبوا خيامهم ووضعوا الحراسات اللازمة حتى لحق بهم فرسان مدينة الدب بقيادة الأمير حريف والفارس ثعلبون ، فتجمعت فرسان من مدن ثلاثة .. النمور .. والنمر الأحمر .. والدب القطبي للقضاء على رجال الجبل وكانت عيون جبل ترصد الجبل والوادي ، فأتت معلوماتهم تؤكد لجبل أنهم في غفلة مما يدبر لهم ، فهم لا يخطر في بالهم من غرورهم أن يدخل عرينهم أحد مقاتلا لهم ، فالرعب من وحشيتهم ينتشر في كل المدن القريبة والبعيدة من حولهم ، فزحف الجيش إلى الجبل خلال الليل ، وكان جبل قد شرح للقادة والملك شهلب الخطة مفصلة ، فبعد الفجر يبدأ التنفيذ .

عند الفجر تحركت قافلة من البغال والجمال التي تزيد عن مائة حيوان تسير بخط مستقيم وطويل يتقدمها بعض الفرسان وعلى يمينها ويسارها أيضا بعض الفرسان وعلى مؤخرتها عدد منهم ، ودخلت القافلة الوادي كأنهم لا يعلمون الخطر المحدق بهم ـ وهذه الجمال والبغال هي التي ساقها جبل معه من مدينة القمر ـ وقد بلع رجال العصابة الطعم ، فاندفعوا من مواضعهم المختلفة نحوها وأعلن حماة القافلة استسلامهم ، فأحاط كثير من فرسان لهب

الليل بهم ، وبدأوا يجمعونها وهم يضحكون ويهنـئون أنفسهم بهذا الصيد الكبير ، وقد نزل كثير من فرسان الجبل عن جيادهم يمسكون بخطام وحبال الدواب ، وما شعروا إلا وهجوما قويا من فرسان على خيولهم على رأسهم الفارس جبل وثعلبون ، وتحول أسراهم لفرسان محاربين يحيطون بهم ، وقد تم الفتك بهم سريعا إلا من هرب في الوديان وصعد الجبال ، واختفى في الكهوف والشعاب ، وكان انتصار ساحق وسريع .. وكانت الأوامر القتل السريع لا أسرى ، وما هي إلا ساعة حتى لم يبق مجرم يقاتل أو حيا ، كانت معركة سريعة ، ونفذت الخطة كما رسمت ، وكان ثعلبون ومن معه من الفرسان قد أغلق الطريق الموصل لقصر الجبل ، وبارك الفرسان والملك شهلب لجبل على نجاح خطته وحيلته في استدراج أكبر عدد منهم قبل الصعود للجبل ، وكان الملك شهلب مسرورا من نجاح خطة جبل غاية السرور ، فقد انتصروا ولم يفقدوا أيّ رجل ، وكان جبل قد أبقى فقط على حياة اثنين من المجرمين ، فقال أحدهم معتذرا : كم نصحت الزعيم بعدم التعرض للفارس ابن الخباز !

فقال جبل متهكما : لا وقت للاعتذار .. فات الوقت .. اصعد أنت ورفيقك هذا إلى لهب الليل ، وقولا له بتسليم القلعة قد ينجو بحياته .

فركبا بغلتين وانطلقا ليبلغا الرسالة وهما مجردان من أسلحتهما ، وطلب جبل من ثعلبون أن يأذن لهما بالصعود ، وقال جبل بعد ذهاب المجرمين : سأصعد الآن ومعي مائة بطل السلم ، وبعد ساعة تتبعني يا ثعلبون بمائة أخرى ، وبعدك بساعة يتبعك الفارس شهاب بمائة ثالثة ، ويبقى الملك شهلب والأمير حريف هنا على مدخل هذا الجبل بمائة ، واحذروا الهاربين والمختبئين في الكهوف .

وتقدم جبل بفرسانه على ظهور خيولهم ، وقد حاول بعض حراس الطريق منعهم من الصعود ؛ ولكنهم تساقطوا أمام رماة الأقواس المهرة والخوف الذي ساعد على هزيمتهم ، ومنهم من هرب في شعاب الجبل ، وظل جبل يصعد حتى وصل باب القلعة من غير أن يفقدوا محاربا واحدا سوى بعض الجراحات التي ألمت ببعض الفرسان في المعركة الأولى ،

فعندما أصبحوا أمام باب القلعة انهالت عليهم سهام الرماة ، فترسوا بالصخور وبجيادهم التي أصابتها السهام وبعض الأشجار ، وانتشر الفرسان حول المدخل حتى يصعد باقي الجيش ، وقد أمر جبل بحرق الأشجار الواقعة خارج الأسوار ، فحجبت كثافة الدخان والنار عنهم رماة رجال العصابة وضايقتهم ، وقد رمى جبل رسالة بسهم يعد فيها من استسلم وتعاون معهم بالإبقاء على حياته وحفظ روحه ، ومن أصر على البقاء والقتال والدفاع فمصيره الموت .

وتعاهد رجال القلعة على الصمود والدفاع حتى آخر رجل ، ولما اكتمل صعود المئات الثلاثة تقدم عدد من الفرسان بسلالم مكلبة فعلقوها على الأسوار ، ثم صعدوا الأسوار يرمون خصومهم بالسهام والنبال ، وقام بعضهم بإشعال النار بالأشجار من داخل القلعة ، وارتفعت النار إلى عنان السماء ، وابتعد حراس الأسوار عن النيران ولهيبها ، وخلع بعض الأبطال الأبواب ، وهدم بعضهم مواضع من الأسوار ، ثم اندفع الفرسان رويدا رويدا داخل القلعة ، وأخذ رجال لهب الليل يتساقطون واحدا تلو الآخر ، وتم القضاء التام عليهم ، وتمت محاصرة القصر ، وقتل كل الرجال الذين احتموا فيه وعلى رأسهم لهب الليل ، وأسرت النساء والجواري والغلمان والصبيان ، وتم الاستيلاء على كنوز العصابة وأموالها وخيولها ، وأمر جبل بنـقل هذه الأشياء لأسفل الجبل عند الملك شهلب ، ثم بدأ هدم القصر وإتلاف الأسوار والأشجار وردم عين الماء بحيث لا يتمكن أحد من العيش على قمة هذا الجبل بعد هذا الدمار الشامل ، وأشعلت النيران في المكان حتى أصبح قاعا صفصفا ، ثم صاح جبل بقوة ونشوة النصر والقتال : لقد انتهى لهب الليل !! فليرقد الناس على فرشهم آمنين مطمئنين بأمان وسلام .. بوركت السواعد التي سحقت هذه القلعة وهذه العصابة .

وأمر جبل بحمل الأموال والغنائم إلى قرية الماء ؛ ليتم توزيعها على رجال الحملة ، وبعد أن استراح القوم بضعة أيام في أكل وشرب وسعادة ، واحتفلوا بالنصر على عصابات الوادي المرعب ، وأكمل الرجال تدمير القصر بعدما حرقوه ، فقد رخص الأمير للنساء والغلمان

بالحرية ، فمن كان له أهل ومدينة سمح له بالانصراف إليها ، ومن ظل ورغب بالاسترقاق وزع على الفرسان لمن شاء ، وقسمت الأموال والأنعام على الجميع ، وتناقل الركبان خبر هلاك جبل الرعب والخوف على يد الفارس جبل بن مجدو ، ولما أرادوا التفرق أقسم الأمير حريف على دعوة الملك شهلب والأمراء والقادة على زيارة مدينة الدب ، ولقد حاول جبل التخلص من هذه الدعوة ، فهمس حريف في أذنه مهيجا له ومرغبا : أتخشى رؤيتها ؟!

فقال جبل بارتكاب وحياء : نعم أيها الصديق .

وقبل الملك شهلب الدعوة ، وصرف فرسانه إلى مدينة القمر بما كسبوا إلا بعض خواصه وحرسه ، وأمر جبل فرسان جزيرة النمور بمصاحبة فرسان جزيرة النمر الأحمر إلى مدينة القمر والانتظار هناك ، وصحب معه بعض قادته ، فكما تعلمون فإن جبلا هو أمير الجيش في جزيرة النمور ، وتحركوا إلى مدينة الدب التي وصلتها البشائر من أيام بالنصر الكبير ، فخرجت المدينة عن بكرة أبيها ترحب بالضيوف والفرسان المنتصرين ، وكان يوما مشهودا في بلاد الدب ، والتقى الملك الشاب سليل بالملك شهلب والأمير جبل وثعلبون وغيرهم من الفرسان والقادة ، وهنأهم على السلامة وعلى الظفر على مجرمي الجبل المرعبين ، ودخلوا المدينة والناس ترحب بهم ، وأعدت لهم مائدة عظيمة ، وجاءت التهاني من ملوك المدن المجاورة للأمير جبل ، وقد أتت تهنئة من الملك جبرون ودعوة لزيارة بلاد التين ، فأخبر جبل الرسول أنه سيلبي الدعوة هو والملك شهلب ، ومضت سبعة أيام في ضيافة الملك سليل ، فاستأذن الملك شهلب بعدها بالسفر من الملك سليل فأذن له ، فلم علم حريف بذلك قال لجبل : ويك الأميرة لها أيام تستعد للقاء الفارس ! وأنت تتعذر بانشغالك مع الملك شهلب .. سر إليها وودعها يا أخي .

فقال جبل بعد تردد : خذني إليها .. لأننا مسافرون غدا بعون الله ..فأنا مستعد للقاء مائة فارس ولا ألقى الأميرة حظوظا بضع لحظات .

فاستأذن الأمير حريف من الملكين ، وأخذ جبلا لقصر أمه ، وكان حريف قد أرسل غلامه

قبله يخبرهم بزيارة الفارس لقصر النساء ، فكانت الملكة والأميرات والجواري في استقبال الفارس جبل ذائع الصيت ليشيعنه بأبصارهم ، فكن يحطنه بنظرات الإعجاب والإكبار ، فشجاعة فارسنا أضحت مضرب الأمثال في مدينة الدب وغيرها ، وكل منهن تهمس في أذن جارتها : هذا هو الفارس جبل ابن الخباز مجدو الساحر !!.. قاهر الفرسان والأعادي .. هذا ابن مدينتنا !!

فلما وصل الملكة حياها بحياء شديد ، وكذلك في تحيته للأميرة العاشقة ثم قال : أنا خادمكم المخلص .

فقالت الأم : أهلا بك يا فارس الدنيا ! ..لماذا تتهرب من لقائنا منذ وطئت قدماك أرض آبائك وأجدادك يا أمير الفرسان ؟

كانت الأميرة في غاية السعادة وغاية الحياء والارتباك وهي ترى الفارس يقف أمامها ، وكما يقولون كانت العيون هي التي تتكلم عما في قلبيهما ، ورد جبل على الملكة فقال : إنني لا أتهرب من لقائكم ولكن ..

فقالت الملكة : أنا أعرف أنك تخجل من ابنتي الأميرة .. فيا أيها الفارس إنها ترغب فيك بعلا فأنا أخطبها لك .

فأمسك جبل بيد الملكة وقبلها قائلا : يا أمي أنت كريمة !!.. اعلموا أيها الناس أن لقاء مائة محارب أهون عليّ من مثل هذا الموقف .. قبلت أيها الأم .

فقال حريف وهو يعانق جبلا : مبارك أيها الأخ العزيز .

وصافح أخته مهنئا وهو يقول : مبارك أيتها الأخت ! فها هو الفارس جبل قد ترجل عن جواده ولان قلبه لأختنا العزيزة .

ثم قال فارسنا وقد ملأ الحياء روحه وقلبه : مبارك لنا

وتناول يدها وقبلها ، وزغردت النساء فرحا ، وقالت الأميرة : مبارك لك أيها البطل .. أيها الزوج الحبيب ، وها أنا قد وفيت بوعدي .

وأرسلت الأم وراء الملك سليل ، فلبى نداءها سريعا ، فأطلعته على موافقة الفارس أخيرا على الزواج ، فضحك الملك وقال : وهل وافق الفارس أخيرا يا أماه ؟!.. مبارك يا أختي العزيزة ..ها قد تحقق حلمك بالفوز بقلب هذا الرجل الشهم النادر في زماننا هذا ..ومبارك يا عزيزنا جبل بن مجدو وعانقه مهنئا ، وأعلنت الأفراح بمدينة الدب .



أزواج

فرح الناس جميعهم في مدينة الدب الخاصة والعامة بهذه المصاهرة ، فسكان المدينة يعرفون جبلا ويحبونه ولا ينسون أفضاله عليهم ، وتعهد الملك شهلب بدفع صداق الأميرة هدية منه لصديقه الفارس ، وتعهد أيضا بتزويج أخته للأمير ثعلبون ، وأعلن الملك سليل الأفراح في البلاد لمدة سبعة أيام ، وكمل زفاف الأميرين بسلام وهدوء ، والتقى العاشقان في عش الزواج وأمضوا أسبوعا آخر في كنف الملك سليل ، ثم قال الملك شهلب للملك سليل : سنسافر أيها الملك الكريم .. فما تقول يا فارسنا العريس ؟

قال جبل : لقد جهزت نفسي وعروسي يا مولاي .. سنمر على الملك أسعد في مدينة الشرق ثم بلاد التين لنشارك الأمير حريف زواجه .

وجهز الملك سليل سرية من الخيالة للذهاب مع الأسرة الحاكمة لخطبة الأميرة ريم التي وافق أبوها بناء على رسالة تلقاها من الملك سليل وأخرى من جبل ، فسار الملك شهلب وجبل لبلاد الشرق ومنها لبلاد التين للاحتفال بحريف ، وسار سليل وأمه وأخواته ونساء أخريات والفرسان لبلاد التين ، وتولى قيادة البلاد الأميران قيس وليث .

استقبلت بلاد الشرق الفارس والملك شهلبا استقبالا حارا ، ورحب الملك أسعد بضيوفه ، وأهدى الملك شهلبا وجبلا ومن معهما هدايا ملكية ، وكان الملك أسعد قد تزوج ، ووهب ذكرا فسماه جبلا ، فجاء الصبي جبل وعانق سميه الفارس وضيوف أبيه ، فوهبه جبل سيفه ، ودعا له بطول العمر والقوة والحياة السعيدة ، وأظهر الملك أسعد فرحه وابتهاجه بزواج الفارس من الأميرة حظوظ ، وأمضوا ثلاثة أيام في ضيافته ، ثم رحلوا إلى بلاد الملك جبرون ، فخرج جبرون بنفسه مرحبا بهم ، وعانق الفارس عناقا طويلا تخللته الدموع ، وقال : كم سررت عندما علمت بزواجك من الأميرة ؟! فإنني أحبك أيها الصديق حبا كبيرا .

وأظهر الملك جبرون فرحه بلقاء ثعلبون والملك شهلب ، وقام جبل وثعلبون والملك شهلب بزيارة القائد سالم بن قنبرة المريض ، ودعوا له بالعافية والسلامة ، وحضر الملوك والأمراء

خطبة وزواج الأميرين حريف وريم ، ومكثوا شهرا في ضيافة الملك جبرون .. وكان جبل قد أطلع الملك جبرون على جهوده للقضاء على مملكة العقرب ، فلما انتهى من تفصيل الأمر ، قال الملك : أو تستطيع ذلك أيها الشجاع ؟ .

فقال جبل : مضى سنتان وخلال سنتين أو ثلاث ـ إن شاء الله ـ سيكون الأسطول البحري جاهزا لحمل الفرسان المدربين ، وسيتم ذلك الهجوم بالتعاون معكم ، أنتم والملك سليل ، تشغلونهم عنا من البر ونحن ندخلها من البحر ، ثم نطبق عليهم ، وأسأل الله وحده أن ينصرنا على الضبع اللعين .. وأوصيك يا مولاي ببلاد الدب ، فكلما حاول اللعين الهجوم عليها فتأمر بتحريك جيشك المظفر ، فينقل له جواسيسه ذلك فتراه يرفع حصاره المتكرر على بلاد الدب حتى أبعث إليكم رسولا لتزحفوا نحو بلاد العقرب .

فقال الملك جبرون : أنا رهن إشارتك أيها الصديق الوفي ، فمنذ أن التقينا وأنا أرى بوجهك الفرج والنصر .. فكما أن الضبع عدوك وعدو بلادك ، فهو عدونا ، فابشر بما يقر عيناك .. لقد أنهكتنا هذه الحروب المتكررة ، نود من أعماق أفئدتنا أن نرى نهاية لها .. فكم من الأطفال فقدوا آباءهم ؟ وكم من الشباب قتلوا أو خسروا أعضاء من أبدانهم ؟ .. فنحن نطمح بنصر ساحق .

فقال جبل بحماس وثقة : اقترب الوعد الحق يا مولاي .

قال الملك : نحن في انتظار الإشارة .. وإن مت ولم أشهد هذا اليوم سأوصى ولدي الكبير بالإصغاء إليك أيها البطل !.. لقد أخبرتني أم العيال أن الأميرة حظوظا أسعد النساء في الدنيا بزواجها منك ، وهي تحبك حبا ما كنا نتخيله أيها الفارس الصديق ، فاحرص عليها ولا تفرط فيها أبدا .

قال جبل ممتنا : هي في عيوني وقلبي يا مولاي ! وكيف أنسى كل سنوات الانتظار التي انتظرتها من أجلي ؟.. فأنا أحب سعادتها ، ليت أبواي على قيد الحياة ليشاركوني هذه السعادة وهذا الفرح الكبير.

وغادر الملك شهلب ومن معه بلاد التين إلى مدينة القمر ، ثم ساروا للميناء فركبوا سفنهم ومراكبهم وعادوا إلى جزائرهم سالمين .

وبعدهم بأيام أخذ الأمير حريف عروسه وعاد مع أهله وفرسانهم إلى مدينة الدب ، وهم أيضا في غاية السعادة والحبور ، أولا لزواج الأمير حريف من محبوبته الأميرة ريم ، وثانيا إنهم وجدوا حليفا قويا يدعمهم في مواجهة حملات الضبع .

رحب الملك أمجد بالملك شهلب واستضافه وفرسانه يومين ، وأخذ الملك شهلب ثعلبون معه إلى جزيرة النمر الأحمر ليزوجه من أخته ، كما قطع على نفسه عهدا بذلك أثناء إقامته في بلاد الدب ، وتقرر أن يمكث جبل بضعة أيام ثم يتبعهم للاحتفاء بزواج الفارس ثعلبون ، وأعد جبل المنزل الذي يسكن فيه ؛ ليكون لائقا بالأميرة حظوظ ، ثم تفقد مرسى صناعة السفن والمراكب ، فوجد الأمور تسير على ما يرام ، وتفقد معسكرات إعداد البحارة والرماة والفرسان ، ثم عاد للبيت مسرورا ، فوجد الأميرة تستقبله بفرح آخر فقالت الأميرة : هل من جديد أيها الحبيب ؟

رد قائلا : الحمد لله ، الأمور تمضي كما رسم لها ، متى نلحق بثعلبون لنشاركه فرحه ؟

قالت : في أي وقت تشاء أيها الحبيب ؟

رد قائلا : أدام الله عليك السعادة ـ أيتها الزوجة الطيبة ـ غدا نسافر ـ إن شاء الله ـ ثم يتبعنا الملك أمجد وأمراء البلاد لحضور الاحتفال الكبير الذي سيقيمه الملك شهلب لثعلبون وأخته ، إنه نعم الملك والأخ .

وفي مركب خاص بالأمير جبل ركبه هو وزوجته وبعض خدم الأميرة وساروا لجزيرة النمر ، فرحب بهم مليكها والسعادة والغبطة تغمره ، وذبح لهما من الخراف اللذيذة ، وأحسنت زوجة الملك وبناته وأخواته في استقبال الأميرة ، وسررن بها سرورا عظيما ، وهي سعدت بترحيبهن وحفاوتهن وودهن وبشاشتهن ، وأخذن يسألنها عن الفارس الذي خلب عقل وقلب الملك ، فحدثتهن عن أمرها ومعرفتها بالفارس ، فلما سمعن حديثها ظنن أنها تبالغ في الحديث عن

بعلها وقرينها ، فلما اجتمعن بالملك وحدثنه حديث الأميرة ، فقال الملك ضاحكا : إن حظوظا لم تعرف جبل بعد ..آه .. لقد هزم عشرة من فرساني الذين كنت أباهي بهم الدنيا مرة واحدة وفي المعركة التي رحلنا إليها في البر عندما أغار على المجرمين كان كأنه العاصفة الهائجة .. يهربون من أمامه كالأرانب سقط بينها سهم .. ارتعبوا من صوته .

فقالت : أمعقول هذا ؟!

فأجاب بحماس وإعجاب : نعم معقول .. استعدوا وتهيئوا لزواج أختي بالأمير ثعلبون ، فعندما يصل الملك أمجد تبدأ الاحتفالات من أجلهما .

ولما حضر الملك أمجد بن بلال وحاشيته أعلنت الأفراح في جزيرة النمر الأحمر ، وتزوج على أثرها الأمير الفارس ثعلبون من أخت الملك شهلب الصغرى ، ولما تم الفرح والعرس غادر جبل الجزيرة موصيا الملك وثعلبون بمتابعة صناع السفن وتدريب الفرسان للمعركة الفاصلة التي يحلم بتحققها الفارسان .

وذات مساء عاد الأمير للبيت وهو يحمل رسالة ، ولما ألقى السلام ، قال للأميرة التي كانت تحمل رضيعها المولود منذ أيام : أيتها الحبيبة وصلتني رسالة اليوم عن طريق الحمام من الأهل في بلاد الدب ، وفيها أن الضبع الشرير قد رفع حصاره عن المدينة الحزينة عندما سمع بأن الملك جبرون يعد جيشه لغزو بلاد العقرب ، وفي الرسالة أيضا أن الأمير حريف قادم لزيارتنا ومعه أمنا الغالية وزوجته وبعض الأميرات ، ويطلب إرسال مركب لتحملهم ، فأذن لي الملك بإرسال مركبه ببحارتها وحرسها ، فأرسلت برمو الخادم معهم لانتظارهم في مدينة القمر ، والآن كيف حالك اليوم وحال المولود أشهب ؟

فقالت وقد سرت بما سمعت : نحن بخير ما دمنا في ظلك يا سيدي الفارس !!.. وإنني في شوق لأمي .. هي الوحيدة التي كانت تواسيني وتحثني على الصبر والتحمل ، فما يقدره الله لابد من حصوله .. وحريف أيضا رغم قلة عشرتي له لضياعه الطويل إنني أحبه جدا كأنني عاشرته سنوات ربما لحبه الكبير لك .. آه .. كم يحبك حريف يا جبل ؟! .. يحق لي أن أغار من

حبه لك يا أميري الجميل .. فمرحبا بالجميع .. أيها الحبيب أريد منك جارية خاصة بابننا .

فقال : سأهتم بالأمر ..وسأفارقك بضع ليال أزور فيها جزيرة النمر ، فقد أرسل لي ثعلبون أن السفينة الكبيرة الثانية قد جهزت ، فاصبح لدينا هنا اثنتان وهناك اثنتان ومئات المراكب ، فقد اقترب الفجر يا قرة العين .

فقالت الأميرة ضاحكة : كيف أفقد هذا الوجه الحسن ليلة واحدة يا سيدي الفارس ؟

فقال باسما : عليك أن تتعودي ذلك يا أميرتي الحسناء ، فعندما تجهز الحملة قد أغيب عنك أشهرا أو قد أقتل .. فهذه حياة الفرسان .

فقالت : الله !! وتتركني هنا وحدي !

فقال : هناك حل .. عندما يقترب موعد الحملة تذهبين لبلاد الدب .

قالت : سوف أفكر في ذلك بوقته يا فارسي الجميل .



وسار الفارس بمركب صغير مع اثنين من البحارة إلى جزيرة النمر ، وتعرض المركب لعاصفة قوية في البحر ؛ ولكن الله سلم من شرها ، واطلع جبل على السفينة الجديدة ، وتابع بنفسه تدريبات الفرسان ومكث بضع ليال عندهم ، ثم قال لثعلبون : قد نبدأ الهجوم الصيف القادم بمشيئة المولى .

وقفل الفارس عائدا لجزيرة النمور ، واستقبل ضيوفه القادمين من بلاد الدب ، فأمضوا في ضيافته شهرا ممتعا ، ولما انتهى موسم الشتاء أمر جبل بعرض كبير للجيش الذي أعده للمعركة فوجدهم ما يقارب خمسة آلاف مقاتل ، وكلهم مستعد للغزو والقتال ، ومثلهم في جزيرة النمر ، ولما دخل فصل الصيف تجمعت الجيوش على أرض جزيرة النمور ، وكان قد تم إنجاز سفينتين اخريتين فأصبح في كل جزيرة ثلاث وآلاف المراكب ، واستأجر جبل أربع

سفن كبيرة ، وركبت الجيوش على السفن والمراكب والقوارب ، وحملت الأقوات والأعلاف والماء والخيول والسلاح ، وأعلن النفير العام ، واجتمع جبل مع قيادات الجنود ، ووضح لهم خطوات المعركة ، وكان جبل قد زار مدينة العقرب من البحر ليعرف كما تستغرق الرحلة البحرية إليها ، وحدد مواقع النزول المناسبة ، ولما تحركت الحملة أرسل رسله لبلاد التين والدب يأمرهم بالتحرك لمحاصرة بلاد العقرب وإشغالهم عن الهجوم البحري القادم ، وكانت المراسلات لتنسيق الهجوم قد بدأت بين جبل وجبرون وسليل مع بداية فصل الربيع ، ثم أتت رسالة بواسطة الحمام من الملك جبرون تبين أنه قد جهز ما يزيد عن عشرة آلاف فارس ومثلهم رجالة ، وأتت رسالة من الملك سليل تبين أنه أعد عشرة آلاف محارب وهم في طريقهم لبلاد العقرب ، ولما وصلت أخبار خروج الملك جبرون لغزو بلاد العقرب للملك الضبع أصدر أمره لقادته لملاقتهم قبل الوصول للمدينة ، ولكنه لما علم بحلف جبرون وسليل وخروجهما معا لحربه دهش بداية للأمر ، واجتمع بمستشاريه وكبار قادته يتدارسون الوضع الغريب ، فمنهم من قال : ننتظر حتى يتجمعوا ، ومنهم من اقترح البقاء داخل المدينة وقرر الضبع في النهاية الخروج لملاقتهم أمام المدينة ، وأرسل للمدن التابعة له بمده بأقوى أبطالهم ، واجتمعت جنود الملك جبرون المريض ـ والذي أصر على شهود هذه المعركة ، وعلى قيادة الحملة بنفسه ـ وجيوش مدينة الدب بقيادة أمير الجند قيس ، واشتبكت العساكر بعضها ببعض ، وكان يدور القتال بينهم يوميا قتالا ضاريا ، واستمر القتال أياما ، وكانت جيوش الملك جبرون والأمير قيس مهمتها اشغال عساكر العقرب حتى يدخل جبل بجيوشه المدينة ، ثم يقتحمونها هم جهتهم .. ولما اقتربت عساكر جبل من المدينة طلب من القادة أن يكون النزول مع الفجر ، ولما تشرق الشمس تكون الفرسان على سواحل المدينة ، واحتل جبل الساحل وتخلص من حامية البحر سريعا ، وسقطت البروج بسرعة ، فهم لم يتوقوا مثل هذا الهجوم العنيف والسريع فكانوا صيدا سهلا ، ودب الرعب في المدينة فتمت السيطرة على المدينة في ساعات ، وجيوش البر تغلبت على عساكر الضبع ، فمن هرب نجا ومن استسلم

نجا ، ثم اندفعت العساكر البرية لداخل المدينة ، وسقطت المدينة بأيدي الغزاة ، ولم يبق إلا قلعة الضبع فتمت محاصرتها ، وأمر جبل بحرق المدينة وأذن للناس بالرحيل ، وبدأ جبل بهدم أسوار المدينة بواسطة الأسرى ، وكانت بعض السرايا تطارد فلول الجيش المنهزم ، وفي خلال أيام أصبحت المدينة خاوية على عروشها سوى قلعة الضبع المحاصرة ، وقد وصلت أخبار الكارثة التي حلت بالجيش والمدينة للضبع فأصابه الجنون ، ولعن الساعة التي غزا فيها بلاد الدب ، وتذكر قتله للملك شامة وتخريبه لبلاد الدب وغيرها من البلاد ، وتيقن أن ليس للدنيا أمان ، وأخذ يكيل السباب والشتم للغضبان الذي سفك دم ذلك الخباز الذي أنجب هذا الفارس ، وشدد جبل الحصار حول القلعة ، وأخذ المنادون يطوفون حول القلعة يدعون الجنود والعسكر للتسليم ، ويعلنون من استسلم نجا ومن أسر بعد دخول القلعة مصيره الموت ، ولكنّ المحاصرين أصروا على البقاء ، ولم تنفع معهم تحذيرات جبل ، وعلم جبل أن بعض المدن التابعة لمملكة العقرب تتحرك للهجوم على جيوشه ، فأرسل الفارس رسائل لملوك المدن يدعوهم للطاعة حقنا للدماء والأموال ، ولكن بعضها رفض الاستسلام وأصر على الثأر ، فأرسل جبل خمسة آلاف محارب مع ثعلبون يقاتلون الرافضين في عقر دارهم ، وقاد هو مثلهم في جهة أخرى ، وظل الملك جبرون والملك شهلب والأمير قيس يحاصرون قلعة الضبع ، وقامت الجيوش بحروب سريعة في المدن الغاضبة ، وتم تأديبها بعجلة فاجأت قيادات تلك المدن ، فالمدن التي أعلنت الحرب على جبل عزل حكامها وأسرهم ، ومنحها الاستقلال عن مملكة الضبع الزائلة ، والمدن التي رضيت بالطاعة ترك حكامها وأعطوا الاستقلال عن مملكة الضبع ، وكذلك فعل ثعلبون مثلما فعل جبل ، وهكذا تفتت مملكة الضبع العظيمة إلى ممالك شتى كما كانت قبل ظهور الضبع وجده ، ثم عادت الجيوش تتابع حصار القلعة ، وأمام ضغط الحصار الشديد ، واليأس من إمدادات المدن التابعة للضبع ، وكذلك قد ضاق المحاصرون بالحصار الذي لم يتعودوه ، ومن نـقص الأقوات ، فازداد ضغط الجياع من الجند وزاد عصيانهم ،فأخذوا يستسلمون للأمير جبل ، وطلبوا الأمان ثم فتحوا

أبواب القلعة ، فأخلى سبيلهم فخرجوا بأنفسهم من غير سلاح هم ونساؤهم وأطفالهم ، ودكت أسوار القلعة بالأرض ، ودخل الفرسان قصر الملك الضبع ، وساقوه أسيرا هو وأفراد أسرته ومن معه من الوزراء وقادته الكبار الذين لم يشاركوا في القتال خارج الأسوار ، ووضعهم الأمير جبل في أقفاص ، وتم الاستيلاء على كنوز مملكة الضبع كلها ، وأمر جبل بحرق القصور ثم ردمها ، فأصبحت أطلالا كأن لم تكن عاصمة ملك في يوم من الأيام ، وباع جبل الأسرى لتجار الرقيق ، ووزعت النساء والأطفال على المحاربين ، وقسمت الأموال والأنعام على المقاتلين ، وأهلك جبل رجال الضبع الكبار ، فأمست مدينة العقرب الأحمر حديث السمار في تلك الأيام ، ثم انصرفت الجنود لبلادها وهي تحمل الغنائم الكثيرة ، والذين قتلوا من محاربين المدن الأربعة أرسلت غنائمهم لذرياتهم وورثتهم ، ومن القادة من كان نصيبه أميرة من الأميرات السبايا فباعها بدريهمات ، ومنهم من صمم على أخذها جارية وخادمة له ، فقلما فارس من بلاد التين ومن بلاد الدب لم يمت له أب أو أخ في حروب الضبع الطويلة ، فأكثرهم موتورون ، وعادت جنود جبل إلى سفنها ومراكبها ، ثم قال جبل : ماذا نفعل بالضبع يا مولاي الملك جبرون ؟!

فقال جبرون : لقد قمت بعمل عظيم يا جبل ! .. هذه هي نهاية كل باغي وطاغي .. لا دوام لدولة الظلم والعدوان ، الحق لابد أن يعلو مهما طال الزمان .. وكل من ساعد وشارك وسكت عن الظلم واستمرئه سيصيبه العذاب والهوان ،كانوا مسرورين بظلم وبغي الضبع ، ويتنعمون بأموال الناس ، ويتندرون على ضعف الضعفاء ، فها هم قد صاروا ضعفاء ، ها هي الكنوز التي سفك الضبع من أجلها آلاف النفوس استولى عليها غيره ، قد جمعها للآخرين فالأيام دول .. إنك يا جبل أشفيت غليلنا ، فكم من الأبطال فقدنا في الدفاع عن أنفسنا من جبروته وطغيانه ؟! فكم من الجرحى والمصابين يعيشون بيننا من عدوانه ؟! فكم من الأموال ضاعت من أجل تغذية هذه الحروب الظالمة ؟! .. وإنك يا ابن الاجواد محارب لا يشق لك غبار ، وفارس صبور ، وخصم لا يرحم خصمه العنيد المكابر .

فقال الأمير جبل مخاطبا الأمراء والقادة : أيها الملوك والأمراء ! كم من السنوات والأعوام وهو يثير الرعب في المدن والقرى ؟! .. كم من الملوك قتلهم وضم أملاكهم لملكه ! فها هو قد جمعها لغيره ؟ ! ..كم سنة وأنتم تتصارعون ؟ .. وكم من الرجال والنساء ذهبوا لشهواته وحبه للسيطرة وإذلال الخلق ؟!.. نحن في بلاد الدب لا ننسى ما فعل ببلادنا من الفتك والنهب والأسر وما حل بالحقول والحدائق والضيعات ؟ وما فعل بالملك شامة ووزيره ليث وقائد جيشه ربيع ؟!.. هذا يوم عيد عندنا ، منذ ما يزيد عن عشرين سنة وبلادنا في حرب وحصار معه ، فقد آن للناس بترك السلاح والنوم من غير خوف وتهديد بالاحتلال .. فالمشاهد الدامية ما زالت مرسومة على وجوه أهل مدينة الدب ، وما زالت تلك الفظائع في ذهني مع أنني كنت صبيا ابن عشر سنوات .. فالملك سليل والأمير قيس لم يشاهدا تلك الصور ، لقد أبعدهما والداهما عن تلك الفظائع .. فلما عدنا رأينا الجثث المحروقة والمشوهة .. النساء البواكي في الطرقات .

فقال جبرون : إنني أعرف الضبع .. بل كلهم يعرفون الضبع أنه وحش ! .. ما أنت فاعل به بعدما سمعنا منك هذا الكلام ؟

فقال جبل : هناك عجائز في مدينة الدب فقدن أولادهن وأزواجهن في الحرب يرغبن بمشاهدة الضبع في قفصه .. سنأخذ الضبع في قفصه إلى مدينة الدب ليراه أهل تلك المدينة الصابرة .. وها هم أولاده وذريته قد أصبحوا عبيدا وإماء .. فلنذهب به للمدينة لنحتفل بنصرنا هناك ثم نذهب لبلادكم بلاد التين ونكمل الفرح ، فمن حقنا أن نفرح بعد كل هذه التضحيات .

طلب جبل من بحارة سفينة الملك شهلب أن يأخذوها ويسيرون بها إلى مدينة القمر وينتظرونهم هناك ، وتحرك الملك جبرون ومن بقي معه من قومه إلى مدينة الدب ، وكذلك الملك شهلب والأمير جبل وثعلبون وقيس وأمراء جزيرة النمور

واستقبل الملك سليل الملوك بالترحاب الكبير ، وأمر بذبح النوق والأبقار ، وكانت الأفراح

منتشرة في البلاد ، وأبواب المدينة مفتوحة باستمرار ، وخف عدد جنود الحراسات عن الأسوار والأبراج ، فهم يحلمون بالسلام الذي كان ينعمون به أيام الملك شامة ، وشاهد الناس الضبع ، فقد وضع في ساحة عامة فرجة للجماهير ، وهو يقبع في قفصه كالحيوان ، وبينما الناس حوله يتفرجون عليه ويشتمونه ويحقرونه ويبصقون عليه ، طفق يصيح ويصرخ وهاج كالوحش فترة من الزمن ، ثم سكن جثة هامدة ، فأمر جبل بنقله لبلاد العقرب المدمرة ودفنه هناك .. وهكذا انتهت أسطورة الملك الضبع ، ذلك الإنسان الوحش الذي كان لا يحلو له إلا سفك دماء ضحاياه .. فقد قهر الملوك وسبى الآباء والأطفال والنساء وارتكب الآثام والشرور وسلب الأموال والأمتعة



احتفلت بلاد الدب بالنصر الكبير ، وأعلنت أن الأمير جبل بن مجدو صانع هذا النصر بطل خالد لا ينسى ذكره في تاريخ المدينة ، وأن تدون قصة بطولاته في صحائف تتلى على التلاميذ ، وأن كل ذكر يولد هذا العام يسمى جبلا ، وكل أنثى تسمى حظوظا ، حتى لا ينسى هذا العام من ذاكرة الأجيال .

وتحرك المنتصرون لبلاد التين التي كانت الأفراح قد أقيمت فيها منذ عودة الجيش المظفر ، واحتفل الناس بعودة الملك وضيوفه الكرام ، وذبحت الذبائح الكثيرة شكرا لله وتكريما للضيوف ، ووقف الملك جبرون يقول في جمع كريم من أهل المدينة : الحمد لله الذي أحياني حتى رأيت الضبع قتيلا ذليلا !

ثم أعلن أمامهم أن الفارس الشهم جبل بن مجدو بطل من أبطال المدينة هو وثعلبون ، وأنهم مكرمون وأسرهم ومن اتصل بهم إلى الأبد ، وما دامت بلاد التين قائمة وموجودة على وجه الأرض ، ولهما راتب سنوي من بيت مال الدولة والملك كالفرسان والأمراء ، فتنازل

الفارسان عن راتبيهما للفقراء في البلاد ، وعندما تهيئوا للرحيل كان المرض قد قضى على الملك جبرون وانتهى الأجل فمات ، فحزنوا عليه حزنا كبيرا ، وبكاه جبل بكاء عظيما ، ولبثوا أياما أخرى ، ثم استأذن الملك سليل بالرحيل فأذن له الملك الجديد .

وقال الملك سليل مخاطبا جبلا : أيها الفارس ! وقد وضعت الحرب أوزارها ألا تريد أن تستقر في بلاد الدب بعد كل هذه المعارك الطاحنة والترحال في البر والبحر فأنت منا ونحن منك ؟.

فقال جبل : أنا يا مولاي أصبحت ابن هذه المدن كلها ..كلكم أهلي وعشيرتي .. ولكن استقر بي المقام في جزيرة النمور ، وقد قمت بواجبي نحو الأهل والأصدقاء .. فدعني على راحتي أيها الملك العزيز ! وسأبقى منكم وتبقون مني ..والحمد لله الذي نصرنا على الضبع ، وارتاحت نفوسنا من همه والتفكير به .. فسلم أيها الملك على أمي الملكة ، ومتى اشتقت إليكم يا أخوال أشهب زرتكم ؟ وأرجو يا مولاي ألا نحمل سيفا بعدما وضعت الحرب أوزارها وعليك الآن أن تهتم برفاهية شعبك مع عدم الغفلة عن تقوية الجند ، فالأيام دول كما تعلمون فالقوي لا يظل قويا ، والضعيف لا يبقى ضعيفا .

وتعانق الأمراء والفرسان ، وودع الأمير حريف جبلا وثعلبون بالدموع وتمنى لهما السعادة ، وشكروا الملك شهلب على شجاعته وشهامته ، وأوصوا الأمير جبلا على أختهم حظوظ .

ثم سافر الملك شهلب وأمراء الجزيرتين نحو مدينة القمر ، ومنها إلى جزيرة النمور التي تجددت بها الأفراح بعودة الأمير المظفر قائد الجند ، وأكرم جبل أبناء الذين قتل آباؤهم أو أبناؤهم غاية الإكرام ، وأعتق جبل كثيرا من الأرقاء ، وعفا عن المساجين الثلاثة الذين أرسلهم لهب الليل لقتله ، وأمرهم بمغادرة الجزيرة ، ولما تم الاحتفال بالنصر الخالد بجزيرة النمور أخذوا معهم الملك أمجد للمشاركة بالاحتفال الأخير في جزيرة النمر الأحمر ، ولقد استقر ثعلبون الفارس في جزيرة النمر الأحمر في قصر خاص شيده له الملك شهلب هدية العرس ، فلما وصل البيت تناول أحد الغلمان منه الحصان ليضعه في زريبته ، ودخل ثعلبون

حجرة فخلع ملابس الحرب وعلق سيفه على الجدار ، وقال : أرجو أيها السيف أن تستريح الآن !

وخاطب الأميرة التي كانت تنظر إليه باسمة ضاحكة قائلا : أرجو أيتها الأميرة أن لا نحتاج إليه مرة أخرى ، وآن لنا أن نستريح من حروب ، لها أكثر من خمس وعشرين سنة في بلاد الدنيا الواسعة .

فقالت الأميرة : مبارك النصر ، وحمدا لله على رجوعك سالما ظافرا .. وقد آن لك أن تستريح يا سيدي الفارس يا قرة العين !..كم شقيت أنت والفارس جبل ؟! لقد حدثنا أخي الملك عن بعض معارككم ورحلاتكم ، وأدهشنا بها سمعنا حتى أننا عندما سمعنا الأميرة حظوظ تروي لنا بعضها ظننا أن حبها وهواها للفارس دفعاها لقول تلك المبالغات ؛ ولكننا لما سمعنا الملك شهلب يرويها لنا قلنا إنها لم تقل لنا شيئا ..فإني أعددت لك الحمام ؛ لتزيل عن بدنك أوساخ الحرب يا سيدي الفارس !

فقال : أحسنت أيتها المرأة الجميلة الطيبة ، فعندي خبر جميل سأقوله لك .

فقالت بلهفة وفضول : ما هو ؟!

فقال وهو يدرك كم ستفرح زوجه عندما تعلمه : لقد اتخذ صديقي الوحيد في هذه الدنيا سيدي الفارس جبل ابن الخباز قرارا صارما ومهما ، وهو البقاء في جزيرة النمور ، فهي قريبة كلما اشتقت إليه ركبت المركب الصغير وسرت لزيارته .

فغمر الفرح نفس الأميرة ، تلك الأميرة الطيبة ، فهي لم تعرف جبلا وحظوظا إلا من سنوات قليلة ، ولكنها أحبتهم من كل قلبها ، ألا تحب من أحب أخوها وزوجها ؟! فأظهرت فرحها الغامر لهذا الخبر ، وكانت تخشى من عودة جبل لبلاده ، فيضطر ثعلبون المخلص لصديقه أن يتبعه ثم قالت : أيها الحبيب سأبشرك بشيء يفرحك كما أفرحتني .

فقال : هات أيتها الأميرة .

فقالت : عما قريب سأضع لك مولودا تقر به عينك .

فقفز الفارس في الهواء من الفرح مرات ثم قال : مبارك أيتها الأميرة .. إنني والله لسعيد مع أنني كرهت النساء بعد مقتل صديقنا هزبر ؛ ولكنك قد غيرتيني.



فلنترك صاحبنا ثعلبون يحتفل مع زوجته الأميرة بفرح قادم إن شاء الله ، الإنسان يفرح عندما يعلم أن مولودا قادم له ..فهذا يعني امتدادا لحياته .. أو كأنه بدأ الحياة من جديد ..فلندع المنزل تخيم عليه السعادة والحبور والغبطة والسرور ، ونعود إلى بطل هذه الملحمة الخالدة .. فالفروسية وحديث الأبطال من الأشياء التي تحبها النفوس وتلذ لها ، وتحب أن تسمعها الآذان وترددها في كل حين ، فمن سنن الله الخالدة في الأرض نشوب الحروب ، فالحروب تُكون الدول ، وتهدم الدول ، وما زال القادة يحبون الحروب ليوسعوا ممالكهم أو لنشر العدل أو الظلم ، أو قد تكون الحروب لرفع ظلم عن أناس ضعفاء ، والحروب أيضا هي التي تظهر لنا الأبطال والعمالقة في القتال وتدبير وتنفيذ الخطط الذكية والحيل واستغلال لحظات الغفلة والضعف في الخصوم والأعداء .



آخر الحكاية

صاحبنا جبل وهبه ربه الذكاء والفطنة ، وكذلك الشجاعة ، فكان لا يهاب خصومه مع حذر منهم ، فها هو يركب مركبا ، فيها زوجته والملك أمجد وبعض نسائه ، وكانوا في غاية الفرح والمرح .. فالنصر الكبير يستحق فرحا كبيرا من الأبطال ، فبعض القادة من نصر صغير أو قتل عدو واحد يملأ الحبور قلوبهم ، فكيف بفارس كجبل ظل سنوات وسنوات وهو ينتظر اليوم الذي يظفر فيه على الضبع مخرب بلاده ومدمر بلاده بلاد الدب ومثير الرعب قي قلوب أتباعه قبل أعدائه ! ..كم من القرى مسحها عن الوجود ؟ ..كم من الأيتام والأرامل ترك في البلدان التي اكتوت بشره وناره ؟ ، كان الضبع يعشق الشر ، فهل فكر الضبع يوما ما أن مدينته بل قصره وقلعته ستتخليان عنه ويصبحان ركاما من الحجارة ؟ .. وهل فكر بأنه سوف يهزم ويموت مقهورا داخل قفص ؟! كم من مرة وقف ينظر إلى الحيوانات المفترسة وهي في أقفاصها تلتهم أعداءه ومن غضب عليهم من رعاياه ؟ لقد كان اسمه يثير التوتر والقلق في قلوب الناس في بلاده والبلاد التي امتد إليها حكمه .. لا أظن أن غروره سمح له بذلك النظر ولم يقرأ يوما كلمة " إن الأيام دول " كان همه حربا جديدة أموالا تدخل خزائنه ، نساء جدد يدخلن سراياه وقصوره .. فهو ملك جبار حوله جنود عمي لا حياة لهم إلا الغزو والنهب والسلب والقتل .. وكان يرى ذاك الذكي أن هؤلاء الجنود .. هؤلاء الوحوش إن لم يوجههم لذلك قد يتآمرون عليه .. فالجيوش الكبيرة تحتاج لأموال كثيرة ، فالغزو والحرب يسهل له ذلك .. فقتل الناس والمدن يؤمن ويوفر لهم ذلك .. ولكنهم من جشعهم وغرورهم لا يفكرون في لحظة من اللحظات المتأنية أنهم هم قد يكونون الضحايا ووقود الحرب .. ومع ذلك لابد من استمرار الصراع بين الخير والشر ، ولكل منهما أنصار وأعوان .

بعد حين من المسير على سطح البحر ، حلت مراكب الملك أمجد وفارسه الشهم جبل في جزيرة النمور ، وخرج بعض الأهالي والسادة يرحبون بالموكب القادم ، ومشى الملك مع مستقبليه إلى قصره ، ومشى الفارس جبل وزوجه وخدمها وحوله بعض الفرسان إلى قصره ،

وعلى مدخل القصر كانت الجواري يستقبلن سيدتهن ..وترك الفارس ابنه أشهب يمشي ويدب على الأرض وحده بدون مساعدة ، وتخلت الأميرة عن رضيعتها الصغيرة ماجدة تدرج على الأرض ، ولما استقروا في حجرة من حجرات القصر ، قالت الأميرة : الحمد لله على عودة الفارس سالما من هذه الحرب .. ليتني كنت معكم في مدينة الدب لأرى قاتل أبي يا سيدي الفارس !

فقال جبل : كنت أرغب بإحضاره إلى هنا ليرعى أغناما بدلا من رعاية البشر ، ولكنه مات مقهورا ، فانفجر دماغه من الغل والحقد .

فقالت : وكيف تركت أمي يا سيدي الفارس ؟

فقال : لقد قالت بعد موت شامة ابتسمت مرتين مرة ، عندما وافقت على الزواج من الأميرة حظوظ والمرة الثانية عندما جاءت البشائر تخبرنا بهزيمة الضبع .. وانتهاء أسطورة مدينة العقرب .

فرددت الأميرة : الشكر لله .. وبارك الله جهودك ، فمع قسوة هذه الحرب ، وكم راح فيها من النفوس ؟! ولكنها أدخلت السعادة على قلوب الثكالى من سكان مدينة الدب والتين .. علمت أن الضبع عندما انتصر علينا ازهق أرواح ما يزيد عن عشرة آلاف نفس .

فقال جبل : القاتل يقتل ولو بعد حين يا أميرتي .

فقالت : الشكر لله .. لابد لكل ظالم من زوال .. والآن ألا تفكر يا سيدي الفارس بالعودة لوطننا الحبيب ، وقد آن لسيفك أن يستريح ؟

تبسم الفارس وقال : وطننا الحبيب .. أليس هذا وطننا الحبيب أيتها الحبيبة ؟! لا تحزني .. فأنا قد اتخذت قرارا منذ فارقت بلاد الدب ـ أيتها الحبيبة ـ أن أحبها وأخدمها ؛ ولكن لا أستقر فيها .. لا تدمعي ولا تبكي إنني أتألم من بكائك .

فقالت : دعني أبكي يا سيدي الفارس ، لقد كنت أحلم بأنك عندما تحقق انتصارك هذا سترجع لمسقط رأسك .. وطنك الحبيب .

فقال جبل بقلب حزين : أيتها الحبيبة ارفقي بي .. لم يعترض أهلك رجال وطنك على مغادرتي لهم منذ القدم .. لا تبكي يا قرة العين .. ولولا حبي لبلادي ما فعلت كل ما تعلمينه ..ولكن لا مكان لي فيها ، مكاني هنا في هذه الجزيرة التي ساعدتني على تحقيق الحلم وهو القضاء على مدينة العقرب .

فتنهدت الأميرة وقالت : ماتت الأحلام يا سيدي .

فرد الفارس الآسف الحزين : أميرتي ! أنا مستعد أن أذهب بك غدا ـ إن شاء الله ـ لوطنك فأنا وطني كل البلاد .. الدب .. الشرق .. اللؤلؤ .. التين .. النمور .. النمر .. فهذه الأسماء كلها وطني .. سأذهب بك إلى وطنك الوحيد ، ألم أقل لك يوما في وادي الرعب لا تنتظريني أيتها الأميرة .. فأنا طائر محلق في فضاءات الدنيا .. سأسير بك إلى أهلك عزيزة مكرمة ، وسأترك لك فلذات كبدي أمانة في عنقك ، وأرحل إلى أرض فيها حرب أسلي نفسي بها .

وتساقطت الدموع من عيني الفارس ، فقالت الأميرة : سيدي الفارس .. إنك تظلمني بهذا الكلام .. تقتلني بكلامك وتجرح مشاعري الكبيرة نحوك .

فقال باكيا : أميرتي ! ما دمت لا تستطعين البقاء معي أينما أكون ؛ فإني أسامحك ، وإن شئت انفصلت عنك .

فأجهشت الأميرة بالبكاء الغزير والنحيب ، فاضطرب الفارس وترك الغرفة ، وخرج إلى بستان أمام قصره ، وأخذ هو الآخر بالبكاء بكاء ينفس من ضيق الصدر ، وما توقف الدمع إلا عندما وضعت الأميرة الحسناء يدها على رأسه بحنان وعطف ، وهي تقول من بين دموعها : مولاي الفارس !.. إن بكاءك وشهيقك وتنهداتك سمعتها من داخل القصر ..سامحني يا سيدي !.. كنت أحلم بأن أعود لمدينتي العزيزة يوما ما .. فليبق ذلك حلما .. ولا يمكن أن أتخلى عنك .. لقد فكرت بكل ما عاتبتني به ، فوجدت أن الحق معك ، وأن مكانك هنا ، ولا مكان لك في بلادنا .. فمكانك مع هؤلاء الناس الذين رضوا بأن يحاربوا معك ، وبذلوا مهجهم وأقواتهم وأبناءهم من غير أن يكون لهم غاية أو ثأر أو حقد على الضبع .. أرجو أن

تقبل أسفي ، فهم أحق الناس بك ، هم كانوا في النهاية أهلك

فنهض جبل قائما وأخذ يتأمل عيون زوجته الذابلة من كثرة البكاء وقال : حظوظ .. أحق ما أسمع أم مجاملة أم مداهنة ؟!

فنظرت إليه بعتب وقالت : سيدي الفارس !.. لقد أخلصت لك الحب .. سأسير معك حيثما تكون .. هذا الكلام من عقلي وقلبي .. هيا نعود أيها المحب إلى الصفاء والود ؛ فأنا ليس لي في هذه الدنيا إلا أنت .

فقال مبتهجا جذلا : ما أرق هذا الكلام وأحلاه يا ابنة الكرام !..فالفارس عندما يترجل عن جواده منهيا حروبه فهو بحاجة لصدر حنون وقلب كبير وعطف كالصغير أيتها الزوجة المخلصة .. صدقي يا أميرتي ! أن سعادتنا في البعد عن بلاد الدب ، فأنا ابن خباز ، وهذا معروف لأهالي مدينة الدب ، مع أن أفعالي صنعت لهم ما صنعت فسأبقى في نظرهم ابن صانع الخبز.. يتهامسون " ضحكت له الأيام " .. فلا ينسى أبناء اخوتك وأخواتك وأقربائك غدا عندما يكبرون أن الأميرة حظوظ تزوجت من الشاب الوضيع جبل .. ينسون الحروب والعرق والدم والتفكير الذي قدمناه من أجلهم ويعيرون أبناءنا .. وشجاعتي ظهرت من قبل أن أعرفك ؛ ولكنهم يظنون بعد حين أنني متسلق .. وهذا الشعور أنا ضعيف أمامه ، ولا أستطيع أن أتخلص من هذا الإحساس .. أما هنا يا حظوظ فالناس لا تعرف إلا الفارس جبلا ، الأمير جبل الذي دفع عنهم أذى الملك شهلب .. أمير تزوج أميرة ، فيكبر أبناؤك ولا يرون أباهم إلا سيدا وأميرا .

فرفعت الأميرة كف الفارس وقبلتها ، وقالت : سامحني سيدي الفارس !.. هي لحظة ضعف وحنين غلبتني .. أنت سيدي وزوجي وقرة عيني ووالد أشهب وماجدة .

فقبل الفارس بدوره يد زوجته ، وقد غمرت السعادة كيانه من جديد ، وقال : اعلمي كم سيبتهج الأهل والأصدقاء عندما نذهب إليهم زائرين بين الحين والآخر ، سيستقبلوننا بحفاوة وحب وفرح غامر .

قالت : صدقت يا أبا أشهب ! .. أعدك بأن لا أطلب منك الآن أو غدا الرحيل .. فهذا شأنك سكنت هنا أو هناك .. فأنا أعلم مقدار حبك الكبير لي .

فقال جبل : حسن هذا ! .. الحمد لله أنني أسمع هذا الكلام منك .. فسعادتنا بعد هذه السنين من الحروب والسفر أرى أنها هنا ؛ ولكن لا يعلم الغيب إلا الله وحده .. فأنا أعتذر عن أيّ إساءة أساتها إليك بكلامي .. فنحن جاهدنا حتى جمع الله بين قلبينا .. ألا تذكرين عندما رأيتك أول مرة في قصر الأميرة رشاء في مدينة اللؤلؤ ؟ يوم تعشينا أنا وأصدقائي عند الأمير خالد ، في ذلك اليوم خفق لك هذا الفؤاد معلنا بدء الغرام ؛ ولكن الأمور يومها تطورت بسرعة ؛ فإذا أنت قد تحولت فجأة من جارية إلى أميرة ..وليست ايّ أميرة ؟! ..لا .. إنها الأميرة حظوظ بنت شامة .. ابنة مدينة الدب .. ، فضغطت على فؤادي ونحن نستعد لمعركة استرداد ملك الملك أسعد .

فقالت : وأنا يومها تمنيت أن أكون جارية عند الفارس جبل .. لقد لحظت نظرات عينيك إليّ فخشيت أن تكون نظرات عطف وشفقة ..ولما انكشفت حقيقة أمري في تلك الجلسة أدركت أنه قد أصبح بيني وبينك جبل كبير ، ثم عجبت من أمر الله عندما أسرني رجال الجبل ، وجرى ما جرى على يديك .. لقد يئست من العودة للدنيا ، فلما أنقذتني فلم أملك إلا أن أهبك روحي ، فقد غمرتني بمعروفك النادر .. كم أصابني من الخوف والهلع وأنا بين هؤلاء الوحوش ؟! .. تمنيت لو بقيت جارية أمة .. أنا الأميرة الشريفة سأكون زوجة لص .. قاتل .. مجرم .. يا الهي ! .. يا الهي !.. هذه لحظات لا تنسى يا سيدي الفارس ! ..مازالت تثير الرعشة في بدني وقلبي .. فعندما أقبل إليّ أحد الرجال وقال " لقد نجوت أيتها الأميرة فهناك رجل مرعب يريدك أتعرفينه ؟! .. فقلت من هو هذا الرجل المرعب الذي يريد لي الحياة ؟ " وتمنيت أن يكون جبلا .. دعوت الله أن أسعد بالقرب من روح الفارس جبل ، وأن أكون من نصيب الفارس ، وقد استجاب الله لي .. رأيت القوة والبأس والشجاعة والغضب اللواتي بذلهنّ الفارس من أجلي .. فعلمت أن حبك لي كبير .. ذاك الجميل لا يمكن نسيانه ، وإن

تظاهرت بتجاهله .

فقال جبل : كم أنت مسامحة ولطيفة ومخلصة ؟ ! .. ليتني شاعر لأصف هذه العواطف الجياشة في قصيدة خالدة يتناقلها الركبان بين الأمصار والأقطار يرددونها من جيل إلى جيل .

فقالت : كفاني هذا الكلام منك ، وأن أبقى في قلبك المحب .

وعاد السكون والصفاء لهذين الزوجين بعد هذه العاصفة ، ولكن كما يقولون السعادة لحظات قصيرة ، فبينما الفارس جبل في مجلس السلطان أمجد دخل أحد غلمان جبل راكضا نحو المجلس يصيح : سيدي الفارس جبل !.. لقد خطفوا ابنك أشهب !.. سرقوه رجال البحر .

فقام القوم كلهم فقال جبل للغلام : اهدأ يا غلام .. اهدأ وقل ما حدث ؟!

فقال الغلام وهو يلتقط أنفاسه المتسارعة : سيدي ! كان الغلام يلعب في البستان .. وغفلت عنه الجارية ، فقد دخلت القصر لأمر ما .. وفجأة سمعنا صراخ الطفل ، فهرعنا نحن والحرس سريعا إليه ، فلمحنا رجلا يحمل أشهب راكضا جهة البحر ، وكان آخر ينتظره فتناول الآخر الطفل ، وقفز الرجل عن السور ، ثم انطلقوا بقارب صغير في البحر ، فرماهم بعض الحرس بالسهام ولكنهم ابتعدوا .

فقال جبل : الحمد لله على كل حال .. ما أصاب المرء لم يكن ليخطئه ..كنت أظن أيها السادة أن سيفي قد آن له أن يستريح من الطعن والضرب .

وطلب من أمراء البحر البحث والحركة عن الطفل الصغير والخاطفين ، واستأذن من الملك للعودة لبيته ، فقفل عائدا ومعه الغلام ، فوجد زوجته تحتضن ابنتها ، وهي تذرف الدموع ، فلما رأته مقبلا نهضت قائمة تقول : سيدي جبل ! ذهب أشهب ، هل يصير به ما صار بأمه وخاله حريف ؟!

أجاب جبل بهدوء : هذا أمر الله وقدره .. لا تجزعي أيتها الحبيبة .. إنما الصبر عند أول اللقاء والصدمة الأولى . . فهذه حياة الرجال والفرسان .. ما شاء الله كان ، وما شاء الله فعل .. فلقد أرسلت فرسان البحر يطوفون حول الجزيرة .. فالأمر لله من قبل ومن بعد .

فقالت وهي تكفف الدموع : ظننت أن الحروب قد انتهت وأقبل السلام والهدوء ، وانتهى الشقاء والموت والخطف والأسر .

فقال مشجعا ومصبرا لها : الحرب لم تنته يا أميرتي العزيزة .. إنما وضعت أوزارها إلى حين .. إلى أجل ..فاصبري ..فلنصبر ، فالنصر مع الصبر .. فالله هو المعطي ، وهو الآخذ ، وكل شيء عنده إلى أجل مسمى .

فقالت وقد بدأت روحها تعود إليها : الحمد لله رب العالمين .. إن كلامك بلسم .. هي مصائب لابد لنا من الصبر والتحمل .. لقد مكثت جارية أكثر من خمس عشرة سنة .. فقدت فيها الأب والأم والأخ .. وها أنا أفقد اليوم الابن .

ولما هبط الليل عاد أمراء البحر وهم يحملون الطفل أشهب ، فقد وجدوه على متن مركب وحده ، لقد تركه الخاطفون واختفوا ، مما أدهش جبل والقوم ، فقال أشهب الصغير : تركوني يا أبي وأعطوني هذه !

وأخرج من جيبه ورقة دفعها لأبيه ، فتناولها جبل وقرأ فيها : " هذا ابنك قد عفونا عنه .. فاحذرنا في المرة الاخرى "

" تمت بحمد الله "



قصص وحكايات الفوارس

مغامرات وخيال وأحلام وأخلاق وأخيار وأشرار وفرسان وشجعان

كل هذا وغيره تجده وتقرأه في هذه السلسة من القصص

الممتعة والمثيرة والمسلية

١	حسان والطير الذهبي	٢	الأمير جفر
٣	عبدالله البحري	٤	رمان
٥	الأميرة نهر الأحلام	٦	زهلول في ارض الجان
٧	مملكة مالونيا الملك بربار	٨	قطبة بن سنان
٩	حصرم بن سلام	١٠	القصر المهجور
١١	نمير وزعيط في جزائر البحر	١٢	انتقام الفارس شهدون
١٣	الأميرة تاج اللوز وولديها	١٤	الفارس جبل بن مجدو
١٥	سيف الزمان وجميلة	١٦	حكاية ريح البحر
١٧	الملك ابن الراعي	١٨	مدينة نجوان
١٩	الملك زرارة والملكة سفانة	٢٠	أبناء الملك سماك